

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد قام الباحث بتصحيح ما لوخط
عليه وبذل الله جهده لتوقيع

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

مناقسه

صالح العبود

دا من الرصد

صالح

الوجودية

دراسة ونقد

في ضوء الإسلام

رسالة دكتوراة إعداد

صالح بن عبدالرحمن بن صالح الشريدة

اشراف فضيلة الدكتور

أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي

الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربهم، وعمل بسنته إلى يوم الدين ﴿سبحانك اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾.. وبعد..

فقد كانت رسالة الماجستير التي حصلت عليها من جامعة الإمام سنة ١٤٠٧هـ تناقش نظرية المعرفة في الفلسفة الأوربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وقد اطلعت على عدد كبير من الكتب التي تبحث في الفكر الغربي. ومن خلال اطلاعي، رأيت أن هناك الكثير من التيارات والحركات الهدامة التي تحتاج إلى الدراسة والنقد والتمحيص، ومن أهم هذه التيارات التي كان لها فعلها السحري في نفوس الضعفاء من أبناء هذه الأمة (الوجودية).

وقد انتشرت الوجودية في بعض البلاد الإسلامية، وتبنى بعض الكتاب العمل على نشرها في جميع وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة. فدفعتني حرصي على ديني وأمتي أن أتناولها بالبحث والدراسة، لأبين مخطئها الأثم، وخطرها على الفرد والمجتمع، وكيفية مواجهتها واتقاء خطرها.

وقد شعرت أثناء قراءتي كتب الوجوديين أن مهمتي ليست يسيرة، والموضوع ليس سهلاً، حيث إن ذلك يتطلب قراءة كتب هذا الفكر المنحط، الذي لايشتمل على فساد العقيدة فحسب، بل ويشتمل على فساد الأخلاق والسلوك، واضطراب في الرأي والعرض. ولكنني كنت على قناعة بضرورة بحث هذا الفكر وبيان فساده وخطره على الفرد والمجتمع.

وخلاصة القول، أن هناك أسباباً عدة، وثمرات مرجوة دفعتني إلى دراسة هذا الموضوع الذي توكلت على الله، ثم جعلته موضوعاً لأطروحتي (الدكتوراه).

ومن هذه الأسباب مايلي:

(١) بيان مخططات أعداء الإسلام المجرمة، وفضح طواياها الأثمة، ليتضح للمسلمين من يمكن بهم للنيل من دينهم والقضاء على سبب عزتهم وفخرهم.

(٢) بيان مدى تهاوي هذه الترهات التي نشرتها الوجودية، وأشاعتها بين الناس بدعوى زائفة، فحواها أنها تدعو إلى تحرير الإنسان من أي قيد حتى ولو كان القيد (العبودية لله).

(٣) بيان حكمة الإسلام البالغة فيما جاء به من عقيدة وشريعة وخلق وسلوك، انتظمت بها حياة عامرة بالخير والبر والإحسان، مزدهرة بأنبل الأحاسيس، لإسعاد الإنسان في دنياه وأخراه.

(٤) الانبهار الشديد بالفكر الوجودي الذي ابتلي به كثير من شباب أمتنا، والحرب الفكرية التي تشنها الوجودية وأتباعها على الإسلام وأهله.

(٥) أن هذا الموضوع لم يكتب فيه - على حد علمي - من وجهة النظر الإسلامية، وبشكل مفصل وشامل، حيث أن الكتب التي كتبت في نقض الوجودية كانت تتناول بعض القضايا في الفكر الوجودي، وتناقشها مناقشة عامة، دون أن تدخل في كثير من التفاصيل. فالمكتبة الإسلامية بأمس الحاجة إلى كتاب يضع زيف الوجودية في ضوء الوحي الإلهي، ليتضح الحق من الباطل، ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾. وأحسب أن هذه الرسالة قد اشتملت على معالجة جديدة للوجودية، منهجاً وموضوعاً، ولا أدعي الكمال، فإن الكمال لله وحده.

(٦) حاجة الأمة الملحة إلى توجيه حكيم يتخذ من القرآن، والسنة الصحيحة، والمأثور عن السلف الصالح، أساساً قوياً لإعلاء منارة الحق، ودمغ الباطل الذي افتراه الأثمون، وأعانهم عليه قوم آخرون.

(٧) تحصين أمتي المسلمة من بريق هذه المبادئ الهدامة التي ماتمكنت من أمة إلا ضاع فيها الحق، وشاع الباطل، وفقد العفاف والشرف، وانتشر الفساد والفجور، ووذت القيم الإنسانية كلها، وهذه عوامل ماتمكنت من أمة إلا قتلت فيها روح العزة والمنعة والحياة الآمنة المستقرة، فعجلت بفنائها، وأمامنا الكثير من العبر والمثالات.

منهج البحث :

بدأت البحث بقراءة كتب الوجوديين التي تيسر لي جمعها من المكتبات في عدد من الدول العربية و الأجنبية ، ثم بدأت بقراءة مؤلفات ، تشرح أفكار

الوجوديين ، وتنقدها بعضها من منطلق إسلامي ، والبعض الآخر من منطلق عقلي ، فتكونت لدي حصيلة - لا بأس بها - عن هذا التيار المنحل، فتوكلت على الله وشرعت بالكتابة، فتيسر لي جمع مادة علميه استطعت من خلالها وضع خطة البحث، والشروع في كتابته، وقد اعتمدت أقوال الوجوديين، لأنطلق منها لأيضاح معتقداتهم وأفكارهم، ونقدها على ضوء ماتيسر لي فهمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال أئمة الإسلام رحمهم الله. هذا وقد قسمت الرسالة إلى أربعة أبواب، مع تمهيد وخاتمة.

أما **التمهيد** فهو عرض موجز للتيارات المعاصرة وأنواعها.

وأما **الباب الأول** فقد تضمن التعريف بالوجودية وحقيقتها وأشهر رجالها، وفيه ثلاثة فصول.

□ **الفصل الأول** بمباحثه الأربعة، رصد واقعي لمفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها، والأسس التي اتفقوا عليها، وأقسام الوجوديين وبيان حقيقة الوجودية.

□ **والفصل الثاني** يشتمل على مبحثين، أحدهما يبحث في تاريخ الوجودية، والآخر في أسباب ظهور الفكر الوجودي.

□ أما **الفصل الثالث** فقد كان دراسة موجزة لأقطاب الفكر الوجودي الحديث، وهو يشتمل على تسعة مباحث، كل مبحث يشتمل على دراسة عن حياة وفكر ومنهج أحد هؤلاء الأقطاب.

و **الباب الثاني** فقد خصصته للحديث عن اعتقادات الوجوديين وفيه ستة

فصول:

□ الفصل الأول يشتمل على نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية، وتحتة أربعة مباحث تضمنت عرض مفهوم الألوهية عند الوجوديين، وأقوالهم وشبهاتهم في الإله ومناقشتها، ثم ختمت هذا الفصل بلمحة موجزة عن عقيدة الألوهية في الإسلام.

□ وأما الفصل الثاني فهو عن تصور الوجوديين للحرية، وفيه مباحث تشتمل على مفهوم الحرية، وأقوال الوجوديين فيها، مع مناقشة هذه الأقوال، ثم الحديث عن الحرية في الإسلام.

□ والفصل الثالث خصصته للكتابة عن نظرة الوجوديين إلى الأخلاق، وفيه مباحث تشتمل على مفهوم الأخلاق عند الوجوديين، وأقوالهم فيها مع مناقشة مفهومهم وأقوالهم، ثم ذكرت لمحة موجزة عن الأخلاق في الإسلام.

□ أما الفصل الرابع فكان عن نظرة الوجوديين إلى القلق، وفيه مباحث تشتمل على مفهوم القلق الوجودي وأقوالهم ومناقشتها، ثم ذكرت نبذة موجزة عن موقف الإسلام من القلق.

□ أما الفصل الخامس فكان بعنوان (الإنسان بين الوجودية والإسلام) وفيه مباحث تشتمل على مفهوم الإنسان عند الوجوديين وأقوالهم مع مناقشتها. ثم ختمت هذا الفصل عن مكانة الإنسان في الإسلام.

□ وآخر فصل في هذا الباب هو الفصل السادس، والذي كان عن مدى استغلال الوجوديين الأدب والتربية لنشر أفكارهم.

□ أما **الباب الثالث** فكان بعنوان (آثار الوجودية على الفرد والمجتمع،

وموقف الإسلام منها)، وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول كان الحديث فيه عن الآثار العقيدية والفكرية.
 - وأما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الآثار النفسية والجسدية.
 - كما خصصت الفصل الثالث للكتابة عن الآثار الأخلاقية والاجتماعية.
- وكل فصل من هذه الفصول مقسم إلى مباحث.

أما **الباب الرابع** والأخير فكان بعنوان (الإسلام هو الحل لإنقاذ المجتمعات البشرية)، قدمت له بمدخل موجز عن انغماس المجتمعات البشرية في المتع الحسية، وذكرت إحصائيات وأرقاماً عن حوادث السقوط والانهيار الفردي والجماعي في هذه المجتمعات، ثم أوضحت أن الحل الوحيد لإنقاذ هذه المجتمعات البشرية هو الإسلام. وقد ذكرت في هذا الباب ثلاثة فصول:

- خصصت الفصل الأول عن أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها.
 - والفصل الثاني عن أثر العقيدة في نهوض الفرد والأمة.
 - والفصل الثالث عن أثر الشريعة في رقي الفرد والأمة.
- وكل فصل من هذه الفصول الثلاثة مقسم إلى مباحث.

أما **الخاتمة** فقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وفي الختام أقدم شكري وتقديري واعتزازي لفضيلة الدكتور (أحمد سعد حمدان الغامدي) المشرف على هذه الرسالة الذي لم يأل جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعتاء، إنه سميع مجيب.

كما أؤكد شكري لفضيلة الدكتور (أحمد عطية الغامدي) الذي أشرف على هذه الرسالة لمدة ثلاث سنوات فجزاه الله خير الجزاء، وأثابه بحسن الثواب.

كما لايفوتني أن أشكر الجامعة الإسلامية التي أفسحت لي المجال لإعداد هذه الرسالة، والتي تمت تحت إشرافها وتوجيهها.

هذا وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفيت هذا الموضوع حقه من العناية والبحث والتمحيص، ومن الله أستلهم العون والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

عندما رجع الصليبيون إلى ديارهم يجرون وراءهم آثار هزيمة نكراء، جلسوا يتساءلون ماالذي حول المسلمين إلى هذه القوة الظافرة؟ ولم يجدوا كبير عناء في إدراك الحقيقة الواضحة. إن إنهم أدركوا لتوهم أن الإسلام هو الذي دفعهم دفعا إلى هذا الجهاد الذي كان ثمرة غيرتهم على دينهم وأوطانهم وأرواحهم. فراحوا يحيكون المؤامرات السافرة للقضاء على هذا الدين، ولقد كانت لهم أساليبهم الماكرة في حرب هذه الدعوة التي سمت بأبنائها إلى الذرى، وكان من أشد أساليبهم هو نشرهم هذه التيارات الهدامة الجامحة عن الحق، البعيدة عن الصواب، التي استهوت بعض المغفلين المصنفين، لما يسمونه بالحضارة الغربية.

لقد شهد هذا القرن الميلادي التاسع عشر الكثير من التيارات والاتجاهات الفكرية المتعارضة، وسأكتفي بذكر لمحة موجزة عن بعض هذه التيارات، وبعض الأسماء التي اقترنت شهرتها بها، وهي مايلي:

أولا: التيار الروحي:

ويرى هذا التيار أن الوجود ينقسم إلى جوهرين متميزين أحدهما روحي، ويتصف بالذاتية والفكر والحرية، والآخر مادي، ويتصف بالذاتية والامتداد والحركة. والعنصر الإلهي الروحي هو العنصر الأول، والعنصر المادي ثانوي ومشتق. ومن نتائج هذا التيار: القول ببقاء النفس بعد الموت،

ومن أشهر ممثلي هذا الاتجاه (برجسون)(١).

ثانياً: التيار المادي:

يرى هذا التيار أن المادة هي الجوهر الحقيقي الذي به تفسر جميع ظواهر الحياة، وجميع أحوال النفس، وأن غاية الإنسان هي الاستمتاع بالنواحي المادية فقط. وهذا التيار مقابل للتيار الروحي الذي يثبت وجود جوهر مستقل عن المادة وهو الروح. ويمثل هذا التيار عدة مدارس منها: الواقعية الجديدة التي يمثلها (رسل)(٢)، و(مور)(٣).

وهناك المادية الجدلية، وهي مذهب (كارل ماركس) القائل بأن الظواهر التاريخية والظواهر الاجتماعية إنما تنشأ عن أسباب اقتصادية خاصة، وقد تمسك ماركس بهذه الأفكار واتخذ موقفاً متطرفاً انتهى به إلى الإلحاد(٤).

ثالثاً: التيار العلمي:

ويعرف هذا التيار (بالبرجماتية)، ويطلق عليها أيضاً (الفلسفة العملية) لأنها تهتم بالعمل على حساب النظر. مؤسس هذا التيار هو (بيرس)(٥) فهو

-
- (١) راجع: د. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، ص ١١.
- (٢) برتراند رسل ١٨٧٢ - ١٩٧٠م، فيلسوف انجليزي ساهم في تطور المنطق الرياضي الحديث. راجع الموسوعة الفلسفية، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
- (٣) جورج إدوارد مور ١٨٧٢ - ١٩٥٨م فيلسوف انجليزي من أهم مؤلفاته دفاع عن الحس المشترك. راجع الموسوعة الفلسفية، ص ٥٠٨ - ٥٠٩.
- (٤) راجع: د. عبدالفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية، ١٩٦٦م، ص ٨٨.
- (٥) تشارلز ساندرز بيرس ١٨٣٩ - ١٩١٤م، فيلسوف أمريكي، راجع: الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني، ص ١٢٥.

صاحب فكرة وضع العمل مبدأ مطلقاً في مثل قوله: «إن تصورنا لموضوع ما، إنما هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر»، وهذا يعني أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا الحكم العقلي.

ومن أشهر فلاسفتها أيضاً (وليم جيمس)^(١) الذي عرف الحقيقة بأنها: «مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لامطابقة الفكر للأشياء» وبعبارة موجزة فإن هذا التيار يرمي إلى:

(١) إزدراء الفكر.

(٢) إنكار الحقائق والقيم.

والعمل عند (جيمس) مقياس الحقيقة، فالفكرة صادقة عندما تكون مفيدة، ومعنى ذلك أن النفع والضرر هما اللذان يحددان الأخذ بفكرة ما أو رفضها^(٢).

رابعاً: التيار الفينومينولوجي:

وقد أسس هذا التيار (ماينونج)^(٣)، ثم تطور كفلسفة باسم (فلسفة الظواهر) على يد الفيلسوف الألماني (هوسرل).

والفينومينولوجيا: هي منهج ينحصر في وصف الظاهرة، أو وصف ماهو معطى على نحو مباشر. يقول الدكتور زكريا إبراهيم: «إن كلمة

(١) وليم جيمس ١٨٤٢ - ١٩١٠م، فيلسوف أمريكي، راجع: الموسوعة الفلسفية، ص ١٧٣.

(٢) راجع: هنري توماس ودانالي توماس (المفكرون من سقراط إلى سارتر)، ترجمة عثمان نويه، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٠م، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٣) ماينونج (١٨٥٣ - ١٩٢٠م، فيلسوف نمسوي، راجع الموسوعة الفلسفية، د.عبدالمنعم الحفني، ص ٤١٨.

فينومينولوجيا تشير إلى منهج جديد في الوصف الفلسفي ألا وهو ذلك المنهج الذي يهدف إلى إقامة نظام سيكولوجي أولي يكون بمثابة ركيزة متينة لإقامة علم نفس تجريبي من جهة، ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة معيار لفحص منهجي لسائر العلوم من جهة أخرى»^(١).

خامساً: التيار الوجودي:

وهو موضوع رسالتي، ومن أبرز ممثليه (سورين كيرك جورد)، و(مارتن هيدجر)، و(كارل يسبرز)، و(جبريل مارسيل)، و(ميرلوبونتي)، و(البير كامي)، و(جان بول سارتر)، و(عبدالرحمن بدوي).

والله أسأل التوفيق والسداد

(١) د. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٢٣٩.

الباب الأول

الوجودية

حقيقتها وأشهر رجالها

ويتضمن ثلاثة فصول

الفصل الأول التعريف بالوجودية .

الفصل الثاني الجذور الفكرية للوجودية .

الفصل الثالث أقطاب الفكر الوجودي .

الباب الأول

الوجودية

حقيقتها وأشهر رجالها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التعريف بالوجودية، ويشتمل على مباحث:

- المبحث الأول:** مفهوم الوجودية.
- المبحث الثاني:** موقف الوجوديين من التسمية بها.
- المبحث الثالث:** أقسام الوجوديين.
- المبحث الرابع:** حقيقة الوجودية.

الفصل الثاني : الجذور الفكرية للوجودية وفيه مبحثان:

- المبحث الأول:** تاريخ الوجودية.
- المبحث الثاني:** أسباب ظهور الفكر الوجودي.

الفصل الثالث : أقطاب الفكر الوجودي الحديث، وفيه مباحث:

- المبحث الأول:** كيرك جورد
 - المبحث الثاني:** بيرد يائيف
 - المبحث الثالث:** كارل يايسبرز
 - المبحث الرابع:** مارتن هيدجر
 - المبحث الخامس:** جابريل مارسيل
 - المبحث السادس:** ميرلو بونتي
 - المبحث السابع:** البير كامي
 - المبحث الثامن:** جان بول سارتر
 - المبحث التاسع:** عبدالرحمن بدوي
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه
- حياته، فكره، ومنهجه

الفصل الأول

التعريف بالوجودية

ويشتمل على أربعة مباحث .

أولاً مفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها .

ثانياً الأسس التي تقوم عليها الوجودية .

ثالثاً أقسام الوجوديين .

رابعاً حقيقة الوجودية .

الفصل الأول التعريف بالوجودية

المبحث الأول: مفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها

الوجودية عبارة عن أفكار يدين ويؤمن بها أناس متحللون إباحيون هدامون، لا يعترفون مطلقاً بالقيم والأخلاق والتقاليد والأديان. وقد بينت الموسوعات والمعاجم مفهومها. نختار منها مايلي:

(أ) في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة والتي نشرتها الندوة العالمية للشباب، تعريف لمفهوم الوجودية بمايلي: (تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرد، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهو جملة من الأفكار والاتجاهات المتباينة، وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم، ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار)^(١).

(ب) وفي المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية تعريف لمفهوم الوجودية بأنها: (مذهب يقوم على إبراز الوجود وخصائصه وجعله سابقاً على الماهية، فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يمنع نفسه بنفسه، ويملاً وجوده على النحو الذي يلائمه، وصرف بهذا النظر عن البحث في الوجود الميتافيزيقي)^(٢) الذي

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص٥٤٣.

(٢) ميتافيزيقا: مابعد الطبيعة وهو عند أرسطو علم المبادئ العامة، وعند ديكرت معرفة الله أو النفس، وعند كانط هي مايتجاوز نطاق التجربة وتستمد من العقل وحده. راجع المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٤٢١.

قال به أرسطو^(١) قديماً وركز بحثه في الإنسان (الواقعي المشخص)^(٢).

(ج) وفي الموسوعة الفلسفية للدكتور / عبدالمنعم الحفني مايلي : (الفلسفة التي تقول بأسبقية الوجود على الماهية، وأن الإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياراته ومواقفه وهي مذهب مختلف بشأنه حتى بين أتباعه، وهو وإن بدا عصريا إلا أنهم يردونه إلى سقراط^(٣)).

(د) وفي المعجم الفلسفي للدكتور/ مراد وهبه مايلي :
(إتجاه فلسفي ينظر في الإنسان على ما يوجد لا تحليل ماهيته المجردة فينكر أن يكون الودود عين الماهية، وينفر من المذهب والمذهبيه، ويقتصر على وصف الظواهر النفسية)^(٤).

(هـ) وفي المعجم الفلسفي للدكتور : جميل حليبا يقول :
(والوجوديه بالمعنى الخاص هي المذهب الذي عرضه سارتر في كتاب الوجود والعدم ونشره في الجمهور بواسطة مسرحياته ورواياته، ومقالاته، وخلاصة هذا المذهب قول : سارتر إن الوجود متقدم على الماهية، وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملاً وجوده على النحو الذي يلائمه .. الخ)^(٥).

(و) وفي الترجمة العربية للموسوعة الفلسفية الصادره في موسكو سنة ١٩٦٧م «الوجودية رد فعل لا عقلاني ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في المانيا وبعدها في فرنسا، وبعد الحرب العالمية الثانية في بلاد أخرى، منها

(١) أرسطو: (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.) فيلسوف وعالم يوناني مؤسس علم المنطق وعدد من الفروع العامة والخاصة للمعرفة، راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٣٢.

(٢) المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بمصر، ص٢١١.

(٣) الموسوعة الفلسفية/عبدالمنعم الحفني ص ٥٢٥

(٤) المعجم الفلسفي/ مراد وهبه، ط٣ ص ٤٦٨

(٥) المعجم الفلسفي/ د/ جميل حليبا ج٢ ص٥٦٥

الولايات المتحدة وقد أثرت تأثيراً كبيراً على الفن والأدب الحديثين في المجتمع الرأسمالي وفي الإطار العقلي لقطاع كبير من المفكرين»^(١).

(ذ) ويعرفها الدكتور/ مصطفى غلوش بقوله : «الوجودية تيار فلسفي اتخذ فكرة الوجود منطلقاً لتأصيل وجوده. ونحن نسميه (تياراً) لأنه ينبجج أن يكون (فلسفه) أو (مذهباً) وإنما هو اتجاه يعبر عن وجهة نظر أصحابه . وقد وصلنا بطريق الإعلام في صورة (تيار) شديد دهمنا بلا ركائز عقليه أو فلسفيه، فليس فيه من الفائده التي جعلنا نقتبس منه الشيء النافع حيث ترتقب النفس البشريه كل ما هو جديد وانسانس مؤصل على مناهج الفكر والعقل»^(٢).

يقول الاستاذ/ محمد مهران « لقد شاع استخدام لفظ الوجودية شيوعاً كبيراً في الأوساط الأدبية والفلسفيه والفنيه والاجتماعيه، واتسع معناه إتساعاً غريباً حتى كاد يفقد معناه، فلم يقتصر استخدامه على نمط فلسفي معين له خصائص معينه، بل تعداه الى حد القول عن موسيقى أو رسام أو صحفي أنه (وجودي) بل وصل الأمر إلى حد إطلاق هذا الوصف على كثير من السلوك الصاخب والفاضح الذي يحدث في النوادي ذات الطابع الأخلاقي في المنحل»^(٣)

ومجرد التسمية بالوجودية لا يحمل معنى المدح ولا معنى الذم، والوجودية نسبة إلى الوجود الواقع، وهو ينقسم إلى قسمين : وجود الخالق ووجود المخلوق فالخالق سبحانه محمول على الإطلاق والمخلوق ينقسم إلى محمود ومذموم بحسب قسمة خالقه سبحانه، ومعلوم أن مراتب الوجود أربع هي : وجود في الأذهان، ووجود في اللسان .

(١) راجع محمد جواد مغنيه (مذاهب فلسفيه/ دار مكتبة الهلال ص ١٤٥

(٢) د/ مصطفى غلوش / الوجودية في الميزان مطبوعه نهضة مصر ص ١٥

(٣) د/ محمد مهران رشوان/ مدخل إلى دراسة الفلسفه المعاصره/ دار الثقافه للنشر والتوزيع ص ٩٧

البنان، ووجود في الأعيان.

هذا وقد اشتهرت الوجودية وذاع صيتها وتعلق بأذيالها الكثير من الشباب المسلم وغير المسلم. وهي تتلخص فيما يلي:

(أ) أن كل فرد من أفراد الإنسان هو قلعة في نفسه، وله أن يتصرف وكأنه هو الموجود الوحيد، والشئ المائل أمامه بلا أي شئ قبله، لخالق ولا شريعة، فالصدفة وحدها هي التي ألقت به في هذا الوجود، وتركته وحيداً فريداً لا شئ معه إلا حرите وإرادته، فهي الحد التام لحقيقته، والمعيار الوحيد لقيمته، وليس ثمة قوة وسلطة تحرم عليه، أو تحلل له تصرفاً أو اعتقاداً أو اتجاهاً.

(ب) عدم الالتزام بشئ من التقاليد والعقائد لأنه مطلق الحرية في اختيار ما يشاء حتى الانتحار - على حد زعمهم -.

(ج) أنه ليس هناك هدف محدد في هذه الحياة، فهي بلا معنى، والموت نهاية الإنسان، وما دمنا سنموت فليس لأي شئ معنى.

(د) أن مصير الإنسان في هذه الحياة إلى القلق المستمر والضياع والسأم والتوتر، والشعور بالاغتراب.

(هـ) إن العالم كله خداع في خداع، فقد وجد بلا داع، ويمضي إلى غير غاية.

(و) أن العدم هو نهاية هذا العالم، وهذا العالم الذي نعيش فيه هش قابل للانكسار السريع والتحطم المروع^(١).

بعد أن عرفنا تعريف الوجودية ومفهومها، آن لنا أن نتساءل، هل الوجودية دعوة إصلاحية؟ أم نظرية إنسانية؟ أو نظرية علمية ينتفع بها الناس جيلاً بعد جيل؟ أو مسرحية للترفيه والتسلية؟ أو مجرد مسامرة أو معايشة اللامفهوم

(١) راجع محمد جود مغنية، مذاهب فلسفية، دار الهلال، بيروت، ص ١٤٧.

واللامعقول(١)»

إنها في الواقع كما وصفها الدكتور/ روجيه جارودي(٢) في قوله: «الوجودية فلسفة الاستعمار، فلسفة هدم لآبناء، فلسفة تدمير للشخصية الإنسانية، فلسفة إسقاط النفس الإنسانية في مجال اللذة والشهوة، بحيث تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها، أو تركيز وجودها. فلسفة مادية تستهدف الاستمتاع السريع وخشية الموت»(٣).

٢- موقف الوجوديين من التسمية بالوجودية:

انقسم الوجوديون حيال إطلاق اسم (وجودي) عليهم إلى قسمين:
 (أ) قسم يرفض التسمي بهذا الاسم وعلى رأسهم مؤسس الوجودية (كيرك جورد) و(هيدجر) و(يايسبرز) و(كامي)(٤).
 فكيرك جورد يفضل أن يقال عنه إنه مجرد باحث في الأمور الدينية والإلهيات، وهيدجر يرى أن الوجودي من يحصر انتباهه في الوجود الخاص، أي في الوجود الإنساني الخاص ولا يتعداه إلى البحث في الوجود العام. أما (يايسبرز) فيقول: «أنا فيلسوف للوجود لكنني أرفض لفظه (وجودي)»(٥).

(١) راجع، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٢) ولد روجيه جارودي أو رجاء جارودي - كما سمي نفسه بعد إسلامه ١٩٨٢م - في مارسيليا بفرنسا ١٩١٢م، درس الفلسفات اللاهوتية والسياسية وجلس فترة يندم النظرية الاشتراكية في الماركسية. تدرج في المناصب حتى وصل عضو مجلس الشيوخ حتى أعلن إسلامه ١٩٨٢م.

(٣) نقلاً من كتاب «الإسلام والدعوات الهدامة» أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، ص ١٩٣.

(٤) راجع، د. يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص ٢٣٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(ب) قسم (١) حصر نفسه بهذه التسمية ولا يرضى إلا بها، وهؤلاء هم مدرسة باريس الوجودية التي تضم (جان بول سارتر) و(سيمون دي بوفوار)(٢) و(ميرلوبونتي).

المبحث الثاني: الأسس التي تقوم عليها الوجودية

للوجودية أسس وقواعد قامت عليها هي :

التفريق بين الوجود والماهية:

فرق الوجوديون بين الوجود والماهية ، وهذه فريه انفردوا بها، حيث لم يسبقهم أحد قال بذلك، فالوجود عندهم هو ذات إنسانية واعية حرة ذات إرادة قوية لاتعرف القوه التي قذفت بها إلى هذا العالم - على حد زعمهم - أما الماهية فهي كمايقول : جان بول ساتر : « مجمل الأشياء والكيفيات التي يعرف الإنسان بواسطتها صنع شيء ما » (٣) ويقول ايضاً « فهذا العمل الفكري أو الماهية كان قد سبقه وجود واقع لذات إنسانية وعليه فكل عمل ينتجه الإنسان مهما كان لابد وأن يكون قد سبق من قبله وجود الذات الإنسانية الخلاقه » (٤) والتفرقه بين الوجود والماهية خطأ، فالمفروق يظن أن للماهية وجوداً مستقلاً خارج الأذهان، أي لم يفرق في ذلك بين الإمكان الذهني، والإمكان الخارجي، وهذا خطأ فليس كل

(١) المرجع السابق، ص٢٣٨.

(٢) سيمون دي بوفوار ١٩٠٨- ١٩٨٦م، كاتبة فرنسية صديقة وعشيقة لسارتر. من مؤلفاتها «الجنس الآخر». راجع جريدة الاهرام ١٥ إبريل ١٩٨٦م ص١.

(٣) جان بول سارتر، نقلا من كتاب (الوجودية فلسفة الواقع الإنساني) تأليف غازي الاحمدي، منشورات مكتبة الحياة بيروت ص ٣٦

(٤) جان بول سارتر، نقلا من كتاب (الوجودية فلسفة الواقع الإنساني) تأليف غازي الاحمدي، منشورات مكتبة الحياة بيروت ص ٣٦

مايمكن أن يقدره الذهن يمكن وجوده خارج الذهن بمجرد ذلك الامكان الذهني، فالتفرقة بين الماهية والوجود خطأ، حيث لا تتحقق الماهية للشيء إلا بوجود عينه، ومالم توجد عينه فإن ماهيته لاتوجد إلا في الأذهان، وفرق كبير بين الوجود الذهني والوجودي العيني. يقول شيخ الإسلام رحمه الله : «فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وأنه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته، بل ليس وجوده وثبوته في الخارج زائداً على ذلك .

وأولئك يقولون الوجود قدر زائد على الماهية، ويقولون الماهيات غير مجعولة، ويقولون وجود كل شيء زائد على ماهيته، ومن المتفلسفة من يفرق بين الوجود والواجب والممكن فيقول : الوجود الواجب عين الماهية. وأما الوجود الممكن فهو زائد على الماهية. وشبهة هؤلاء ماتقدم من أن الإنسان قد يعلم ماهية الشيء ولا يعلم وجوده، وأن الوجود مشترك بين الموجودات وماهية كل شيء مختصة به.

ومن تدبر تبين له حقيقة الامر، فانا قد بينا الفرق بين الوجود العلمي والعيني؛ وهذا الفرق ثابت في الوجود والعين والثبوت والماهية وغير ذلك، وهو ثبوت حقيقتها وماهيتها التي هي هي، فالإنسان إذا تصور ماهية فقد علم وجودها الذهني، ولايلزم من ذلك الوجود الحقيقي الخارجي. فقول القائل : قد تصورت حقيقة الشيء وعينه، ونفسه وماهيته، وماعلمت وجوده، أو حصل وجوده العلمي، وماحصل وجوده العيني الحقيقي ، ولم يعلم ماهيته الحقيقية، ولا عينه الحقيقية، ولا نفسه الحقيقية الخارجية، فلا فرق بين لفظ وجوده ولفظ ماهيته؛ الا أن أحد اللفظين قد يعبر به عن الذهني، والآخر عن الخارجي، فجاء الفرق من جهة المحل لا من جهة

الماهية والوجود.

وأما قولهم: إن الوجود مشترك والحقيقة لا اشتراك فيها، - فالقول فيه كذلك فإن الوجود المعين الموجود في الخارج لا اشتراك فيه، كما أن الحقيقة المعينة الموجودة في الخارج لا اشتراك فيها؛ وإنما العلم يدرك الموجود المشترك كما يدرك الماهية المشتركة، فالمشترك ثبوته في الذهن لا في الخارج، وما في الخارج ليس فيه اشتراك ألبتة، والذهن إن أدرك الماهية المعينة الموجودة في الخارج لم يكن فيها اشتراك، وإنما الاشتراك فيما يدركه من الأمور المطلقة العامة، وليس في الخارج شيء مطلق عام بوصف الإطلاق والعموم، وإنما فيه المطلق لا بشرط الإطلاق وذلك لا يوجد في الخارج إلا معينا.

فينبغي للعاقل أن يفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه، وبين ثبوته ووجوده في العلم، فإن ذلك هو الوجود العيني الخارجي الحقيقي، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي، وما من شيء إلا له هذان الثبوتان فالعلم يعبر عنه باللفظ ويكتب اللفظ بالخط فيصير لكل شيء أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان، وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي.

ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه سورة: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ذكر فيها النوعين فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ فذكر جميع المخلوقات بوجودها العيني عموماً ثم خصوصاً، فخص الإنسان بالخلق بعد ما عم غيره، ثم قال ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فخص التعليم للإنسان بعد تعميم التعليم بالقلم، وذكر القلم لأن التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم اللفظ فإن الخط يطابقه، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم

العلم، لأن العبارة تطابق المعنى. فصار تعليمه بالقلم مستلزماً للمراتب الثلاث : اللفظي، والعلمي ، والرسمي ؛ بخلاف ما لو اطلق التعليم أو ذكر تعليم العلم فقط لم يكن ذلك مستوعباً للمراتب.

فذكر في هذه السورة الوجود العيني والعلمي وأن الله سبحانه هو معطيهما؛ فهو خالق الخلق وخالق الإنسان، وهو المعلم بالقلم ومعلم الإنسان.

فأما اثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع^(١).

❏ عدم الاعتراف بغير المحسوس:

اهتم الوجوديون بالأمور المحسوسة، وصرفوا النظر عن الاهتمام بالماهيات. يقول زعيمهم (كيرك جورد): «بينما يجهد الفكر ليفهم المحسوس فهماً تجريبياً، نجد المفكر الذاتي أو الوجودي يجهد على العكس ليفهم المجرد فهماً محسوساً»^(٢).

❏ تفسير الوجود بالأنا أولاً وآخرأ:

تهتم الوجودية بتوكيد الإنسان الفرد في مقابل الموضوعات الخارجية، وهم لا ينظرون إلى الإنسان كموجود بشري، أي ذلك الحيوان الناطق الذي يمثل كل البشر، بل إنهم يعنون ذلك الإنسان الفرد الذي يتفاعل مع الوجود والحياة من خلال تجربته الذاتية الحية، والذي لا يستطيع أحد غيره أن يحل محله في هذه التجربة. فالوجود هو أولاً وأخيراً وجودي أنا، وليس هذا الوجود حالة أو جزئية تنسب إلى وجود عام أو كلي هو الوجود المطلق،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب المرجوم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ،

المجلد الثاني ، مكتبة المعارف زنقة باب شالة اما المسجد الأعظم - الرباط - المغرب ص١٥٦-١٥٩

(٢) كيرك جورد ، يوميات ، ص٧١ .

بل الوجود في جوهره وأصله هو وجودي أنا، أنا الذات المفردة^(١).

٤ الحرية المطلقة (إنكار الحرية الشرعية):

يرى الوجوديون أن الإنسان هو صانع وجوده، ورب أفعاله، ولا وجود لقوة خارجية تفرض نفسها عليه، وتجبره على السير في طريق غير الطريق الذي اختاره هو. فالحرية عندهم هي الوجود الإنساني نفسه، وليست مجرد صفحة مضافة إلى هذا الوجود. يقول سارتر: «إن الحرية ليست صفة مضافة أو خاصة من خصائص طبيعتي، بل هو نسيج وجودي، لأن الحرية هي عين الوجود، بل إن القول بأن الإنسان موجود يعني ببساطة أنه حر»^(٢). فعلى هذا يزعم الوجوديون أنه قدر على الإنسان أن يكون حراً، وليس له أن يتخلى عن حريته، والإنسان يمر بكل لحظة من لحظات حياته بمواقف متعددة، ولا يملك إلا أن يختار بينها، ولا يمكن أن يتوقف عن الاختيار، ومن خلال هذا الاختيار يختار نفسه، ويكون رب أفعاله، وخالق ماهيته، في حرية كاملة^(٣).

٥ إنكار المسؤولية أمام الله تعالى :

يضع الوجوديون الإنسان أمام مصيره في العالم، وعلى هذا الأساس فإن الإنسان مسئول عن تقرير هذا المصير في حياته. ومسئوليته ليست أمام ذاته فقط، بل أمام الآخرين الذين يلتزم معهم في وجوده، لأن الإنسان

(١) راجع د. يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ٢٣٤.

(٢) سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة عبدالمنعم الحفني، ص ١٦.

(٣) راجع: د. يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

- كما يزعم الوجوديون - حينما يختار ذاته ويلتزم بها فإنه كذلك يختار
لأناس آخرين ويلتزم بذواتهم الإنسانية في الحياة(١).

٦ إنكار القيم والأخلاق:

من السمات المتفق عليها بين الوجوديين أن الإنسان هو وحده الذي
يستطيع اختيار القيم والأخلاق والمبادئ داخل إطار حريته. كما أنهم
اتفقوا على عدم الالتزام بالقيم والأخلاق التي لاحرية للإنسان في
اختيارها(٢).

٧ مثل السؤ «العدم»:

العدم ضد الوجود، وهو عند الوجوديين عنصر جوهرى أصيل يدخل
في مقومات الوجود، وما هذا الفشل، وهذه العقبات والحواجز، وهذه الحركة
الذاتية، إلا لتؤلف فكرة العدم. والوجود الإنساني عندهم مهدد في كل
لحظة من لحظاته بالسقوط في العدم. بل إن وجوده للعدم، فتجربة الموت
- مثلاً - تشعر الذات بأنها مفردة لأن الإنسان يموت وحده، ولا يمكن
لإنسان من الناس أن يحمل عن غيره عبء الموت، أو ينوب عنه فيه، ومن
هنا تدرك الذات أنها وحيدة مع مسئوليتها، وأنها للفناء، وأن الفناء
يحاصرها من كل جانب. ولهذا كان العدم عنصراً أصيلاً في تركيب الوجود
- على حد زعمهم - فكل وجود هو وجود لفناء ووجود لعدم(٣).

٨ عدم الطمأنينة :

القلق صفة كل وجودي فلذلك أولى الوجوديون اهتماماً زائداً بالقلق،
وهو نوع من الشعور النفسي الذي ينبثق من الذات الإنسانية في حالة قيام

(١) راجع: جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، منشورات مكتبة الحياة، ترجمة كمال الحاج، ص٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧٩.

(٣) راجع: د. يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص٢٣٩.

هذه الذات باختيار أي نوع من العمل تمضي فيه الحياة. فالإنسان الوجودي قلق في كل شيء يصادفه، أو يجابهه أثناء حياته، فهو قلق في حالة الحرب، وقلق في اختيار الزوجة، أو الطريقة التي يرغب سلوكها في معيشتها، أو في اختيار صديق.. الخ من المواقف والحالات التي يكون الإنسان فيها قلقاً نتيجة هذا الاختيار المتواصل في الحياة البشرية^(١).

وبعد: هذه هي الأسس الرئيسية التي اتفق عليها أقطاب الوجودية، وهي في الواقع مبادئ هدامة أجمع عليها قادة الضلال، وأنكرها الإسلام ورفضها تماماً، فهي معاول هدم للعقيدة، والخلق والمبادئ الإنسانية، وتدمير شامل للحياة بمعناها المستقيم الحر الشريف، وسأفرد - إن شاء الله - مساحة كبيرة من هذا البحث لتحطيم هذه المعاول لتستقر العقيدة في الصدور، والخلق في الضمير، والسلوك، لتبقى الحياة حياة يزيناها الإيمان والخلق والصفاء.

(١) راجع: غازي الاحمدي، الوجودية فلسفة الواقع الإنساني، ص ٤٣-٤٤.

المبحث الثالث: أقسام الوجوديين:

حصر الباحثون الوجوديين في فئتين هما (١):

١. الوجودية المؤمنة "غير الملحدة" - على حد زعمهم - :

أطلق بعض الباحثين على هذه الفئة مؤمنة، وأطلق بعضهم عليها مسيحية، وإنني أحترس من كلا الإطلاقين، فالإيمان لا يصح إطلاقه إلا على حسب المفهوم الإسلامي، كما أن إطلاق لفظ المسيحية لا يصح على هذه الفئة لأن المسيح عليه السلام برئ من مفاهيم النصراني المحرفة وقد سارت في طريقها مستلهمة أفكارها من المسيحية، وأطلق عليها هذا الاسم لأنها تربط نفسها بالإيمان بالله. ولن أسهب في الحديث عن كيفية هذا الإيمان، فيكفي أن نعرف أنها في النهاية ترجع إلى النصرانية، وموقف الإسلام منها معروف وواضح، ولا داعي لتكراره هنا من أعلام هذه الفئة (كيرك جورد) و(كارل ياسبرز) و(بيرد يائيف) و(جابريل مارسيل).

٢. الوجودية الملحدة :

وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها تبرأت من كل المعتقدات الدينية والعادات والتقاليد. ويمثلها (هيدجر) و(سارتر). وهذه الوجودية هي التي شاعت بين الشباب، واشتهرت منذ كتابات سارتر وتلاميذه، حتى اقترنت باسمه، وكأنه هو وحده صاحب هذه الفلسفة. وهذا النوع من الوجودية هو ما سوف أركز عليه - إن شاء الله - لنرى مدى الانحراف الذي وصلت إليه، وكيف أصبحت الوجودية التي يمثلها علماً على الإلحاد والعبث، مع العلم أن من تتبع وقرأ أقوال هؤلاء وأولئك يرى أن الجميع بمنزلة سواء من حيث مجانية المنطق المعقول، لأن الوجوديين جميعاً يتخذون من إرادتهم

(١) راجع: سارتر، الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة كمال الحاج، ص ٤١.

وعاطفتهم مقياساً لكل حق وحقيقة، ولا يعترفون بحكم الشريعة، أو حكم العقل. يقول الوجودي المؤمن - على حد زعمهم - (كيرك جورد): «إن النتائج التي تتوصل إليها العاطفة هي وحدها الجديرة بالثقة وهي وحدها الكافية في البرهنة»^(١).

المبحث الرابع: حقيقة الوجودية:

اختلف الوجوديون حيال حقيقة الوجودية اختلافاً ظاهراً، وقد رفض أكثر الفلاسفة الوجوديين وضع تعريف لها يميزها عن غيرها. إلا أن (سارتر) قد ذكر لها تعريفاً فقال: «إنها ليست إلا أيديولوجية»^(٢) تتلخص في إعطاء الإنسان تعريفاً لا يكون مغلقاً على نفسه، بل مفتوحاً دائماً، لأن الإنسان في جوهره حرية مطلقة^(٣) - على حد زعمهم -.

أما الشراح والنقاد فقد تناولوا الوجودية بالنقد والتحليل إلا أنهم في الواقع قد اختلفوا في أمرها فيما بينهم. يقول الأستاذ/ محمد الفيومي: «ذهب الناس في شأن الوجودية مذاهب شتى، واختلفوا في تقديرها، فقال قائلون إنها مبدأ يهدف إلى ممارسة الحرية الفردية في أوسع نطاق. وقال آخرون إنها كفر بين وإباحية وعبث وسخافة. وهناك من قال إنها حركة دينية على غاية من

(١) كيرك جورد، يوميات، ص ٨٧.

(٢) أيديولوجية: كلمة غير عربية، وليس لها إلى الآن مرادف دقيق باللغة العربية يؤدي معناها، ولكن يقال إنها من أصل يوناني، مكونة من مقطعين (أيديو) أي ما هو متعلق بالفكر، (لوجيه) أي العلم، أي أنها فرع من الدراسات الإنسانية. راجع المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ٢٩، والقاموس السياسي لأحمد عطية، ص ١٦١.

(٣) سارتر، نقد العقل الجدلي، ص ١٨.

التعقيد»^(١). ويقول أيضاً: «فما القول الصواب والأولى بالقبول مع العلم أن هناك أقوالاً أخرى لكثير من الباحثين يضيق المقام عن ذكرها. وفي الواقع أن هذه الأقوال جميعها على صواب، فقد ذكرت سابقاً أن هناك قسمين للوجودية يعتنقها صنفان من الوجوديين، فمن قال إنها مبدأ يهدف إلى الحرية الفردية، وإنها كفر وإباحية وجه هذا القول إلى الوجودية الملحدة، ومن قال: إنها حركة دينية على غاية من التعقيد، وجه هذا القول إلى الوجودية المؤمنة»^(٢).

ولعل الصواب: أنها تجمع بين جميع تلك التعريفات السابقة، فهي تيار ملحد ينادي بالحرية الفردية، ويباين الدين والخلق، ويدعو إلى الكفر والإباحية.

(١) راجع: محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية فلسفة الوهم الإنساني، مكتبة الانجلو المصرية، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٩٤-٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٦.

الفصل الثاني

الجنود الفكرية للوجودية

ويشتمل على مبحثين

أولاً تاريخ الوجودية.

ثانياً أسباب ظهور الفكر الوجودي.

الفصل الثاني

الجزور الفكرية للوجودية

المبحث الأول: تاريخ الوجودية:

١ - في العصور الأولى :

للوجودية جذور عميقة في التاريخ، ويعتبر (سقراط)^(١) أبعد جذور الوجوديين، فقد كان مذهبه رد فعل ضد الأفكار اليونانية القديمة، فعارض الفلاسفة اليونانيين الذين حصروا اهتمامهم في البحث عن اصل المادة، أو في طبيعة الكون، وقعد لهم قاعدته المشهورة: «اعرف نفسك بنفسك» والتي تدل على مدى الاهتمام الذي كان يوجهه نحو النفس الإنسانية لمعرفة حقيقتها الذاتية^(٢).

أما أفلاطون^(٣) فهو أحد الفلاسفة اليونانيين المثاليين، وقد وضع فلسفته على أساس أسبقية الجوهر والصور وعالم المثل على أي شئ في الحياة الإنسانية. وقد أحدثت أفكاره المثالية ضجة كبيرة في تفكير الآخرين

(١) سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م.) فيلسوف من أثينا، وهو من أهم فلاسفة اليونان. عرف بمبادئ الفلسفة. ولم يشأ التخلي عنها حتى أثناء محاكمته، فحكّم عليه بالإعدام. راجع: موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، ج ١، ص ٥٧٦.

(٢) راجع: الإسلام وتيارات الفكر المعاصر، د. طلعت غنّام، عالم الكتب، القاهرة، ص ٤٤.

(٣) أفلاطون، حوالي (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م.) فيلسوف يوناني ولد في أثينا وعاش فيها معظم حياته التي كرسها للدرس والنظر. راجع: موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، ج ١، ص ١٥٤.

من الفلاسفة والكتاب على اختلاف عصورهم وأمكنتهم في الحضارة الإنسانية. والأمر الذي أفاد المفكرين في الوجودية هو معارضة الفلاسفة لها، والعمل على عدم عالم الماهية والجوهر الذي تزخر به الفلسفة الأفلاطونية. وتعتبر الوجودية نقياً للأفلاطونية في استنادها على أسبقية الوجود على الجوهر، ومتفقة مع أفكار الفيلسوف اليوناني (أرسطو) في هذا المبدأ.

٢ - في العصور الوسطى : (١).

أما في العصور الوسطى فقد كانت النظرية الدينية والفلسفة اللاهوتية قد استحوذت على تفكير الناس، وسيطرت على عقولهم في شتى مجالات الفكر الإنساني، في العلوم والفلسفة والأدب والفنون.

وكان يتزعم عالم التفكير في تلك الحقبة من الزمن رجال الكنيسة من القديسين والفقهاء وأئمة المذاهب، وقد عالجوا الوجود الإنساني ومشاكله على نمط شبيه بالمعالجات الوجودية المتأخرة، ويدل على هذا الآراء

-
- (١) يقسم المؤرخون التاريخ الفكري إلى عدة أقسام أو عصور :
- ١ - العصور القديمة (٥٠٠ ق.م) هي عصور الفكر الإغريقي.
 - ٢ - العصور الهلنكية: بعد فتوحات الإسكندر للشرق، وتمتد من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي تقريباً أو الهلنكية المتأخرة ٦٠٠م.
 - ٣ - عصر الظلام : ويمتد من القرن الرابع إلى القرن التاسع الميلادي .
 - ٤ - العصور الوسطى : وهي تمتد من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي.
 - ٥ - العصور المدرسية : وهي داخله في العصور الوسطى ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :
 - أ - من القرن العاشر إلى الثامن عشر الميلادي (وتسمى العصور المدرسية الأولى).
 - ب - القرن الثالث عشر الميلادي (ويسمى عصر إزدهار المدرسيين)
 - ج - القرن الرابع عشر الميلادي (ويسمى المدرسيين المتأخره)
 - ٦ - عصر النهضة وهي من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر الميلادي.
 - ٧ - العصر الحديث القرن الثامن عشر والتاسع عشر
 - ٨ - الفكر المعاصر . القرن العشرين

المنشورة في مؤلفات القديس (أوغسطين)^(١) والقديس (توما الأكويني)^(٢) و(الحلاج)^(٣) و(محي الدين بن عربي) الذي دعا إلى فكرة الاندماج والحلول في ذات الخالق - نعوذ بالله -، وقد تأثر غالب الفلاسفة الوجوديين بمثل هذه النظريات الدينية المتطرفة الإلحادية في الوجود والذات الإنسانية ووجود الخالق^(٤).

٣ - في عصر الفلسفة الحديثة والمعاصرة :

وفي عصر الفلسفة الحديثة والمعاصرة نجد الفيلسوف الفرنسي (باسكال)^(٥) الذي يعد جذع الشجرة الوجودية ورأسم طريقها، والمخطط الأول لمعالمها. ثم جاء الفيلسوف الدنمركي (كيرك جورد) والذي يعد ساق الشجرة الوجودية والأب الرسمي لها، وتبعه الفيلسوف (نيتشه)^(٦) الذي كان يسخر بقوة وعنق من جميع المفاهيم التي كانت شائعة في عصره، ويدعو إلى الحرية المطلقة، ويرى أن الإنسان هو الخالق والمصمم الوحيد لحياته

(١) أوغسطين (٣٥٤ - ٤٤٠م) يعرف باسم (أوليوس أوغسطينوس)، ولد في طاجسطا من أعمال نوميديا على الحدود التونسية. أمه وثنية وأبوه مسيحي. عين ٣٩٥م أسقفاً لمدينة عنابة. الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٧٤.

(٢) فيلسوف ولاهوتي من أصل إيطالي، ولد نهاية ١٢٢٤م بإيطاليا، ومات ١٢٧٤م. لقب بالمعلم الجامع للكنيسة، وكذلك بالمعلم الملائكي. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢١٧.

(٣) أبو عبد الله الحسين بن منصور، متصوف وشاعر عربي من أصل فارسي، ولد ٢٤٤هـ ومات ٣٠٩هـ زنديق قتل على الزندقة.. المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٤) راجع: الوجودية فلسفة الواقع الإنساني، دار مكتبة الحياة، غازي الأحمد، ص ١٧-١٨.

(٥) بليز باسكال (١٦٢٣ - ١٦٦٢) رياضي وعالم طبيعة فرنسي، أحد مؤسسي نظرية الاحتمال.

(٦) نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م) فيلسوف ألماني، راجع: الموسوعة الفلسفية، ص ٥٥٤.

وأعماله كما دعت إلى ذلك الوجودية^(١).

كما يلتقي رواد الوجودية الذين يتسمون بالفئة المؤمنة مع الفيلسوف الفرنسي (برجسون)^(٢) حيث اهتم هذا الفيلسوف بدراسة بعض مشاكل الفكر الإنساني كالحرية والديمومة والزمان والأخلاق والوجود، حيث ورد عنه مايلي: «أنا أدوم إذن أنا موجود»^(٣) فقد ربط الوجود الإنساني بالخلود والديمومة، وفي مسألة وجود الله فهو لا ينكر وجود الإله، إلا أنه يزعم أن الإله لا يدرك إلا بواسطة التجربة التي هي منبع الإدراك والإحساس عند الإنسان. وهذه التجربة تجربة ذاتية صوفية. وبهذا نرى مدى التقاء فلسفة برجسون مع الفلسفة الوجودية من ناحية الإدراك الذاتي، والتأمل في النفس الإنسانية، وحقيقة الوجود الإنساني، وأسبقيته^(٤) - كما يزعم الوجوديون.

ثم تتابع أسلاف الوجودية وروادها الذين انتشرت أفكارهم وروجوا لها بمؤلفاتهم التي ملأت المكتبات، وبمقالاتهم التي تملأ أعمدة الصحف والمجلات، وشاعت الأفكار الوجودية شيوعاً كبيراً في الأوساط الأدبية والفلسفية والاجتماعية، وأخذ الناس يقرأون كتابات الوجوديين في شغف بالغ وإعجاب كبير، وتأييد أكبر.

(١) راجع: ديسري إبراهيم، نيتشه عدو المسيح، سينا للنشر بالقاهرة، ص٢٤١-٢٤٢.

(٢) برجسون (١٨٥٩-١٩٤١م) فيلسوف فرنسي دافع عن الروحانية ضد المذاهب الوضعية والمادية.

راجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص١٢٦.

(٣) برجسون، الديمومة والتقارن، ترجمة فؤاد كامل، دار الفكر، ص١٨.

(٤) راجع: غازي الأحمد، الوجودية فلسفة الواقع الإنساني، ص٢٣-٢٤.

هذا وقد كان للطريقة التي يعبر بها رواد الوجودية عن أفكارهم بواسطة الروايات والمسرحيات، الدور الكبير في كسب الشعبية الهائلة بين المثقفين وأنصافهم. وسأفرد فصلاً خاصاً لدراسة رواد هذه الحركة، حياة وفكراً ومنهجاً، إن شاء الله.

المبحث الثاني: أسباب ظهور الفكر الوجودي:

تتشعب آراء الباحثين في دراستهم لعوامل وأسباب ظهور الفكر الوجودي، ولعل أبرزها وأهمها مايلي:

(١) اعتبر بعض الباحثين أن الوجودية مقاومة للفلسفة التقليدية القديمة، فإذا كانت تلك الفلسفة قد اهتمت بالبحث في الوجود المطلق، والتعرف على علله البعيدة، فإن الفلسفة الوجودية قد حصرت اهتمامها في الوجود الإنساني المفرد^(١).

(٢) كما اعتبرها بعض الباحثين رد فعل لتفشي بعض المذاهب العلمية والفلسفية في القرن التاسع عشر، تلك التي حاولت إثبات فكرة المطلق، فعندما وضع (نيوتن)^(٢) أساس المطلق في العلم، جاء (هيجل)^(٣) ليؤكد

(١) راجع: محمد عبدالله الشرقاوي، مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٢١٨.

(٢) إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) عالم شهير خريج جامعة كامبردج، ومن أهم كتبه (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية)، راجع: الموسوعة الفلسفية، عبدالمنعم الحفني، ص ٤٩٣.

(٣) جورج ولهم فريدريك هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١م) ألماني درس بجامعة برلين ١٨١٨م. له مؤلفات عديدة منها (فيونولوجيا الذهن) وكتاب المنطق. راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم،

فكرة المطلق في الفلسفة، مقيماً كل نظرياته على أساس تلك الفكرة، وهذه الفكرة تقوم على أساس أن هذا العالم وهم من الأوهام؛ إذ أن الحقيقة الوحيدة الكائنة في العالم هي (المطلق) فليس الإنسان الحقيقي هو هذا الفرد أو ذاك، بل هو الإنسان الكلي الذي هو حقيقة تعلق على جميع الأفراد الذين هم ليسوا سوى صور متغيرة لتلك الحقيقة، ومادام هذا العالم متكرر متغير، فليس هو - عالم حقيقي - ويبقى المطلق هو الحقيقة الوحيدة.

وعندما رأى الوجوديون أن من آثار هذه الأفكار محو شخصية الإنسان الفرد، وحقيقته الوجودية الفعلية، والقضاء على تجارب الإنسان الحية بوصفه كائناً له فريدته المتميزة، واعتبار هذه التجارب وهماً من الأوهام، ثار عدد كبير منهم ضد هذه الأفكار^(١).

(٣) كما يرى بعض الباحثين أن ظهور الوجودية كان بسبب سيطرة (الكنيسة الكاثوليكية)^(٢) وهي السيطرة التي يعاني منها العقل الأوربي طوال العصور الوسطى، وعصر النهضة. ففي سيطرة الكنيسة ساد ظلام فكري دامس توطدت فيه العديد من الممارسات الخاطئة مثل صكوك

ص ٢٧٤.

(١) راجع: د. محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، ص ٩٥-٩٦.

(٢) راجع: د. علي جريشه، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للنشر، المنصورة ١٤٠٩هـ، ص ١٤٧.

الغفران، ووساطة رجل الدين بين العبد والرب، ومحاكم التفتيش، كما تصدت الكنيسة لجهود العلماء، وأسكتت أصوات المعارضين باسم الدين، ونظرت إلى الكتاب المقدس على أنه يشتمل على كل ما يحتاجه الإنسان في دنياه وآخرته. وقد جاء التمرد على الكنيسة تدريجياً، كلها استهدفت تحقيق استقلال الفرد، وتأكيد ذاتيته، والدعوة إلى الحرية المطلقة.

(٤) وتعتبر الوجودية أيضاً رد فعل ضد الماركسية^(١) أو الشيوعية، فإذا كانت الماركسية قد جعلت سلطان الجماعة يطغى على سلطان الفرد واستقلاله، فإن الوجودية عملت على فردية الإنسان من طغيان الجماعة. ويرى الوجوديون أن الماركسية قد انتزعت من الفكر الإنساني حريته في الابتكار والسيطرة على الطبيعة، والتحكم بقوانينها وفق اختياره وطبقاً لمفاهيمه وجعلت منه آلة بيدالمادة العمياء ينتج أفكاراً مقيداً بأقدارها، فغداً أشبه بإحدى النباتات الحية التي للبيئة دور كبير في نموها، وأنكرت تأثير الإنسان في التغيير والتحكم بمسار الإنسانية، وحكمت على التطور وحصرت في النظام الشيوعي أو حكم

(١) هي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي. ظهرت في ألمانيا على يد ماركس ولينين بتخطيط من اليهود. راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان، الندوة العالمية للشباب، ط. ٢، ١٤٠٩هـ، ص ٣٠٧.

البروليتاريا (١) (٢).

(٥) ويرى أكثر الباحثين أن الوجودية ظهرت بسبب ظروف المجتمع الأوربي في هذا القرن العشرين، ووجود بيئة ملائمة لأفكار الوجوديين؛ ذلك أن أوروبا عاشت خلال هذا القرن حربين عالميتين (٣) مدمرتين، ذهب ضحيتها الملايين من البشر، ومارتبت على ذلك من التفتت الاجتماعي، والتفكك الأسري، والضيق النفسي الذي سيطر على الناس، وغير ذلك من الآثار التي نشأ عنها جو مشحون بالتوتر والقلق، فدفعت هذا الجو بعض المفكرين إلى البحث عن مشكلة الإنسان، ووجوده، وحياته، وموته، وعلاقته بغيره من الناس، والمجتمع، وبحريته ومسئوليته، وغير ذلك من مشكلات يعيشها الإنسان، وقد ركزوا بوجه خاص على حرية الإنسان ومسئوليته، والدور الذي يمكن أن يقوم به الفرد في أحداث عالمه المعاصر.

إن هذا الجو الاجتماعي الذي وصل ذروته أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي أعقابها، قد مهد الطريق أمام هذه الحركة، إذ بدأ لدى الناس اتجاه جديد في الحياة يتميز بالاستعداد لمواجهة مواقف الحياة،

(١) طبقة العمال

(٢) راجع: د. عبدالمقصود عبدالغني، الاتجاهات المعاصرة في الفكر الإسلامي الحديث، دار الثقافة، القاهرة ١٤٠٨هـ، ص ٤٠٤.

(٣) الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) والحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، راجع: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان ١٤٠١هـ، ص ٧٠٠.

فلم يكن لدى الشباب ارتباط بمهنة معينة، أو طبقة اجتماعية محددة، كما لم يكن لهم ارتباط أسري قوي، ولم يكن لهم أيضاً غاية معينة في هذه الحياة إلا لمجرد أنهم يعيشون، فكان هذا الجو هو الملائم لأفكار الوجوديين وآرائهم في الإنسان والوجود، والحرية، والمسئولية، إلى آخر المقولات التي دارت حولها اهتماماتهم، وبالأخص مقولة الحرية وآراءهم فيها التي هي محور أفكارهم، فقد انطلقت من صيحة التحرر التي كانت في أرجاء أوروبا خلال الحرب، ولكنها بقيت تتردد بعد الحرب بوصفها نظرية اجتماعية حتى قيل إن مؤلفات (سارتر) قد ولدت في ظل الاحتلال. ومع ذلك فقد ظل صدها المدوي يتردد مع انتصار المقاومة. يقول الأستاذ عبدالقادر محمود: «إذا قارنا هدية الحرب العالمية الثانية بهدية الحرب العالمية الأولى، وجدنا أن هدية الحرب العالمية الثانية كانت أفدح وأعظم. فإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد تمخضت عن نزعات التحليل والانحلال، تبعاً لانهايار الأخلاق الفردية وآداب السلوك، وخضوعاً أو استجابة أو تبريراً علمياً أو فلسفياً لمذهب (فرويد)^(١) في الحياة والفنون والآداب، إذا كانت هذه هي هدية الحرب العالمية الأولى، فقد أهدتنا الحرب العالمية الثانية نتاجاً أخبث، تسربت

(١) سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) يهودي نمساوي، صاحب نظرية التطور، راجع: الموسوعة الفلسفية، عبدالمنعم الحفني، ص ٣٠٧.

فيه موجات السريالية^(١)، والوجودية بكل طاقاتها التشاؤمية، والعدمية، والانحلالية العبثية، حتى أصبحت هذه الحركات كأنها أديان جديدة تسعى لتحطيم جميع الأديان السماوية لإقامة أديان إنسانية جديدة في قيمتها وموضوعاتها ومناهجها^(٢).

هذه الأسباب التي ذكرها الباحثون لظهور الفكر الوجودي، أو ساعدت على الذيوع والانتشار. وبعد أن عرفناها، ننتقل إلى معرفة أقطاب هذا الفكر.

(١) اتجاه معاصر في الفن والادب، يذهب إلى مافوق الواقع، ويبرز الأصول اللاشعورية. راجع: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ٩٧.

(٢) د. عبدالقادر محمود، الفكر الإسلامي والفلسفات الممارضة، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٦م، ص ٢٢٦.

الفصل الثالث

أقطاب الفكر الوجودي

ويشتمل على تسعة مباحث

- أولاً كيرك جورد ... حياته .. فكره .. منهجه.
- ثانياً بيرد يانيف ... حياته .. فكره .. منهجه.
- ثالثاً كارل يسبرز ... حياته .. فكره .. منهجه.
- رابعاً مارتن هيدجر ... حياته .. فكره .. منهجه.
- خامساً جابريل مارسيل ... حياته .. فكره .. منهجه.
- سادساً ميرلوبونتي ... حياته .. فكره .. منهجه.
- سابعاً البيركامي ... حياته .. فكره .. منهجه.
- ثامناً جان بول سارتر ... حياته .. فكره .. منهجه.
- تاسعاً عبدالرحمن بدوي ... حياته .. فكره .. منهجه.

الفصل الثالث

أقطاب الفكر الوجودي

الواقع أن عدد الفلسفات الوجودية يساوي عدد الفلاسفة الوجوديين، ولذلك سأقصر الكتابة على أعلامها وأشهر رجالها الذين كان لهم الدور الكبير في توجيه ونشر المفاهيم الوجودية. يقول الفيلسوف الوجودي عبدالرحمن بدوي: «والواقع أن ثمة فلسفات وجودية بمقدار ما يوجد من فلاسفة وجوديين، فهي كما قال أحدهم: (جبريل مارسيل) مثل المروحة تتشعب شعباً بعيدة التباين»^(١). ويقول الأستاذ طلعت غنام: «من يقول أنه يوجد فلسفة وجودية كمذهب متكامل فهو مخطئ، لأنه لا وجود لمذهب واحد أو فلسفة واحدة في الوجودية، وإنما هناك (وجوديات) شتى تقوم على أسس متشابهة لكنها جميعاً تختلف الواحدة منها عن الأخرى، وتتميز بعضها عن البعض بتميز أصحابها والداعين إليها. فمثلاً هناك وجودية (هيدجر)، ووجودية (سارتر)، ووجودية (كيرك جورد)، ووجودية (ميرلر، بونتي)، ولكنهم جميعاً اشتركوا في صفة واحدة، أنهم اتخذوا الوجود محوراً لتفكيرهم»^(٢).

ومن خلال الدراسة الموجزة لحياة وأفكار أقطاب الفكر الوجودي ستنتضح لنا الخلفية وراء هذه المفاهيم والمقولات. يقول الأستاذ أنور الجندي: «ولا ريب أن قادة الدعوة الوجودية كانوا جميعاً من الشوان، وكانت حياتهم الخاصة مليئة بالاضطرابات (كيرك جورد - جابريل مارسيل - هيدجر - سارتر). ولقد ظلت الصفحات التي كتبها كيرك جورد نحو مائة سنة مغمورة حتى أخرجتها

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت، ص ١١.

(٢) طلعت غنام، الإسلام وتيارات الفكر المعاصر، ص ١٣.

اليهودية التلمودية في أوائل هذا القرن وأذاعتها وترجمتها»^(١). وسأبدأ بالحديث عن رائد الوجوديين في العصر الحديث (كيرك -جورد) فهو الأب الحقيقي الأول للوجودية، وقد أجمع النقاد على أنه المرجع الأول في نشأة الوجودية الحديثة^(٢).

المبحث الأول

سورين كيرك جورد (١٨١٣ = ١٨٥٥م)

أولاً : حياته :

هو (سورين ميخائيل بدرسن كيرك جورد) ولد في كوبنهاجن في ٥ آيار ١٨١٣م، وقد تأثر بوالده تأثراً عميقاً، فقد كان الأب دائم الكتابة، متعصباً، ومتعلقاً بالمسيحية المحرفة، وكان كثير المجادلات اللاهوتية^(٣)، فنشأ الابن (سورين) في عزلة وتأمل، ثم يمم شطر المقاهي، وأقبل على الملذات، وانغمس في المحرمات، وكان كثير السخرية والتهكم. وفي ١٨٢٠م دخل مدرسة (بورجر ديدسكول) فكان في المدرسة يعتزل زملاءه، ولا يصادق أحداً، ولا يدعو أحداً إلى منزله، فظل بينهم غريباً، وموضوعاً للشفقة والثناء بسبب شكله وملبسه الذي لا يتغير، وقد كان قليل الاجتهاد غشاشاً في بعض

(١) أنور الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، ص ١٩٠.

(٢) راجع: د. إمام عبدالفتاح إمام، كيرك جورد رائد الوجودية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ٢٧. وراجع أيضاً: بول فوكيه، هذه هي الوجودية، ترجمة محمد عيتاني، دار بيروت، ص ٤٥.

(٣) اللاهوت تعبير اصطلاحى في الفلسفة المسيحية عند القائلين بالاتحاد، ويراد به الجزء الإلهي الذي حل في المسيح الإنسان الذي يعبر عنه الناسوت - على حد زعم المسيحيين.

الأحيان (١). وفي سنة ١٨٣٤م فقد أمه وإحدى أخواته فحصل له فترة من الهبوط النفسي والقلق والجزع، وتسلبت عليه الخوف، وشغله هاجس الانتحار، فلجأ إلى الشراب فكان يسكر سكرًا شديدًا، ويطارد المومسات (٢) - نسأل الله العافية - وقد وقع بينه وبين والده نزاع بسبب حياته المنحلة مما اضطره إلى الهرب من بيت أبيه، لكنه مالبت أن عاد مرهقًا بالديون، وصالح والده، لكن والده لم يدم طويلًا بعد المصالحة فقد مات سنة ١٨٣٨م. وكان لموت والده وقع الصاعقة عليه فثاب إلى رشده، وقرر أن يستأنف الدراسة بجد ومثابرة فاستطاع سنة ١٨٤٠م أن يحصل على إجازة اللاهوت بتقدير (مقبول) (٣).

هذا وقد سبق له في أثناء دراسته اللاهوتية أن خطب فتاة جميلة اسمها (روجينا أولزن) (٤) وكان لهذه الخطبة أثرها البعيد في حياته؛ ذلك أنه أحبها، لكنه أشفق عليها أن تضم جمالها وشبابها إلى يمامة وعبوسه وشيخوخته المبكرة، وحاول قبل فسخ خطبتها أن يسيرها في طريق التدين التي التزمها، غير أن (روجينا) لم تكن بالفتاة القابلة لهذه الأفكار، فحكمت عليه بالجنون. وفي ذات مساء ذهب إليها في بيتها فتشاجر معها دون مبرر فكانت النهاية، وقد ألهم هذا الانفصال عبقرية سورين فسأل قلمه وألف كتباً عنها (يوميات)، (مجرم وغير مجرم)، (خوف ورعدة) (٥).

(١) راجع: د. عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ٢٢-٢٧، وراجع أيضاً كتابه:

موسوعة الفلسفة، ج ٢، ص ٣٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٣) راجع: كيركيغارد، ت بيار سنار، ترجمة عادل العوا، منشوات عديدات باريس وبيروت، ص ١٠.

(٤) بنت مستشار في البلاط الملكي، ماتت سنة ١٩٠٢م.

كان (كيرك جورد) يعد لإحدى إصداراته فسقط مغشياً عليه في أرض الغرفة، ومرت هذه الحادثة، وعاد إلى مواصلة كتاباته، وبعد أشهر تكررت الحادثة فسقط مغشياً عليه ونقل إلى المستشفى حيث رقد حوالي شهر ثم مات في (نوفمبر ١٨٥٥م) (١).

وبعد، هذه هي حياة مؤسس الوجودية، وإن دلت على شيء فتدل على أنها حياة مليئة بالتوتر والقلق، والتمزق، والضغط. حياة مليئة بالتناقض، وبعدم الاتزان والروية، والتمرد الخارج على المؤلف وقوانين المجتمع والعادات والأخلاق. حياة مليئة بالانحراف عن المنهج الطبيعي للنفس الإنسانية السوية.

ثانياً : مؤلفاته :

صدرت له المؤلفات التالية حسب تاريخ صدورها:

- (١) ١٨٤٣م ظهر كتابه (إما...أو) تحت اسم مستعار، وفي نفس السنة أصدر كتابين هما (الخوف والقشعريرة) و(التكرار).
- (٢) ١٨٤٤م صدر له أيضاً كتابان هما (فكرة القلق) و(شذرات الفلسفة).
- (٣) ١٨٤٥م صدر له كتاب رئيسي سماه (مراحل على طريق الحياة)، والمطلع على المؤلفات السابقة يدرك الأثر العميق الذي خلفته خطيبته في أسلوبه وأفكاره.

(٤) ١٨٤٦م أصدر كتاباً اسمه (حاشية غير علمية على الشذرات الفلسفية).

- (٥) ١٨٤٧م صدر له كتاب (طهارة القلب) وفيه يعرض فكرة الفرد والتي تعد من الركائز الأساسية في مذهبه. وفي نفس السنة صدر له كتاب بعنوان

(٥) راجع: د. إمام عبدالفتاح إمام، كيرك جورد رائد الوجودية، ج ١، ص ١٢٨.

(١١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٧ - ١٨٩.

(حياة الحب وسلطانة).

(٦) ١٨٤٩م نشر كتاباً بعنوان (المرض حتى الموت)، وفي نفس السنة صدر له كتاب (التدرب على المسيحية).

(٧) ١٨٥١م نشر آخر كتبه بعنوان (من أجل امتحان للضمير موجه إلى المعاصرين)^(١).

والذي يطلع على هذه المؤلفات يؤكد أنها خليط غريب من الاعترافات العاطفية الشخصية، والتأملات الفلسفية، والمقالات الأدبية، حيث يرى أحياناً في الكتاب الواحد تتعاقب الأجناس الأدبية، من يوميات، إلى صور أدبية، إلى نقد مؤلفين، إلى تفسير أحلام. ويرى كذلك تنوع اللهجة، فينتقل سريعاً من الجد إلى الهزل، ومن التهكم والسخرية إلى العرض المنسق الجاد. وإن دل هذا على شيء فيدل على أنه متقلب المزاج، ذو أهواء ونزوات، دائم الكآبة.

ثالثاً : فكره ومنهجه :

يتحدد فكره ومنهجه في عدة أمور منها مايلي:

(١) الحيرة والشك في أفكاره، فقد أنكر كل شيء، ويئس من كل شيء، واتخذ إلهه هواه، هادفاً من وراء ذلك إقامة تيار وجودي على صورة تروق له، متخذاً التشكيك لترويج الأباطيل الإلحادية، وهدم الدين، ورفض العقل،

(١) راجع: د.علي عبدالمعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، دار المعارف الجامعية بالاسكندرية، ص٤٧٥-٤٧٩. وراجع أيضاً: د.عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج٢، ص٣٢٠-٣٢٣.

وتكذيب المادة، وإنكار المعارف الأولى. بعد هذا الشك اتجه (كيرك جورد) إلى نفسه كي يتخذها مصدراً لمعرفته بعد أن سلبها قواعد رؤيتها للأمور من عقل أو تجربة، التي هي طرق إدراكها، محاولاً أن يبني من حطام هذه النفس المقهورة (سليماً) ينقذه من (مأساة) ترديه في قاع الضياع والفناء الإنساني، معتمداً في علاقته مع نفسه على وجودها الخاص (١).

(٢) دعا كيرك جورد إلى الفردية والعزلة، فالفرد يوجد من خلال تحقيق حريته الشخصية وذاتيته، وهذا المنهج الذي نهجه هو الأساس الذي سارت عليه الوجودية من الاهتمام بالفرد، وإعطائه الحرية الكاملة التصرف في سلوكه وفي حياته، وفي هذا تقديس للفرد وتطبيق للأناية المطلقة حيث لا موجه له ولا ضابط إلا مصلحته الذاتية (نقطاً) (٢).

(٣) اعتبر (كيرك جورد) نفسه هي مصدر معرفته وهي بلهيمته ومرشدته التي تمده بالمنهج الذي يسير عليه، وتمده بالدين، وتوصله بالله حسبما يترأى له ويريده، فهي مقصده وغناؤه عن كل مصدر . وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية، رفض كل فكر أو معتقد وصه من أي طريق، أو تأصل على أي منهج، فرفض الوحي والنبوة والعلم والعلماء، وكل اتجاه عقلي أو مثالي، ورأى أن هذه موارد قد أضرت بالإنسان، لأنها

(١) راجع: بولس سلامة، الصراع في الوجود، دار المعارف بمصر، ص ١٤٤ - ١٧٤.

(٢) راجع: علي عبدالمعطي محمد، مقدمات في الفلسفة العامة، دار النهضة، بيروت، ص ٣٣٠.

صرفته عن الوصول إلى غايته المنشودة، وهو الوجود الحقيقي الذي هو - في نظره - لا يخرج عن وجود الإنسان في نفسه، الذي لا بد له أن يكون وجوداً ذاتياً مجرداً عن أي اتصال خارج عنه.

(٤) هجومه على الفلسفات العقلية التي سبقته هجوماً عنيفاً مدعياً أن العقل يجعل الإنسان يلتزم بقواعد وقوانين الكون والألوهية، والعلاقة بينهما، والالتزام بهذه القوانين تحمل على (حتمية) صارمة لا مبرر لها - كما يزعم^(١). ولعل هجوم (جورد) على العقل وقوانينه وعلى العلم المادي منه بالذات كان لتأصيل فكرة الوجودية بعدما زعزع الثقة في العقل كمصدر للمعرفة والإدراك، وأنكر الدين، وادعى عدم الحاجة إليه، فالإنسان يمكن أن يكون له دينه الخاص به - على الشكل الذي يرغبه - وليس بحاجة إلى نبي ليشرح له علاقته بالإله أو يبين الدين، وهذا بلاشك تخبط نعوذ بالله.

(٥) رفض كيرك جورد مناهج الدين والعلم والفلسفة والأخلاق، معللاً ذلك بتعليلات واهية، ليس لها سند من قول أو فعل، سوى التعالي والتكابر، والادعاء بأن هذه المناهج تحد من حرية الإنسان ووجوده.

(١) راجع: بولس سلامة، الصراع في الوجود، دار المعارف، مصر، ص ١٤٤ - ١٧٩.

(٦) اتخذ (كيرك جورد) منهجاً ذاتياً له، وقد صور العقاد^(١) هذا المنهج بقوله: «إنما نهدي إلى وجودنا بثورة في أعماق هذا الوجود، نهدي إليه (بصدمة) في عاطفة قوية أو بيقظة من يقظات الضمير، أو بضربة من ضربات التجارب تفصلنا عن المجتمع الذي نعيش فيه، أو نتناول مكاننا منه بالتحويل والتبديل»^(٢). إن المنهج الذي ارتضاه (جورد) للوصول إلى تحقيق الوجود هو أن يرد عليه محنة من المحن، أو ضربة من ضربات الحياة، وهذه هي التي تحوله إلى أعماق نفسه، وسبر أغوارها الداخلية.

(٧) الوجود عنده لا يتحقق إلا بعد أن يتحرر الإنسان من كل ما يراه قيداً على حريته، والحرية عنده هي العمود الفقري للوجود، إنها لديه الاختيار النابع من القلق، وهذا الاختيار هو ما عناه في كتابه (إما..أو) أو معناه إما أن تجد نفسك أو تفقدها كل الفقدان^(٣).

(٨) عارض كيرك جورد منهج (هيجل)^(٤)، فحين يدعو (هيجل) إلى النزعة الاجتماعية، والاهتمام بالمجتمع، واعتبار الفرد جزءاً من آلة كبرى، وإخضاعه لقيود المجتمع ونظمه وثقافته، ووجوده لا يتحقق إلا من خلال

(١) عباس محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، ١٣٠٦ - ١٣٨٣هـ، أديب مصري، شاعر وناشر ومؤلف وكاتب كبير. راجع: المستدرک علی معجم المؤلفین، رضا کحالة، ص ٢٢٣.

(٢) العقاد، المذاهب الهدامة، دار الكتاب اللبناني، ص ٣٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨٠.

(٤) جورج وليم فريدریک هيجل ١٧٧٠ - ١٨٣١م، فیلسوف ألماني له مؤلفات كثيرة منها (فينومينولوجيا العقل) و(علم المنطق). راجع: الموسوعة الفلسفية، عبدالمنعم الحفني، ص ٥١١.

المجتمع، وبهذا نادى الماركسية، التي اعتبرت الفرد طاقة مادية تضاف إلى الطاقات الأخرى من أجل حياة المجتمع وبقائه، دعا كيرك جورد وغيره من الوجوديين إلى تطبيق النزعة الفردية وإعلاء شأن الفرد على حساب المجتمع. يقول الشيخ/ محمد قطب: «ولنبداً بالحديث عن النزعة الفردية المتطرفة، فحين تفسد فطرة الفرد، ويحس بوجوده الذاتي إحساساً مبالغاً فيه، يكون قد اعتدى على الآخرين إعتداءً مؤكداً، ليحقق لنفسه أكثر مما ينبغي له من المتعة الفردية الأنانية، وهو مع ذلك لا يعتزل المجتمع، ولا يعيش وحده متنازلاً عن العون الضخم الذي يستمدّه من وجوده في الجماعة، والتسهيلات الهائلة التي تيسرها له مجموعة من الأفراد، فكأنه في تبجحه يريد أن يستغل المجموع إلى أقصى درجة، ثم لا يؤدي نصيبه من التكاليف. وهنا موضع للجدل الشديد بين دعاة الفردية، وبين النظرة المعتدلة المتوازنة. فهم حيناً يزعمون أن المجتمع لن يضره شيء في أن يستمتع الفرد بحريته فيما يسمونه شئونه الخاصة، وهم حيناً آخر ينكرون حق المجتمع في التحريم على الفرد في تلك الشئون، أو في تحقيق ذاتيته، كما يقول الوجوديون وغيرهم من المنحليين، سواء كان في ذلك ضرر على المجتمع أو لم يكن، لأن الأصل هو الفرد، وهو الذي ينبغي أن يتحقق له وجوده الكامل رضي الآخرون أم غضبوا!! وفي كلا القولين مغالطة هائلة تنهار أمام المنطق الصحيح»^(١).

ولنا بديننا الإسلامي الغني، حيث لا يقر الصراع بين الفرد والمجتمع، بل لا يقر التعارض بين مصلحتهما، فهو لا يقر إعطاء الفرد حرية مطلقة دون أي

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ط ٤، ١٩٦٥م، ص ١٤١، دار إحياء الكتب العربية.

نوع من القيود التي يضعها لتصرفات أفرادها، ويتخذها دستوراً في حياته، وإلا انقلبت الحياة إلى فوضى، وتحولت إلى صراع مرير بين الفرد والمجتمع، يقضي عليهما جميعاً، كما أن الإسلام لا يلغي شخصية الفرد، ويدمجها إدماجاً كلياً مع المجتمع، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل التفكير لدى الأفراد، ويقضي على ملكة الاختراع والإبداع، ويؤدي بالتالي إلى وجود قطعان من البشر لا تختلف كثيراً عن قطعان الحيوانات، بل يقيم الإسلام العلاقة بين الفرد والمجتمع على الأخوة الصادقة والتعاون المثمر البناء.

المبحث الثاني

بيرد يانيف (١٨٧٤ - ١٩٤٨م)

أولاً : حياته :

ولد نيقولا ألكسندر روفيتش بيرد يانيف سنة ١٨٧٤م بمقاطعة (كريف)^(١)، وبعد أشهر الفلاسفة الروس الوجوديين، ودرس بجامعة (كريف) في كلية الحقوق، ولكنه لم يتخرج من هذه الكلية، فقد ألقى القبض عليه سنة ١٨٨٨م لانضمامه إلى الحركة الاشتراكية، وحاول التوفيق بين (ماركس)^(٢) و(كنت)^(٣)، ثم تخلى عن الماركسية سنة ١٩٠١م وعاش من سنة ١٩٠١م إلى سنة ١٩٠٨م في (بترسبرخ)^(٤) وشارك في حركة التجديد الروسي، وفي سنة ١٩٠٩م أقام في

(١) عاصمة جمهورية أوكرانيا الاشتراكية على نهر اندنيير من أكبر المدن الروسية.

(٢) كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م) هو زعيم الشيوعية العصرية، ولد من أبوين يهوديين، له كتب أهمها (رأس المال). راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٤٠١.

(٣) عمانويل كنت (١٧٢٤ - ١٨٠٤م) فيلسوف مثالي صاحب نظرية المذهب النقدي. راجع: الموسوعة الفلسفية، عبد المنعم الحفني، ص ٣٧٢.

موسكو، وأسهم في حركة الإصلاح، وانتخب نائباً في (مجلس الجمهورية)، وفي سنة ١٩١٩م أنشأ الأكاديمية الحرة للثقافة الروحية، وفي سنة ١٩٢٠م صار أستاذاً في جامعة موسكو حيث ألقى محاضرات نشر بعضها في سنة ١٩٢٩م في برلين تحت عنوان (معنى التاريخ) ولكنه طرد من روسيا سنة ١٩٢٢م لمعاداته للشيوعية، فعاش في برلين إلى سنة ١٩٢٤م ومن ثم انتقل إلى باريس في نفس السنة، حيث عاش فيها حتى وفاته في ٢٢ مارس ١٩٤٨م (١).

ثانياً : مؤلفاته :

كتب (بيرد يائيف) عدداً كبيراً من الكتب والمقالات، ترجم معظمها إلى لغات عديدة، ومنها حسب تاريخ صدورها:

- (١) ١٩٠٠م أصدر كتاباً بعنوان (الذاتية والمثالية في الفلسفة الاجتماعية).
- (٢) ١٩٠٧م كتب (الوعي الديني الجديد والمجتمع)، وفي نفس السنة أصدر كتاب (فلسفة الحرية).
- (٣) ١٩١١م أصدر (معنى الإبداع).
- (٤) ١٩٢٢م أصدر كتاب (فلسفة المساواة).
- (٥) ١٩٢٣م أصدر الكتب التالية: (تصور دوستويفكي للعالم)، و(معنى التاريخ).
- (٦) ١٩٢٤م أصدر كتاب (فلسفة الروح الحر، اشكالات واعتذارات مسيحية) في مجلدين، وأصدر كتاب (عصور وسطى جديدة).

(٤) ليننجراد حالياً .

(١) راجع: (نيقولا لوسكي) تاريخ الفلسفة الروسية، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة زكي نجيب محمود، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٦٢-٢٦٥.

(٧) ١٩٢٩م أصدر كتاب (مصير الإنسان)، وكتاب (مقال في علم الأخلاق المتناقض).

(٨) ١٩٣١م أصدر كتاب (الذات وعالم الأشياء).

(٩) ١٩٣٧م أصدر (الروح والواقع) ، و(أسس الواقع الإنساني الإلهي).

(١٠) ١٩٣٩م أصدر كتاب (عبودية الإنسان وحرية).

(١١) ١٩٤٦م أصدر كتاب (الفكرة الروسية)، وفي سنة ١٩٤٧م أصدر آخر كتبه

وهو (مقال في الميتافيزيقيا الأخروية)(١).

ثالثاً : فكره ومنهجه :

يتجلى فكره في عدة أمور منها يلي:

(١) أطلق (بيرد يائيف) على نظريته (التعددية الواحدة) وفي ذلك يقول:

«والإنسان نواة هذه النظرية، وهو فرد فريد يحقق إمكانياته بالتفاعل

والتواصل باستمرار بالآخرين وباللله»(٢).

(٢) ادعى أن عبادة الله ليست هي الغاية، وفي ذلك يقول: «أكمل شخصية

هي الله، وعبادته ليست الغاية الموضوعية للناس، لكنها المشاركة

الذاتية منهم في كل فعل خلاق، والإنسان ذات لكن ليست كل ذات

شخصية، والذات لا تكون شخصية إلا عندما تفعل في حرية لتحقيق

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج١، ص٣٤٥، والموسوعة المعربة الميسرة، ج١، ص٤٦٠.

(٢) راجع: د.عبدالمنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، نقلاً من كتاب بيرد يائيف (مصير الإنسان)، ص٣٤-٣٥.

نفسها، وليست لتحقيق أهداف مجردة أو مفروضة عليها، والمجتمع الأصيل هو المجتمع الذي يهيئ للذوات فرص تحقيق نفسها لتصبح شخصيات».

(٣) محاولته التوفيق بين الدين والوجودية، ومزجها جميعاً بالماركسية ببرنامجها الاقتصادي والاجتماعي، ولكنه يرى أن الماركسية تقود إلى إهدار الحرية الشخصية، ويرى ويشعر بضرورة الحرية، حيث يدعي أن هذه الضرورة ناتجة عن أن هذا الإنسان قد صنع على صورة الله ومثاله^(١) - على حد زعمه.

(٤) سلب هيمنة الله (سبحانه وتعالى) على الوجود، وفي ذلك يقول: «لا يمكن أن يكون الله الخالق مسئولاً عن الحرية التي ينشأ عنها الشر»^(٢). ويقول أيضاً: «الله الخالق قادر قدرة تامة على الوجود وعلى العالم المخلوق، ولكن لاسلطان له على اللاوجود أو على الحرية اللامخلوقة»^(٣).

هذه بعض أفكاره استقيناها من كتبه، والتي أوردنا منها بعض النصوص، والمتمعن لهذه النصوص يرى فيها من مجانية للصواب وزيف عن الحق الذي قررته العقيدة الصحيحة، العقيدة الإسلامية والمتمثل بما يلي:

(١) المرجع السابق، ص ٣٦.

(٢) بيرد يانيف، نقلاً من كتاب نيقولا لوسكي (تاريخ الفلسفة الروسية) ص ٢٦٢، نقلاً من كتابه (مصير الإنسان).

(٣) بيرد يانيف، نقلاً من كتاب نيقولا لوسكي (تاريخ الفلسفة الروسية) ص ٢٦٢، نقلاً من كتابه (مصير الإنسان).

(أ) تشير العقيدة الإسلامية ممثلة في دستور هذه الأمة (القرآن الكريم)، وفي دراسته عن الوجود الإنساني أن هناك هوة وجودية سحيقة بين وجود الله ووجود الإنسان، ولا يمكن بأي حال أن نضع جسراً بين ذلك الوجودين. بمعنى أن يدعي بعض البشر أن وجودهم قارب وجود الخالق، أو أنهم والخالق - جل وعلا - صورة واحدة، إلى غير ذلك من التعبيرات الفاسدة والاصطلاحات الموضوعية كما يزعم الوجوديون المسيحيون.

(ب) إن غاية الإنسان، ووجهته، ومنتهاى أمله، هي حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، والحصول على مرضاته، وطريق ذلك عبادته وحده لا شريك له. فالإنسان لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى، وإنما خلق لغاية وحكمة، وادعاء (بيرد يائيف) بأن عبادة الله ليست الغاية الموضوعية للذات هي امتداد للنظرية المادية الملحدة التي لم تعرف للإنسان غاية، لأن الغاية تقتضي قصداً، والقصد يقتضي قاصداً، وهي تنكر أن يكون الإنسان قد خلق قصداً، ولهذا فليس للإنسان - في نظرها - رسالة غير رسالة الكدح وراء العيش، فهو يعيش لنفسه فقط ومتاع دنياه، فإذا مات فقد انتهى كل شئ في وجوده.

(ج) ينكر الفيلسوف الروسي الوجودي، قدرة الله الشاملة، وعلمه المحيط بكل شئ، وهيمنته على الكون كله معتقداً أن الحرية لا يمكن أن تخلق، وأنها لو كانت مخلوقة لكان الله مسئولاً عن الشر الكورني، فتصبح العدالة الإلهية أمراً محالاً - على حد زعمه - وسفسطة هذا الفيلسوف ليست وليدة يومه، بل امتداد لادعاءات باطله قال بها المعتزلة - معاذ

الله - والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء، ما كان وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤)، فالله سبحانه وتعالى مهيمن على هذا الكون وما احتوى عليه قبل خلقه وبعده.

(١) سورة فاطر، آية ٣٨.

(٢) سورة طه، آية ٧.

(٣) سورة التغابن، آية ٤.

(٤) سورة الملك، آية ١٤.

المبحث الثالث

كارل يسبرز (١٨٨٢ - ١٩٦٩م)

أولاً : حياته :

هو أحد الفلاسفة الوجوديين، ألماني الجنسية، ولد في ٢٢ شباط ١٨٨٣م في (اولدينبرج)^(١). درس القانون والطب في جامعات (هيدبرج)^(٢) و(ميونخ)^(٣) و(برلين)^(٤). وحصل على شهادة الطب من (هيدبرج) سنة ١٩٠٩م. اهتم بأفكار الفلاسفة، وخاصة أفكار رائد الوجودية (كيرك جورد)، وقد مات في ٢٦ شباط ١٩٦٩م^(٥).

ثانياً : مؤلفاته :

يعد (يسبرز) من أغزر الفلاسفة الوجوديين إنتاجاً حيث تزيد مؤلفاته عن الثلاثين، بعضها يزيد عن ألف صفحة، غير أن أهم كتبه حسب الصدور مايلي:

- (١) ١٩١٣م صدر كتاب (طب الأمراض النفسية العام).
- (٢) ١٩١٩م صدر كتاب (سيكولوجية النظرات الفلسفية العامة عن الحياة).
- (٣) ١٩٣٢م صدر كتاب (فلسفة) في ثلاثة مجلدات.
- (٤) ١٩٤٧م صدر له كتاب (المنطق الفلسفي).

(١) مدينة شمال غرب ألمانيا .

(٢) مدينة ألمانية على نهر نيكر .

(٣) مدينة ألمانية على نهر أيبير .

(٤) عاصمة ألمانيا الشرقية سابقاً .

(٥) راجع: معجم الفلاسفة (جورج طرابيشي)، ص ٦٨٠-٦٨١ .

- (٥) ١٩٤٨م صدر كتاب (المجال الدائم للفلسفة).
- (٦) ١٩٤٩م صدر كتاب (أصل وهدف التاريخ).
- (٧) ١٩٥٠م صدر له كتاب (الطريق إلى الحكمة).
- (٨) ١٩٥٧م صدر له كتاب (مستقبل الإنسانية)، وبنفس السنة صدر له كتاب (الفلاسفة العظام)(١).

ثالثاً : فكره ومنهجه :

يتحدد فكره في عدة أمور منها:

(١) يزعم أنه يؤمن بأن هناك وجوداً أعلى هو (الله) ولكنه يتناقض عند تعريفه لخالقه، حيث يرى أن لكل إنسان إلهاً. يقول: «أنا واثق من الله موجود بالإرادة التي تجعلني موجوداً، وثقتي هذه لا تسمح لي بأن أجعل الله في محتوى لمعادلة من المعادلات، أو قانون من القوانين، ولكنها تجعل منه حضوراً للوجود»(٢).

(٢) إنه يزعم أن الوصول إلى الله باجتهاد شخصي وليس عن طريق الأنبياء، فالطريق إلى الله - كما يدعي - طريق شخصية بحتة، يبدئها الإنسان بالكفاح والمجاهدة في سبيل الوصول، ولايتلقاها كما يتلقى الهواء والنور. فالله غير إله الآخرين، لا يشاركه فيه أحد - نعوذ بالله - وهو يرى أن على المرء أن يتوجه وحيداً إلى الله، وأن يحيا حياته مستقلاً

(١) راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٦٨١.

(٢) كارل يسبرز (فلسفة)، ص ٥٦، نقلاً من كتاب (معنى الوجودية)، ص ٧٤.

عن الآخرين، فلا ينجرّف بالعقلية (القطعانية)، فإذا لم يحتفظ بوحده واستقلاله، فقدّ أصالته ووجوده العميق، وفقد بالتالي الشعور بالمخاطرة، وهو شعور أساسي لتحقيق معنى الوجود^(١) - على حد زعمه.

(٣) يزعم أيضاً بأن الدين قضية شخصية بحتة، لاعقيدة عمومية يلزم اتباعها، وعلى حد زعمه بأن الدين في هذه الحالة لا يبقى ديناً، بل يصبح وثنية وخرافة^(٢).

(٤) يتجنب كلمة (الله) في بحوثه لزعمه بأن لها ارتباطات دينية، ويستخدم بدلاً منها كلمة (الشامل) أو (المحيط)^(٣).

(٥) التوكيد بأن المعرفة الذاتية هي المنبع الوحيد للحقيقة، والتفكير في فلسفته يبدأ وينتهي بالذاتية^(٤).

(٦) يظهر على فلسفته التشاؤم والضياع، والإيمان بدعوى المصادفة، حيث يقول: «لقد وجب أن أموت، ووجب أن أتألم، ووجب أن أناضل، وإنني خاضع للمصادفة، مأخوذ بصورة ضحية بشباك الإثم والشعور

(١) راجع: بولس سلامة، (الصراع في الوجود)، دار المعارف بمصر، ص ٢٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(٣) راجع: فؤاد كامل، مدخل إلى فلسفة الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ٩.

(٤) راجع: جان فال، ماهي الوجودية، ترجمة عبدالمنعم الحفني، مديبولي ١٩٧٧م، ص ٥.

بالجريمة»^(١)، ويقول أيضاً: «إن التوق إلى الضياء والوضوح شئ لافائدة منه، فنحن نسير في ظلمة الإيمان، وعندما نحس أننا على ثقة من أنفسنا، فقد أصبحنا تماماً في وسط المتاهة»^(٢).

العقد:

هذه هي أهم النقاط التي وردت في أفكاره، وهي أفكار مضطربة ومنهج متناقض، حيث أنكر الإيمان بالله وجدد الرسائل السماوية، وادعى بأن الدين خرافة، وهي دعاوى باطلة، وهي آراء الشيوعيين الذين كذبوا وضلوا ضلالاً مبيناً. فالدين هو شريعة الإصلاح، وهو الناموس الخالد لدعوة التجديد والبناء والنهضة والحضارة، والمنبع الأزلي للحقيقة والإيمان والعدالة، فليس هو خرافة - كما يدعي يسبرز وأنصاره من دعاة الوجودية والإلحاد - ومحاربة الدين باسم الذاتية والمدنية والحرية، والإنسان في هذه الحياة بأمس الحاجة إلى الدين، فإن في الإنسان غرائز وطبائع مختلفة، جسمية ونفسية، وللجسم حاجات، وللنفس ميول ورغبات، وقد تجمع هذه الغرائز، فتتصل وتتعدى الحدود فتتظلم، فلم يتركها الله سبحانه وتعالى دون أن يضع لها الحدود، وينظم لها أساليب الحياة، وينظم لها أساليب العلاج. والله سبحانه وتعالى هو العليم بما أودع في الإنسان من قوى، وركب فيه من غرائز، وهو اللطيف

(١) كارل يسبرز (فلسفة)، ص ١٩، نقلاً من كتاب (معنى الوجودية)، منشورات مكتبة الحياة، ص ٧٤، ٧٣.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

بخلقه، والمدبر لعباده بحكمته، فوضع له ماشاء من نظم للعبادة، وما شاء من نظم للمعاملات، وأرشده إلى أصول الأخلاق، وصحح له العقيدة في الكون وخالقه، وفرض عليه أنواعاً من العبادات هي علاج للجسم، وعلاج للنفس، ورياضة للقوى الجسمية والروحية، فأمن بها أهل الإيمان، وأنكرها الكافرون، وازدراها العابثون، ومابالله حاجة إلى عبادة الناس، وإلى شكر الناس، فهو الغني عن العالمين. قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(١). وهذه الشعائر وما يتصل بها هي الدين. فكيف يكون خرافة. إذن الدين هو مصدر القوة المعنوية في الأمم، ومهذب الأخلاق والنفوس في الجماعات، وقائد الناس إلى الخير والإيثار والمعروف، وإلى الإيمان والأمن والسلام، وإلى العلم والحضارة، والعزة والمنعة، والسمو الروحي، والطمأنينة النفسية، وهو المرشد إلى الرحمة والإخاء والتعاون، والموجه إلى المثل العليا والفضائل الإنسانية المهذبة، وإلى خدمة البشرية كافة، والداعي إلى أداء الواجب، والشعور بالمسئولية، وإرضاء الضمير، والنأي عن الشبهات، والتضحية بالنفس والمال في سبيل الجماعة وخيرها.

وبهذا ندرك أن الدين هو الذي يدل الناس إلى الحق والآداب والفضائل والأخلاق، والشعائر والشرائع، وإلى وسائل العزة والكرامة والصلاح في

(١) سورة الزمر، آية ٧.

الدنيا. وهو فوق ذلك يهديننا إلى السعادة في الآخرة، وإلى الوسائل التي تبلغنا رضا الله ومثوبته وجناته ونعيمه ورضوانه، فهل بعد هذا يكون الدين خرافة؟

لقد آمننا بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن وحيّاً منزلاً من السماء، ولن نؤمن بخلاف ذلك مهما قال الوجوديون وأذنابهم من الضالين عن طريق الحق. وصدق الله العظيم حيث أمر باتباع الدين، وفرضه على العالمين فقال: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا، وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران، آية ٨٤.

المبحث الرابع

مارتن هيدجر (١٨٨٩ - ١٩٧٦م)

أولة : حياته :

ولد (مارتن هيدجر) في ٢٠ سبتمبر ١٨٨٩م في (مكرش)^(١) لأسرة عميقة الجذور في المدينة، وكان أبوه أميناً لخزانة قديس المدينة، وكانت ديانتها كاثوليكية.

حصل على الشهادة الثانوية سنة ١٩٠٩م والتحق بجامعة (فريبيرغ)، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩١٣م، وأصبح مدرساً ثم أستاذاً في الجامعة بعد تقاعد (هسرل)^(٢) ومنح كرسي الأستاذية، وعندما تولى (هتلر)^(٣) زمام السلطة سنة ١٩٣٧م قبل (هيدجر) منصب مدير جامعة (فريبيرغ) ورحب بتولي هتلر السلطة، وأثنى على إلغاء الحرية الأكاديمية، وقطع علاقته (بهسرل) لأنه لم يكن نازياً، وعين (هيدجر) عضواً بالحزب النازي. لكن تدخل الحزب في شئون الجامعة، وإقالة الأساتذة المعارضين، جعلت هيدجر يستقيل من الجامعة كمدير، وبقي يدرس فيها، وبعد نهاية الحرب منعه الاحتلال الفرنسي من

(١) مدينة صغيرة في مقاطعة بادن بألمانيا.

(٢) آدمند هسرل (١٨٥٩ - ١٩٣٨م) فيلسوف ألماني مذهبه (الظواهرية). راجع: الدعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص٣٥-٣٦.

(٣) أدولف هتلر (١٨٨٩ - ١٩٤٥م) دكتاتور ألماني، زعيم الحزب النازي، شن حرباً على الشيوعيين فطردهم من الوظائف الحكومية، ونكل باليهود، وأشاع الإرهاب بحمام دم، ونصب نفسه قائداً لجيش الالمانى مما أدى إلى نتائج وخيمة، فهزمت ألمانيا على يد الحلفاء، فانتحر هتلر في برلين سنة ١٩٤٥م. راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٨٩١.

العودة للتدريس، وأمضى حياته في بيته إلى أن توفي سنة ١٩٧٦م في مكرش مسقط رأسه (١).

فأخيا : مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة ورسائل عديدة من أهمها (٢).

(١) ١٩٢٧م أصدر كتاب (الوجود والزمان).

(٢) ١٩٢٩م أصدر كتاب (ما الميتافيزيقيا)، وأصدر أيضاً كتاب (كانت ومشكلة الميتافيزيقيا).

(٣) ١٩٣٠م أصدر كتاب (ماهي الحقيقة).

(٤) ١٩٣٥م أصدر كتاب (أصل العمل الفني).

(٥) ١٩٤٢م أصدر كتاب (نظرية أفلاطون في الحقيقة).

(٦) ١٩٤٩م أصدر كتاب (رسالة في النزعة الإنسانية).

(٧) ١٩٥٣م أصدر كتاب (مدخل إلى الميتافيزيقيا).

(٨) ١٩٥٥م أصدر كتاب (ما الفلسفة).

(٩) ١٩٥٨م أصدر كتاب (سؤال الوجود).

(١٠) ١٩٦١م أصدر كتاب (نيتشه).

(١) راجع: (مارتن هيدجر)، ترجمة فؤاد كامل ومحمود رجب، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٤م، ص٧-١٠.

(٢) راجع: مجاهد عبدالمنعم مجاهد (هيدجر راعي الوجودية)، دار الثقافة، القاهرة، ص١٠-١١.

ثالثاً : فكره ومنهجه :

تبرز أفكاره ومنهجه في عدة نقاط نورد منها مايلي:

(١) تأثر بمفهوم الوجود عند (كيرك جورد)، ومع ذلك حاول أن يأتي بلغة فلسفية جديدة تعبر عن عمق الوجود الفردي - بصفة خاصة - وقام تلميذه (سارتر) بتأليف كتاب (الوجود والعدم) يشرح فيه أفكار سيده (هيدجر).

(٢) المعرفة عنده ليست علمية عقلية، أو تجربة حسية، بل معرفة وجودية، أو الوجود في العالم، ولذلك فإن منهجه هو منهج وجودي مبني على تفكير ميتافيزيقي^(١).

(٣) فكرة (العدم) هي السمة الرئيسية لأفكار هذا الفيلسوف الوجودي، فهو يرى أن الحياة محددة في الزمان والمكان، والإنسان جاء إلى هذا العالم بدون إرادته، فكأنه قذف إليه قذفاً، ولا يشعر الإنسان في هذا العالم أنه عالمه أو بيئته، فهو غريب عنه، لأنه - على حد زعمه - لا جذور له تشده إلى الأرض، فالحياة في نظره محدودة بالزمان والمكان، ومثل هذه الحياة في نظره مفرعة، إذ تصبح حقيقة الذات الجوهرية الأساسية هي الاتجاه نحو (العدم). يقول (هيدجر): «حينما يستولي على أنفسنا الشعور بالقلق، فهناك لابد من أن ندرك أنه قد قذف بنا إلى هذا العالم

(١) راجع: هيدجر، نداء الحقيقة، ترجمة عبدالغفار مكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٧م.

على الرغم منا، وأنه قد خلي بيننا وبين نواتنا، وأننا مهجورون لانجد خلفنا أية دعامة نستند إليها، ولا نلمح أمامنا أي هدف ننتزع إليه، ولا نرى فوقنا أية قوة تعيننا على التحكم في مصيرنا»^(١)، ويقول أيضاً: «كلنا سنموت، وما سيبقى من أجسادنا بعد الموت حفنة تراب لاتشمل ذاتنا»^(٢).

(٤) نقد أفكار الفيلسوفين (هسرل) و(هيجل) لإهمالهما وجود الفرد، كما نقد (ديكارت)^(٣) لأن مذهبه مبني على الحقيقة العقلية^(٤).

النقد:

هذه هي أبرز أفكار هذا الفيلسوف الملحد، وهي تدل على مدى القلق والحيرة والغربة والتشاؤم واليأس المتمكن في فكره، المبني على الإلحاد العميق. فهو ينكر كل ما تعارفت عليه الأديان من علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الله بالعالم، وعلاقة الإنسان بفكرة التكليف والعقل، وينكر أيضاً كل عقيدة ترتبط بفكرة النبوات والسمعيات، وما فلسفته العدمية إلا امتداد لمواقف الطبيعيين والدهريين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وقالوا ماهي إلا حياتنا

(١) هيدجر، نقلاً من كتاب (دراسات في الفلسفة المعاصرة)، د. زكريا إبراهيم، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) هيدجر، نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الهم الإنساني) للأستاذ / محمد الفيومي، ص ١٢٥.

(٣) رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م) فيلسوف فرنسي صاحب المذهب العقلي. له كتب (المقال في المنهج)، وكتاب (التأملات). راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٧٠.

(٤) راجع: (هيدجر)، (رسالة في النزعة الإنسانية)، ص ١٩٣، نقلاً من كتاب (هيدجر رامي الوجودية)، د. محاهد عبدالمنعم.

الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(١).

المبحث الخامس

جابريل مارسيل (١٨٨٩ - ١٩٧٢م)

أولاً : حياته :

فيلسوف وكاتب مسرحي، ولد في ٧ ديسمبر ١٨٨٩م في باريس. أبوه كاثوليكي المولد والمنشأ، وأمه التي ماتت وهو في الرابعة من عمره من أصل يهودي، ومن سليلة عائلة يهودية. دخل جامعة (السوربون) حيث حصل على ليسانس الفلسفة، ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره كتب رسالة للحصول على دبلوم الدراسات العليا، ثم عين مدرساً للفلسفة في قندوم سنة ١٩٠٢م وفي باريس سنة ١٩١٥ - ١٩١٨م.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، اتضح أنه لا يصلح للخدمة العسكرية فالتحق بالصليب الأحمر الدولي، فكان أكبر أسباب وقوعه في شرك الوجودية. استقر في باريس نهائياً سنة ١٩٢٢م فأشرف على بعض السلاسل الأدبية،

(١) سورة الباقية، آيات ٢٤-٢٦.

واشتغل بالنقد المسرحي في الصحف والمجلات حيث حصل على الجائزة الأكاديمية الفرنسية للأدب سنة ١٩٤٨م، والجائزة الوطنية الكبرى الفرنسية سنة ١٩٥٨، وعين عضواً في أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية في المعهد الفرنسي. مات في ٨ تشرين أول سنة ١٩٧٣م (١).

ثانياً : مؤلفاته :

يعد (مارسيل) مؤلفاً مسرحياً وافر الإنتاج، مثلت مسرحياته في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسائر أوروبا. وقد نشر يومياته في مجلدين أحدهما نشر سنة ١٩٢٧م بعنوان (يوميات ميتافيزيقية)، والثاني نشر سنة ١٩٣٥ بعنوان (الوجود والملك). وله بالإضافة إلى هذين المجلدين الكتب الفلسفية التالية، والتي هي عبارة عن مجموعة من المقالات والأبحاث وهي:

(١) ١٩٤٠م نشر كتاباً بعنوان (من الإباء إلى النداء) يحتوي على ٣٢٧ صفحة.

(٢) ١٩٤٤م أصدر كتاب (الإنسان المسافر) في ٣٥٩ صفحة.

(٣) ١٩٤٥م جمع بحوثاً سبق نشرها له في مجلة (الميتافيزيقيا والأخلاق) سنة ١٩١٧م وأصدرها بعنوان (ميتافيزيقيا روبيس).

(٤) ١٩٥٠م أصدر كتاباً بعنوان (سر الوجود) وهو في جزئين أحدهما يتكلم عن التأمل والسحر، والثاني عن الإيمان والواقع.

(٥) ١٩٥١م نشر كتاباً بعنوان (الناس ضد ما هو إنساني).

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٣م،

(٦) ١٩٥٥م أصدر كتاب (الإنسان المشكل).

(٧) ١٩٦٤م أصدر كتاباً في ٢١٩ صفحة بعنوان (الكرامة الإنسانية)(١).

ثالثاً : فكره ومنهجه :

إن المتتبع لحياة (جبريل مارسيل)، والمطلع على أفكاره ومنهجه، يدرك أن صدى الوجودية العميق في فلسفته يرجع لأمرين هما:

(١) حياته، فقد تربى في جو متوتر جاف، فوالده ملحد، وأمه يهودية، فكان لإحساسه بالفراغ الدائم الأثر العميق عليه.

(٢) عمله أثناء الحرب العالمية الأولى في دوائر الصليب الأحمر، وفي مكتب (استعلام المفقودين) وقد حز في نفسه أن يرى هؤلاء المفقودين إلى غير عوده - على حد زعمه -.

هذا وقد تأثر (مارسيل) بأسلافه ومعاصريه من الوجوديين، وهو يؤمن بجميع المقالات والمفاهيم الوجودية التي تؤكد على الذاتية وترفض العقل، والإيمان عنده يتجدد بالمشاركة، وفكرة المشاركة من الأفكار الأساسية في مذهبه، ويقصد بها مفهومها في الأفلاطونية المحدثة، بمعنى أننا نشارك في الكون - على حد زعمه - وأن بضعة منا تضم بضعة من الكون. يقول مارسيل:

(١) راجع: كتاب (المرجع في الفكر الفلسفي)، د. نوال الصايغ، دار الفكر العربي، ص ٢٤٨.

«الإيمان هو شعور المرء أنه بمعنى ما في داخل الألوهية»^(١)، ويقول أيضاً عن المشاركة: «تلك العلاقة بين الحرية الإنسانية والحرية الإلهية التي هي السر المركزي في الديانة المسيحية»^(٢).

وهو يرى أيضاً أن الوجودية تدور حول الجسد، فالجسد عنده غير مرتبط بصور سابقة لوجوده، بل هو عمارة قائمة لا صلة لها بالمهندس الذي أقامها، ولا تعترف به ولا بالتصميم الذي أقامها على صورته ورسمه، بل هذه العمارة تهندس نفسها منذ أن اكتشفت وجودها، وعليها أن تخلق عالمها^(٣) (وهذا جحود وكفر).

ولا يخفى ما في هذه الأفكار من إلحاد وزيف وضلال، وصدق الله القائل: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾^(٤).

المبحث السادس

ميرلوبونتي (١٩٠٨ - ١٩٦١م)

أولاً : حياته :

(موريس ميرلوبونتي) فيلسوف وجودي، ولد بمدينة (روثغور) سنة ١٩٠٨م، وتلقى دراسته الثانوية (بباريس)، ثم التحق بمدرسة المعاميين العليا.

(١) عارسليل، نقلًا من كتاب (دراسات في الفلسفة الوجودية)، د. بدوي، ص ١٩٨.

(٢) عارسليل، نقلًا من كتاب (دراسات في الفلسفة الوجودية)، د. بدوي، ص ١٩٨.

(٣) راجع: د. عبدالرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، ص ٢١٨.

(٤) سورة الكهف، آية ٥.

وبعد تخرجه عين معيداً بهذه المدرسة، وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة (السوربون)، فعين أستاذاً بكلية الآداب بجامعة (ليون) سنة ١٩٤٥م، ثم حصل على أستاذ كرسي سنة ١٩٤٨م، فشارك في إصدار مجلة (الأزمنة الحديثة) التي أسسها (سارتر) ، ودعي إلى جامعة السوربون حيث احتل كرسي الأستاذية من سنة ١٩٤٩م إلى سنة ١٩٥٢م. وبعد ذلك تفرغ للتأليف حتى وفاته التي حصلت فجأة في الثالث من مايو سنة ١٩٦١م(١).

ثانياً : مؤلفاته :

كتب (ميرلوبونتي) في موضوعات كثيرة، سياسية، ولغوية، وفلسفية، وشارك في الحياة الفكرية الفرنسية، ورأس تحرير مجلة (العصور الحديثة)، وأهم كتبه(٢):

- (١) ١٩٤٢م أصدر كتاب (بناء السلوك).
- (٢) ١٩٤٥م أصدر كتاب (فينومولوجية الإدراك الحسي).
- (٣) ١٩٤٧م أصدر كتاب (الإنسانية والرعب).
- (٤) ١٩٤٨م أصدر كتاب (المعنى واللامعنى).
- (٥) ١٩٥٣م أصدر كتاب (امتداح الفلسفة).
- (٦) ١٩٥٥م أصدر كتاب (مغامرات الجدل).

(١) راجع: كتاب (ميرلوبونتي) تأليف أندريه روبينييه، ترجمة جمال الأسود، المؤسسة التربوية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٥-٨.

(٢) راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص٦٠٦.

(٧) ١٩٦٠م أصدر كتاب (علامات).

(٨) ١٩٦١م أصدر كتاب (المرئي واللامرئي).

ثالثاً : فكره ومنهجه :

أبرز ما في افكاره ومنهجه الأمور الآتية:

(١) أن الحرية عنده هي صميم الوجود البشري، وهي لا تتطلب دليلاً أو برهاناً لأنه - على حد زعمه - مجرد حضور الذات أمام نفسها ينطوي هو نفسه على الحرية(١).

(٢) أبدى (ميرلوبونتي) إعجابه بالماركسية لواقعيته وربطها بين البشر في المجتمع الصناعي بروابط خلقية واقعية، وإقامتها الوعي على أساس من الموقف المادي - على حد زعمه - لكنه أنكر عليها إسقاطها للذات الإنسانية، وقولها بوجود منطق وجدل تاريخي، ومع ذلك وافقها أن التاريخ عمل جماعي، لكنه وصفه بأنه عارض غير ضروري، بمعنى أنه لا يمكن التكهّن بمسيرته، فهو إذن يؤمن بضرورة بقاء الماركسية، ويرى أنها التعبير الصحيح عن عقلانية التاريخ وتسلسله المنطقي، وأنها هي الأمل ومصدر الخلاص والتحرر، ذلك لأن العمال لن يجدوا حريتهم إلا بها، وبفضلهم سيتحقق التواصل بين أفراد البشر عبر الحدود القومية المصطنعة، وأن عصر ما قبل التاريخ سينتهي وشيكاً،

(١) راجع: زكريا إبراهيم في كتابيه (دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، مكتبة مصر، ص٥٢١)،
(ومشكلة الحرية، مكتبة مصر، ص١٩١-١٩٢).

فببتدئ تاريخ البشرية الحقيقي. والشيعوية - في نظره - قد أرسلت نداءها وهي تنتظر جواب البشرية كلها صامته منزقة متربصة، وسيشهد العالم كله مستقبلاً جديداً يصبح فيه كل الناس سواء.

هذا وقد عارض ماركسية (سارتر) ووصفها بأنها (بلشفية) (١)

مسرقة، وعبر (بونتي) عن رجائه في أن تبرز الروح الماركسية الأصلية لتحقق انتصاراتها التاريخية الموعودة (٢).

(٣) الفلسفة عنده خبرة معاشة، ومنهجه يقوم على وصف هذه الخبرة المعاشة أو العالم أو الوسط الذي تعاشه.

(٤) يدعي أنه قادر على تكوين مذهب فلسفي دون الاستعانة (بفكرة الله) وليس لديه أدلة يقتنع بها هو نفسه بعدم وجود الله (٣).

بعد هذا العرض السريع لأفكار ومنهج (ميرلوبونتي) أوكد أنه لم يأت بأفكار إيجابية جديدة، بل هو زاد من سواد الليل الحالك، حيث أنكر وجود الله بدون سند أو دليل فلسفي مقنع له أو لغيره، وإن دل هذا على شيء فيدل على الإلحاد السافر الماجن في أفكاره.

وأما إعجابه بالشيعوية والماركسية وأنها هي الأمل ومصدر الخلاص

(١) مذهب شيوعي وضعه لينين يرى استحالة الانتقال طفرة من النظام الرأسمالي إلى النظام الشيوعي، وأنه لا بد من دور انتقالي يطبق فيه مذهب الجماعة إلى أن تتغير عقلية الناس. راجع: المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ط ٣، ص ٨٠.

(٢) راجع: معنى الوجودية، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ص ٩٧-١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٨.

والتححرر، وأمنيته ورجاؤه في بروز الروح الماركسية الأصلية لتحقيق انتصاراتها التاريخية الموعودة، فإني أجد عند عرض هذه المزاعم الباطلة والأمني الكاذبة فرصة للإشارة إلى مصير الماركسية في هذا الوقت بالذات، وهل كانت هي الأمل ومصدر الخلاص؟ وأين هي الانتصارات الموعودة؟

إن الأحداث السريعة المذهلة التي تجري في قلعة الشيوعية (الاتحاد السوفيتي)، والتي أسفرت عن نهاية الحزب الشيوعي الذي جثم على الاتحاد السوفيتي حوالي سبعين عاماً، وإنهائه في بضعة أيام. وسقوط هذه القلعة الكبيرة ليدل دلالة قاطعة على مدى تهافت الماركسية اللينينية، التي لم تنشأ وتتم إلا في ظل عالم تسوده الحرب العالمية، سواءً كانت الساخنة أم الباردة، وبعد أن لاحت تباشير عهد جديد من الوفاق العالمي سقطت الشيوعية، وانهارت على الفور دون أن تتحرك جيوش، أو تقصف مدافع أو طائرات، وسقطت أكبر الرموز الحمراء في تاريخ الماركسية اللينينية.

إن سقوط الحزب الشيوعي ورموزه الحمراء بهذه السرعة المذهلة رغم ضخامة الشعارات، ووسائل التأثير، وهو الحزب الحارس للمذهب الشيوعي الهدام ليؤكد تأكيداً لا مراء فيه، ولامجادلة، بأن الشيوعية (أيدولوجيه) ضد فطرة الإنسان وطبيعته، ولهذا فقد أفلست كمبدأ ونظرية في التاريخ الإنساني، وهي مذهب هدام يقوم على الإلحاد، ولايعترف إلا بالمادة التي تعتبر في نظر الفكر الماركسي أساس كل شيء، والعامل الاقتصادي وصراع

الطبقات هما المصدران الأساسيان لتفسير التاريخ.

وها نحن الآن على مشارف نهاية القرن العشرين، وبعد مضي سبعين سنة، نشهد تجارب حصاد هذا المبدأ الهدام، ونخرج بنتيجة لا تقبل الجدل ولا النقاش، مؤداها أن الشيوعية كانت خدعة كبيرة، ومجرد ضرب من الهوس، وشدة الخراب والتخريب، فجميع التنبؤات التي قدمتها الماركسية انتهت إلى سراب، وتمخضت عن خيال وأوهام.

فقد تنبأت الماركسية أن التطور الاجتماعي لا بد أن يؤدي إلى اختفاء فكرة الدولة، واستحالتها إلى مجتمع بلا طبقات، وإذا بالحقائق التاريخية تثبت العكس تماماً، بل إن الشيوعيين أنفسهم لم يعتقدوا يوماً بهذه الفكرة الساخجة، كل ما في الأمر أنهم كانوا يطوعون النظرية لما فيه مصالحهم. بل جاءت طبقة جديدة أخذت تسيطر على المجتمع بشكل لم يعهد من قبل في أي دولة من دول العالم.

وقد سقطت جميع ادعاءات (ماركس) التي يأتي في مقدمتها دعواه أن الماركسية ستأخذ مكانها البارز في الدول الصناعية، وإذا بنا نرى رأي العين عكس ذلك بعد أن سجلت الماركسية فشلاً ذريعاً في جميع دول العالم التي طبقتها، وسادها الفقر والعوز والحاجة والانهيار الاقتصادي الذي لم نشهد له مثيلاً. واتضح لنا بجلاء أن مصير الفلسفة المادية التي روجت لها الماركسية هو التمزق والضياع، وهذا هو المصير المحقق لكل نظرية تخالف الفطرة،

والسنن الإلهية، وتبقى كلمة الله هي العليا، وكتاب الله صالحاً لكل زمان ومكان، وفيه خير الدنيا والدين.

المبحث السابع

البيير كامى (١٩١٣ - ١٩٦٠م)

أولة : حياته :

ولد (البيير كامى) سنة ١٩١٣م في قرية (موندوفي) الجزائرية، لأب فرنسي وأم أسبانية. وكان أبوه عاملاً زراعياً في تلك القرية، ثم قتل في معركة (المارن) الأولى فترملت أمه، وسكنت مدينة جزائرية أخرى لتجد لها عملاً، فأقامت في بيت في حي بلكور ومعها ابناها وأمها وأختها، وعاشت عيشة الفقراء المدقعين، فتأثرت طفولة ابنها الأصغر - البيير - بهذا الحرمان فقضى شبابه في الفقر إلا أنه يعتبرها تجارب حية دفعته إلى مواصلة الدراسة، والانخراط في سلك التدريس، ثم انصرف عنها إلى وظائف الدولة، فعمل كاتباً في مديرية الجزائر، وانشغل في القراءة والكتابة، فكتب مقالات صغيرة بعنوان (الزفاف)، وشغله المسرح كثيراً تمثيلاً وقراءة، واستهوته الصحافة بعد تعرفه على رئيس تحرير جريدة (الجزائر الجمهورية)، ثم انتقل إلى باريس وعمل سكرتير تحرير لجريدة (باريس المسائية).

وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أراد الانخراط في المعارك، فحالت

حالته الصحية دون ذلك، فانضم إلى حركة المقاومة للاحتلال الألماني فاشترك في خلية الكفاح، وطبع هو وبعض أصدقائه نشرة للكفاح سميت بهذا الاسم (الكفاح)، وأصبح (البير كامبي) رئيس تحرير لها حتى مصرعه سنة ١٩٦٠م والذي يعتبره بعض أصدقائه أنه خير مصداق لمذهبه في الوجود، فقد مات في حادث سيارة ميتة (لا معقولة) - على حد زعمهم - ذلك الذي رأى أن كل ما في الوجود - لا معقول - ومات ميتة (استسلام) ذلك الذي نادى دائماً بالتمرد والثورة والمقاومة(١).

ثانياً : مؤلفاته :

- يعد (البير كامبي) أحد كتاب الحركة الأدبية والفكرية في فرنسا، حيث اشترك في تحرير صحيفة (الكفاح)، وتوالت رواياته ومسرحياته ومقالاته الأدبية، التي اتسمت بالمذهب الوجودي. وأهم كتبه ورواياته مايلي:
- (١) ١٩٤٢م أصدر كتاب (أسطورة سيسوفوس)، وفي نفس العام أصدر رواية (الغريب).
- (٢) ١٩٤٧م أصدر كتاب (الطاعون) وفيه يعبر عن لامعقولية الحياة الإنسانية وتفاهتها (على حد تفكيره).
- (٣) من ١٩٤٨ - ١٩٥٥م أصدر مسرحية (كاليجولا) ومسرحية (سوء تفاهم)، ومجموعة أبحاث جمعها في كتاب (الثائر)، وقد حصل على جائزة نوبل

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص١٥٣-١٥٨.

للآداب سنة ١٩٥٧م فكان أصغر من حصل عليها في وقته (١).

ثالثاً : فكره ومنهجه :

البير كامبي أديب روائي قصصي، والمطلع على كتبه أو رواياته أو قصصه يحكم عليها بأنها تتضمن أمرين هما: الثورة.. واللامعقول.

١ أما فكرة اللامعقول، فقد عرضها من الناحية الفلسفية في كتابه (أسطورة سيسوفوس) وقد اتخذ (كامبي) هذه الشخصية الأسطورية رمزاً لحال الإنسان في هذا الوجود. والأسطورة هذه تقوم على شخصين هما (هوميروس) و(سيسوفوس). فالأول يحدثنا عن الثاني فيقول: إنه كان أعقل بني الإنسان، على أنه قيل في رواية أخرى أنه كان يميل إلى قطع الطريق، وأنه عوقب عقابه الرهيب في العالم السفلي حيث قضت عليه الآلهة - على حد تعبير كامبي - بأن يستمر أبداً في إصعاد صخرة إلى قمة جبل لا تلبث بمجرد وصولها إلى القمة أن تسقط من تلقاء نفسها، فيضطر (سيسوفوس) إلى إصعادها من جديد - وهكذا أبداً - وليس ثمة عذاب أفظع من القيام بعمل لا فائدة فيه، ولا أمل في الفراغ منه، فأعتقد أنه عوقب لأنه استخف بالآلهة فأفشى أسرارهم.

لقد جر عليه استخفافه بالآلهة وكراهيته للموت، وعشقه للحياة - هذا العقاب الرهيب - عمل متواصل لا ثمرة له، وهذا هو الثمن الذي لا بد من دفعه

(١) راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، ص ١٤٣٤.

لقاء لذات الدنيا - على حد مزاعم كامبي -.

فكامبي يسرح ويمرح بعقله وخياله الخالي من ذرة من إيمان، فيشبه الإنسان في هذه الحياة (بسيسوفوس) الأنف الذكر حيث يشقى، وشقاؤه من غير جدوى، ويجهد نفسه بالغ الجهد، وجهده ضائع، ويعمل آناء الليل وأطراف النهار، ولا يبلغ من وراء عمله شيئاً، (كل ما في الوجود عبث) - على حد زعمه - وباليته شقي وأجهد نفسه وعمل دون أن يشعر، إذن لما أحس بالعذاب، ولما أدرك أن كل شيء عبث، ولكن مصدر العذاب هو هذا الشعور أو الوعي الذي ينتاب الإنسان في بعض اللحظات النادرة من حياته، أعني تلك الساعة التي يخلد فيها إلى نفسه، ويفكر في قيمة مايعمل، هنالك تزلزله الحقيقية الأليمة الرهيبة - على حد زعمه - (كل ما في الوجود عبث)، وهكذا أبداً حتى الموت، هذه النهاية اللامعقولة^(١) لكل موجود - على حد زعمه -.

٢ أما فكرة الثورة، فقد شرحها (كامبي) في كتاب صدر له سنة ١٩٥١م بعنوان (الثائر)، وتتلخص فكرته في عبارة واحدة «عش ثائراً على الحياة ومت ثائراً على الموت». لكن هذه الثورة على الحياة والموت معاً، أفلا تستلزم الحرية شرطاً لقيامها^(٢)؟

٣ ينكر كامبي المعنى السائد للحرية لأنه يراها حرية العبيد، ولمدى تعمق الإلحاد عنده يمقت أي حرية تمنح له من كائن أعلى، والحرية الوحيدة

(١) راجع: كتاب (مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا). ت/ (نيروبي)، ترجمة عبدالرحمن

بدوي، ج ١-٢، ١٩٦٤، ص ٢٣٠-٢٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٥.

التي يعرفها هي حرية العقل والفعل (١).

٤ يرى أن المشكلة الرئيسية للإنسان في هذه الحياة هي مشكلة الشر في العالم، إذ - على حد زعمه - كيف يحارب الإنسان الشر دون أن يرفع رأسه إلى السماء حيث الله صامت - نعوذ بالله - كما قال ذلك في رواية (الطاعون) (٢).

بعد هذا العرض لأهم أفكار (كامي) نرى أنها تخبطات فكرية ونفسية وإلحادية انطلقت من عدم تصور قضية الإيمان بالرب الخالق القدير العليم الحكيم المختار، والإيمان بحكمة الابتلاء، وما يتبعه من جزاء في حياة أخرى خالدة غير هذه الحياة. لذلك من منطلق فكره التشاؤمي الإلحادي رأى أن الحياة الدنيا تعاسة وشقاء وشر. ولا عجب فمشاعره هذه من الجزاء المعجل الذي يعاقب به الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٢.

(٢) راجع: الموسوعة الفلسفية، عبدالمنعم الحفني، ص ٣٦٥.

المبحث الثامن

سارتر (١٩٠٥ - ١٩٨٠م)

أولة : حياته :

(جان بول شارل إيجار سارتر) فيلسوف فرنسي وجودي، ولد في ٢١ يونية ١٩٠٥م في باريس. نشأ عند أمه التي تزلت ١٩٠٦م وكانت كاثوليكية، فتعلق بها تعلقاً شديداً وصل إلى حد العبادة - نعوز بالله - بعدما فقد الحنان الأبوي في حياته. وعندما انتقلت أمه للعيش مع أبويها شعر سارتر باضطراب حياته وارتباكها وافتقارها إلى الاستقرار، كانت جدته هي الشخصية المسيطرة على حياتها في هذه الفترة الهامة من حياته، مما سبب إصابته بهزة عنيفة كانت لها آثارها في تكوين حياته. ثم اشتدت صدمته عنفاً حين رأى أمه تحيا على فتات جدته وبقايا فضلها^(١). ولما بلغ الحادية عشرة من عمره تزوجت أمه للمرة الثانية، فأدرك أن زوج أمه ليس بأب حقيقي له، مما دفعه إلى وصف نفسه بأنه (يتيم وأنه ابن حرام مزيف)^(٢) - نعوز بالله - وكان هذا الزواج العقدة الأساسية في مأساة سارتر، حيث دفعته هذه التجربة العميقة إلى ادعائه بأنه ليس هناك ما يبرر الوجود.

وقد أنهى سارتر دراسته الثانوية سنة ١٩٢٣م، ثم التحق بدار المعلمين سنة ١٩٢٤م حيث حصل على البكالوريا في الفلسفة، وأصبح معلماً يدرس

(١) راجع: مؤاد كامل عبدالعزيز (فلاسفة وجوديون)، الدار القومية بمصر، ص٤٢-٤٣.

(٢) راجع: (موريس كراستون)، سارتر بين الفلسفة والادب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٦-٧.

الفلسفة في المدارس الريفية. ثم أمضى سنوات تجنيده كاتباً في الجيش الفرنسي، فأعفي من التدريب على القتال بسبب ضعف بصره. هذا وقد كون سارتر علاقة صداقة وحب مع زميلة له هي (سيمون دي بوفوار) وهي أصغر منه، وقد زاملته في مهنة التدريس، وفكر سارتر بالزواج بها إلا أنهما اتفقا على ألا ينجبا أطفالاً فلم يتزوجا إطلاقاً^(١).

وفي سنة ١٩٣٣م ذهب سارتر إلى برلين لتدريس مبادئ وأنكار الفلاسفة الوجوديين، وخاصة (جورد) و(هيدجر)، وبذلك تكونت لديه الأرضية الفكرية لفلسفته الوجودية المملوءة بالإلحاد والزندقة والانحلال الأخلاقي، كما سيتضح ذلك - إن شاء الله - . وفي سنة ١٩٣٥ تعرض لانفيار عصبي دام ستة أشهر أدى به إلى الهلوسة. وبمرور الأيام زالت هذه العوارض. وقد اشتغل بالتمريض أثناء الحرب العالمية الثانية، فوقع أسيراً سنة ١٩٤٠م لدى الألمان، ولكنهم أطلقوا سراحه خلال عام لأسباب صحية^(٢).

وفي سنة ١٩٤٤م أسس سارتر مجلة (الأزمة الحديثة)، وفي سنة ١٩٤٨م اشترك في تأسيس حزب (التجمع الديمقراطي الثوري) وشعاره (الاشتراكية - العداء للديجولية^(٣) - للسيتالينية^(٤) - للاستعمار - والحياد بين المعسكرين.

(١) راجع: (موريس كرانستون)، سارتر بين الفلسفة والادب، ص ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) نسبة إلى شارل ديغول ١٨٩٠ - ١٩٧٠م رئيس فرنسا من ١٩٥٩ - ١٩٦٩م.

(٤) نسبة إلى جوزيف ستالين ١٨٧٩ - ١٩٥٣م مارشال السوفيت وسكرتير الحزب، راجع: المنجد في اللغة والاعلام، ص ٣٥٠.

وقد قام هذا التجمع سنة ١٩٤٩م بحملة احتجاج مطالباً بالسلام في الهند الصينية، ومقاومة الحرب، ولكن سرعان ما استقال سارتر من التجمع، وبعدها ندد بوجود معسكرات روسية في فرنسا^(١)، وقد رشح سنة ١٩٦٢م لنيل جائزة نوبل للآداب فرفضها قائلاً مامعناه: «على الكاتب أن يرفض التحول إلى مؤسسة، وسوف أكون عاجزاً عن قبول جائزة (لينين) إذا أراد أحدهم منحي إياها»^(٢). وقد اختلفت آراء المثقفين حيال السبب الرئيسي لموقف سارتر، فرأى بعضهم أنه لم يرفض هذه الجائزة إلا بدافع من الكبرياء، بينما رأى آخرون أنه رفضها حرصاً على الشهرة، في حين ادعى غيرهم بأن موقفه من الشيوعية هو الذي أملى عليه رفض تلك الجائزة. هذا وقد قطع سارتر الطريق أمام المثقفين إذ صرح بنفسه بأنه لم يرفض الجائزة إلا لاعتقاده بأن لها أهدافاً سياسية، وهو لا ينتمي إلى أي حزب^(٣) - على حد زعمه ..

وفي سنة ١٩٦٧م وفي شهر فبراير بالتحديد قام سارتر بزيارة (مصر)^(٤) وقد وجد فيها - مع الأسف الشديد - من يصفق له ويضعه في مقام العظماء رغم أنه لم يخف إلحاده، بل أعلنه دون موارد في كتبه ومسرحياته كما سيأتي - إن شاء الله -، وأيضاً رغم دعوته السافرة الوقحة إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين تضم في فلكها كافة المنبوذين المشردين من انيهود على

(١) راجع: د. خليل أحمد خليل، السارتريّة، ص ١٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣) راجع: زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٤٧٦.

(٤) راجع: د. مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، دار الهلال، ص ١٨.

حساب أصحابها الأصليين (الفلسطينيين). لقد أحاط به المعجبون، وطالبوا بإعداد برنامج كبير له، وتشكيل لجنة تحضيرية لوضع هذا البرنامج، ولجنة أخرى لمرافقة هذا الفيلسوف الملحد، والترحيب به ومصاحبته في زيارته حتى توديعه. وقد كان البرنامج المقترح يتضمن مايلي^(١):

(١) عمل مؤلف جماعي يتضمن عدة أبحاث باللغة العربية وملخصاً لها بالفرنسية تحية له.

(٢) تعميم مجلات الجمهورية بإبراز فلسفة الضيف ومنزلتها في الفكر المعاصر.

(٣) إعادة إنشاء الجمعية الفلسفية المصرية وعقد أول جلساتها بحضوره.

(٤) إنشاء مجلة الدراسات الفلسفية.

(٥) إنشاء معهد الدراسات الفلسفية وإفتتاحه بحضوره.

(٦) عمل دعوة له من كلية الآداب جامعة القاهرة لمناقشة المشتغلين بالفلسفة.

(٧) عقد مناقشة مفتوحة له على مستوى الجمهورية.

(٨) تركيز زيارة الفيلسوف حول قضية فلسطين، والذهاب إلى قطاع غزة.

(٩) مقابلة الفيلسوف للرئيس (جمال عبدالناصر).

وهكذا زار سارتر مصر، ورافقته (سيمون دي بوفوار) التي ادعت نساء

(١) راجع: مقدمة كتاب سارتر (تعالى الاناموجود)، ترجمة وتقديم حسن حنفي، دار الثقافة الجديدة بالقاهرة، ط١، ١٩٧٧م، ص٧-١٢.

مصر في صراحة تامة إلى تحطيم قوامة الرجل على المرأة، وإلى تحرير الزوجات من العقد الشرعي كأسلوبها وتحايلها مع عشيقها سارتر. ولا يخفى ما للصهيونية من دور كبير في هذه الزيارة حيث دست معه (كلود لانزمان) وهو رجل يهودي وقد استطاع بفكره الصهيوني المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقدمي للتضليل والوقوف وراءه في كل زيارته، والتأثير عليه حتى قامت إسرائيل في نوفمبر سنة ١٩٦٧م بمنحه شهادة الدكتوراه الفخرية في سفارتها بباريس. وأود الإشارة إلى أن البرنامج الذي وضعه منقفو مصر قد رفض لأسباب سياسية يعارض علاقة مصر بالاتحاد السوفيتي آنذاك.

وفي سنة ١٩٧٣م أصيب سارتر بمرض في عينيه حتى أصبح نصف أعمى، وفي سنة ١٩٧٥م صار سارتر شبه أعمى وتوقف عن الكتابة نهائياً إلى أن مات في ١٥ إبريل سنة ١٩٨٠م في باريس^(١).

ثانياً : مؤلفاته :

يعد سارتر أحد الكتاب البارزين في كتابة الرويات والمسرحيات والقصص الإلحادية والماجنة، ومن أهم الكتب^(٢) التي أصدرها مايلي:

(١) ١٩٣٦م أصدر كتاب (التخيل) موسوعة فلسفية دراسة سيكلوجية.

(٢) ١٩٣٨م أصدر كتاب (الغثيان) رواية ترجمها للعربية سهيل إدريس.

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٥٦٤.

(٢) راجع: د. مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، ص ١٩-٢٢، وراجع أيضاً: عبدالفتاح الديدي، فلسفة سارتر، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٤١-٤٣.

- (٣) ١٩٣٩م أصدر مجموعة قصص (الجدار)، وأصدر (نظرية عامة في الانفعالات) ترجمها للعربية سامي محمد وعبدالسلام القفاس.
- (٤) ١٩٤٠م أصدر كتاب (المتخيل) دراسة سيكلوجية.
- (٥) ١٩٤٣م أصدر كتاب (الكينونة والعدم) بحث فلسفي ترجمه عبدالرحمن بدوي، وأصدر رواية (الذباب) ترجمها محمد القصاص.
- (٦) ١٩٤٤م أصدر مسرحية (جلسة سرية) ترجمها مجاهد عبدالمنعم.
- (٧) ١٩٤٥م أصدر رواية (سن الرشد) وهي الجزء الأول من ثلاثية (دروب الجبابة) و(وقف التنفيذ)، الجزء الثاني من الثلاثية، وقد ترجمها سهيل إدريس.
- (٨) ١٩٤٦م أصدر كتاب (الوجودية نزعة إنسانية) دراسة فلسفية ترجمها (حنا مينا)، وأصدر كتاب (تأملات في المسألة اليهودية) دراسة سياسية واجتماعية. وأصدر كتاب (الدوامة) سيناريو ترجمه هاشم الحسيني، وأصدر كتاب (موتى بلا قبور) مسرحية ترجمها سهيل إدريس.
- (٩) ١٩٤٧م أصدر كتاب (تمت اللعبة) سيناريو ترجمه مجاهد عبدالمنعم، وكتاب (مواقف) ج١ دراسة متفرقة ترجمه جورج طرابيشي.
- (١٠) ١٩٤٨م أصدر كتاب (مواقف) ج٢ ترجمة نقدية بعنوان (ماهو الأدب) ترجمه (جورج طرابيشي)، وأصدر كتاب (بودلير) دراسة نقدية ترجمه جورج طرابيشي، وأصدر كتاب (الأيدي القذرة) مسرحية ترجمها

سهيل إدريس.

(١١) ١٩٤٩م أصدر كتاب (الحزن العميق) ج٣ من الرواية الثلاثية (دروب الحياة)

ترجمه سهيل إدريس، وكتاب (مواقف) ج٣ دراسة متفرقة ترجمه

جورج طرابيشي، وكتاب (محاوراتنا هيذا سياسة) دراسات سياسية.

(١٢) ١٩٥١م أصدر كتاب (الشیطان والرحمن) مسرحية.

(١٣) ١٩٥٢م أصدر كتاب (القديس جنیه) دراسة نقدية.

(١٤) ١٩٥٣م أصدر كتاب (هنري مارتان) دراسة سياسية.

(١٥) ١٩٥٤م أصدر كتاب (سجين) مسرحية سياسية.

(١٦) ١٩٥٦م أصدر كتاب (نيكراسون) مسرحية.

(١٧) ١٩٥٩م أصدر كتاب (سجناء الطول) مسرحية.

(١٨) ١٩٦٠م أصدر كتاب (نقد العقل الجدلي) ج١ دراسة فلسفية ترجمه جورج

طرابيشي، وأصدر كتاب (الكلمات) سيرة لسارتر في طفولت.

(١٩) ١٩٦٤م أصدر كتاب (مواقف) ج٤-٥ ترجمه جورج طرابيشي.

(٢٠) ١٩٦٥م أصدر كتاب (مواقف) ج٦-٧ دراسة عن مشكلات الماركسية ترجمه

جورج طرابيشي.

(٢١) ١٩٦٦م أصدر كتاب (تعالی الأنا موجود) دراسة فلسفية ترجمة حسن

حنفي.

ثالثاً : فكره ومنهجه :

يعتبر سارتر أبرز الفلاسفة الوجوديين المعاصرين في فرنسا، وأكثرهم ضجيجاً، وهو السبب في رواج الوجودية حيث سخر لها فكره وقلمه، مع تواجده في جيل من الحائرين الذين فقدوا اتزانهم فجعلوه نبي معتقدتهم الجديد (الوجودية). فقام بنشر أفكاره التي تضمنت الإلحاد الصريح دون موارد من خلال تصوره وجود الإنسان، وحرية وسلوكه. وموقفه من الآخرين، وهي الخط الرئيسي الذي سارت عليه الوجودية الحديثة الإلحادية ذات الطابع التشاؤمي. وتسيطر على أفكار سارتر فكرتان هما الوجود والحرية.

١ . الوجود

قسم سارتر الوجود إلى ثلاثة أنواع(١):

(أ) الوجود في ذاته، ويسميه الوجود الواقعي، ويعني به الوجود الكائن بالفعل، ووجوده موضوعي وثابت، وإن شئت قلت: هو وجود أي موضوع مادي كثيف متجانس ممتلئ. ويضيف أيضاً بأنه لا يحتاج في وجوده إلى شيء آخر وهو وجود متطابق مع نفسه، أو في هوية دائمة مع ذاته، بمعنى أن يكون هو نفسه دون تغيير.

(ب) الوجود لذاته، وهو وجود الإنسان، ويعني به ماوجوده متحرك متغير

(١) راجع: (المذاهب الوجودية) تأليف جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، الانجلو المصرية، ط٢. ١٩٨٨م،

زمني، وهو وجود حائر، بل هو وجود يحمل العدم في صميمه، وهو وجود الشعور أو الوعي، وليس شيئاً مغلقاً أو محصوراً في هوية بلا نوافذ لا يدخل منها الهواء. كما أنه لا يتطابق مع نفسه أبداً، وليس طبيعة أو ماهية. إنه تخلخل في الوجود - على حد زعمه - ويتميز بأن له داخلاً وخارجاً، باطناً وظاهراً.

(ج) الوجود للغير، وهو وجود الإنسان حينما يحيله الآخرون إلى موضوع.

ولإيضاح ما يقصده سارتر فإن الوجود الأول، وهو ما يسميه بالوجود الواقعي، قد حدده في الأشياء الجامدة التي ماهيتها سابقة لوجودها، كالبنزرة مثلاً تنطوي على إمكانيات الشجرة. أما الوجود الثاني، وهو وجود الإنسان، فإنه في رأيه، ورأي الوجوديين أن وجوده سابق على ماهيته، فهي لاحقة على وجوده، ومن ثم فلا بد له من أن يعثر لنفسه على ماهيته، ووجوده عبارة عن تحول مستمر يكون الإنسان خالقاً فيه لذاته باستمرار، ومادام ليس هناك ما يعين له سلوكه، فالإنسان حر في أن يفسر الأشياء كما يشاء. وهو محكوم عليه في كل لحظة أن يخترع الإنسان، فما الإنسان إلا ما يصنع نفسه، وما يريد نفسه، وما يتصور نفسه، فالوجود الإنساني إذن هو اختيارنا الحر لماهيتنا، أو الشخصية التي نريد أن نكون عليها - حسب مفهومه وزعمه -، وهذا الوجود الإنساني من مميزاته - على حد زعمه - أنه يعانق القلق الذي سببه أن الإنسان قد قذف به في هذا العالم دون أن يدري لذلك سبباً، وهو

محكوم عليه دائماً بالاختيار، وهذا هو مبعث قلقه، وهو قلق مؤلم. والوجود الإنساني عنده مرادف للقلق حيث يدعي سارتر ويردد «نحن قلق».

أما الوجود الثالث، وهو الوجود للغير، فقد صور سارتر علاقة الإنسان بغيره تصويراً قاتماً للغاية حيث جعل جوهر علاقات الإنسان بغيره (الصراع)، وانتهى إلى قوله «الآخرون هم الجحيم»^(١).

٢. الحرية

الحرية عند سارتر هي صميم الوجود الإنساني، وتتميز حرّيته بأمرين:

(أ) أن هذه الحرية ضرورية، بمعنى أن الإنسان محكوم عليه بالحرية قسراً، وليس للإنسان أن يخضع نفسه للقوانين أو للعرف أو للطبيعة أو لله - على حد زعمه - لأنها كلها أساليب قاضية على حرية الإنسان، الذي هو خالق معايير وقيمه. يقول سارتر في ذلك: «ويترتب على ذلك أن حرّيتي هي الأساس الوحيد للقيم، وليس ثمة شيء مطلقاً يمكنه أن يلزمني باصطناع هذه القيمة أو تلك»^(٢).

(ب) أن هذه الحرية ذات طابع ذاتي بحيث ليس إلى إنكاره من سبيل إلى الحد الذي وصل به أن يدعي أننا نخلق العالم، وبخلقه نخلق ذواتنا. بل إنه

(١) سارتر (الأبواب المقفلة)، ص ٩٧.

(٢) سارتر (الوجود والعدم) ص ٧٦، ترجمة عبدالرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، ١٩٦٦م.

يمعن في إطلاق الحرية فيقول: «إنها ليست سوى إرادتنا وأهوائنا»^(١)، ويقول أيضاً: «إننا لسنا أحراراً في أن نتخلى عن كوننا أحراراً»^(٢).
ويبالغ سارتر بإطلاق الحرية فيجعلها فوق كل تفسير أو مبرر عقلي مادامت هي التي تخلق القيم والمعايير.

ويرتب سارتر على فكرة الحرية فكرة المسؤولية، فالإنسان يشرع للإنسانية بأسرها، ومن ثمة شعوره بالمسؤولية كلها، حتى أنه يحمل نفسه مسؤولية الحرب التي اشترك فيها فيقول: «إنني مسئول من الأعماق عن الحرب، كما لو كنت أنا الذي أعلنتها»^(٣).

هذه أبرز أفكار الفيلسوف الوجودي (سارتر)، وسأناقش هذه الأفكار مناقشة موجزة، أما التفصيل فسوف أتركه للباب الثاني إن شاء الله تعالى.

١ إن ادعاء سارتر (سبق الوجود على الماهية) ادعاء فاسد يقوم على الإنكار. فمن المعروف أن هناك أوجه شبه جامعة للنوع البشري، ولو كان لهذا الادعاء وجه من الصحة لما كانت هناك خصائص مشتركة تجمع أفراد الإنسان، بالإضافة إلى أن هذا الادعاء عكس ماجاء به الإسلام، حيث يقرر أن الإنسان خلق على مثال سابق. فالماهية إذن سابقة على الوجود. قال تعالى:

(١) المرجع السابق، ص ٥٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٥١٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٤١.

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(٢)، وعن تكريم الإنسان قال تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾^(٣)، ولا يشك عاقل في الأهداف السامية، والغايات النبيلة للوجود الإنساني، والزعم بأن الإنسان بلا هدف ولا غاية زعم باطل، يؤيد بطلانه المشاهدات العلمية التجريبية. فمن أين تأتي ملاءمة العالم لوجود النوع الإنساني، وصدق الله حيث قال: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾^(٥)، والإنسان لا يعيش في فراغ، وإنما يعيش في العالم. فلا مجال للفصل التام بين الوجودين، الوجود الإنساني والوجود الخارجي. والإنسان يتفاعل دائماً مع البيئة، ويتأثر بما يجري في العالم من وقائع وأحداث، فنظرة سارتر إلى الآخرين بأنهم جحيم نظرة سطحية موهلة في الجهل، جالبة للصراع والأنانية بين أفراد الجنس البشري.

٢ إن ادعاء سارتر الحرية المطلقة، واستقلالها عن عالم الأشياء ادعاء باطل، لأن الإنسان ليس حراً بإطلاق، وإرادته ليست خارقة للعادة، وإنما هي إرادة محدودة. وكذلك لا يخفى أن الالتزام والتمسك بالقيم ليس حجراً على الحرية - كما يدعي - ومن المعروف أن القيم التي ينشأ فيها الإنسان، سواء

(١) سورة التين، آية ٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٤) سورة المؤمنون، آية ١١٥.

(٥) سورة القيامة، آية ٣٦.

كانت قيم الأسرة، أو المجتمع الذي يعيش فيه، لها من الفاعلية المباشرة، أو غير المباشرة، في سلوك الإنسان ما لا يمكن أن ينكر أو يقلل من أهميتها. وتتأكد محدودية الحرية بما يحصل أحياناً من اصطدامها بالواقع الخارجي، وحصول ظروف طارئة أو خارجة تحد من تحقيق أمني وطموح الإنسان. وإذا رجعنا إلى حقيقة الإنسان نجد أن القرآن الكريم يذكر بأنه كائن ضعيف من حيث أن إرادته محدودة، تقوى على أشياء، ولا تقوى على أشياء أخرى، كقوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾^(١). بل إن الإنسان يمر مراحل حياته بمستويات تقوى وتضعف حسب تقدم العمر، وهذا ما يحكم به العقل، وتقره المشاهدة، ويشير إليه القرآن، قال تعالى: ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٢).

٣ لقد ناقض سارتر نفسه حيث ادعى الحرية مطلقة، ثم جعل القلق ملازماً لها، فإذا كان إنسان سارتر اختار اختياراً بحرية مطلقة - فلإن - لماذا القلق؟ وإذا كان إنسان سارتر هو خالق ذاته، وخالق معاييرها، فلماذا يخشى إساءة الاختيار؟ ولماذا يقع فريسة القلق؟

٤ إن المسؤولية التي نادى بها سارتر وعبر عنها بأنها مسؤولية كلية شاملة تجعل الإنسان مسئولاً عن العالم كله - أو على حد تعبيره - تجعله

(١) سورة النساء، آية ٢٨.

(٢) سورة الروم، آية ٥٤.

يحمل العالم على كتفيه، مسئولية لامعقولة حقيقة، فتصوره هذا للمسئولية لامبرر له، وهو تصور مناف لما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(٤).

والمطلع على فلسفة سارتر يؤكد أنها فلسفة قد انطلقت من الإلحاد، والذي ينطلق من الإلحاد ﴿كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾^(٥)، وهي فلسفة تنتهي إلى العدم، والذي ينتهي إلى العدم لا يمثل إلا خواءً فكرياً كفيلاً بالقضاء على جميع إنجازات الإنسان. يقول الأستاذ فؤاد كامل: «... بعد أن فعل هذا كله، جرد الوجود نفسه من كل قيمة، ونزع عنه كل معنى، فأصبح الوجود عبثاً في عبث، وصار المجهود الإنساني كله ضرباً في الهواء، ومصارعة لطواحين الرياح»^(٦).

(١) سورة البقرة، آية ١٣٤.

(٢) سورة النجم، آية ٣٦.

(٣) سورة الصافات، آية ٣٩.

(٤) سورة فاطر، آية ١٨.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٦٤ - ١٢٨.

(٦) فؤاد كامل، الرد على إلحاد سارتر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص ٤٨-٤٩.

المبحث التاسع

عبدالرحمن بدوي

مُدْفَعِل:

انتشرت الوجودية في العالم العربي، وراجت رواجاً هائلاً في الخمسينات والستينات من هذا القرن، وذلك لأسباب أهمها:

١ ترجمة مؤلفات أقطاب الفلسفة الوجودية.

٢ المستشرقون الذين قاموا بتدريس الفلسفة ببعض الجامعات العربية، وخير شاهد على ذلك أن الذين أشرفوا على رسالتي (الماجستير والدكتوراه) للدكتور (بدوي) من المستشرقين العاملين بجامعة القاهرة، وهما (الاند) (١) و(كواريه) (٢)، وكذلك (باول كراوس) (٣) الذي أثنى عليه بدوي في ترجمته.

٣ اهتمام بعض الكتاب العرب بمسرحيات وروايات وقصص الوجوديين، ونشرها في مجالات الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة. يتول صفوان قدسي: «كانت التطبيقات الأدبية للتيار الوجودي في الفكر الأوربي قد بدأت تصل تباعاً، وكانت مؤلفات سارتر وكامي القصصية والروائية تصل تباعاً إلى الأعمال القصصية والروائية العربية، وأصبح لدينا (ميرسو) عربي متطابق الملامح والقسمات مع (ميرسو) الفرنسي، وتعددت المحاولات القصصية

(١) أندريه لالاند (١٨٦٧ - ١٩٦٣م)، مستشرق فرنسي.

(٢) الكسندر كواريه (١٨٩٢ - ١٩٦٤م)، مستشرق فرنسي.

(٣) باول كراوس (١٩٠٤ - ١٩٤٤م)، انتدب سنة ١٩٣٦م للتدريس بالجامعة المصرية حتى انتحاره.

راجع: نجيب العقيقي (المستشرقون)، ج ٢، ص ٤٧٢.

والروائية التي تفيض بالحديث عن الفردية والعبث والانخلاع عن الواقع أو مايسمى بالقلق الوجودي»^(١).

انتشارها في الدراسات الجامعية، والاهتمام بها عن طريق البحوث والرسائل، وخير شاهد على ذلك أن (عبدالرحمن بدوي) قد حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفلسفة الوجودية. هذا ويستبر الدكتور (عبدالرحمن بدوي) رائد الوجودية في العالم العربي، حيث اعتنق المذهب الوجودي، وخيم على نشاطه الفكري، وذلك باعترافه هو حيث يقول في موسوعته: «فيلسوف مصري ومؤرخ للفلسفة. فلسفته هي الفلسفة الوجودية في الاتجاه الذي بدأه (هيدجر)، وقد أسهم في تكوين الوجودية بكتابه (الزمان الوجودي) الذي ألفه في ١٩٤٣م وقدمه رسالة للحصول على الدكتوراه في الفلسفة، وتمتاز وجوديته من وجودية (هيدجر) وغيره من الوجوديين بالذرة الديناميكية التي تجعل للفعل الأولوية على الفكر، وتستند في استخلاصها لمعاني الوجود إلى العقل والعاطفة والإرادة معاً، وإلى التجربة الحية، وهذه بدورها تعتمد على ملكة الوجدان بوصفها أقدر ملكات الإدراك على فهم الوجود الحي. لكن أقوى تأثير في تطوره الفلسفي إنما يرجع إلى

(١) مقال لصفوان قدسي في مجلة المعرفة (العلاقة بين الفكر والأدب)، العدد ١٢٦، ١٩٧٢م.

اثنين هما (هيدجر) و«نيتشه»^(١).

ولتأكيد ريادة بدوي للوجودية في العالم العربي، يقول محمد عابد الجابري: «ويبدو أن رائد الوجودية في العالم العربي، لم يتمكن - كما يرى البعض - من قراءة الفلسفة الإسلامية قراءة وجودية، ولم يستطع العثور فيها على مايسعفه في تأسيس (وجوديته) عربياً أو إسلامياً. لم يجدها موجودة من أجله هو، فأنكر عليها حقها في الوجود، ومع ذلك فيجب أن نعترف له - شاء ذلك أم كره - بأنه من أكبر باعثي هذه الفلسفة، بل إنه أنشط حفار في قبورها»^(٢).

أوة : حياته :

عبدالرحمن بدوي^(٣) أحد الفلاسفة الوجوديين العرب. ولد في الرابع من شهر فبراير ١٩١٧م في قرية شرباص بمحافظة دمياط بمصر. أكمل تعليمه في مصر فحصل على ليسانس الآداب قسم الفلسفة من جامعة القاهرة سنة ١٩٣٨م، وعين معيداً بنفس القسم، ثم حصل على درجة الماجستير سنة ١٩٤١م وكان موضوعها (مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية)، وقد أشرف على

(١) عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) محمد عابد الجابري، (الخطاب العربي المعاصر)، دار الطليعة بيروت ١٩٨٠م، ص ١٤٧.

(٣) قال عنه د. عبدالمنعم الحفني في موسوعته ص ٩٢ «وجودي ملحد»، وقال عنه الاستاذ فؤاد كامل في كتابه (الرد على إلحاد سارتر) «وأعانني على الانغماس في تلك النزعة المنكرة الساخرة إلحاد أستاذنا الكبير الدكتور عبدالرحمن بدوي وأضرابه من فلاسفة الوجود الملحدين»، وليس لدي ماينفي هذا أو يثبت أنه لأن الرجل لا يزال حياً، ومن حيث أفكاره التي اطلعت عليها فهي تؤكد إلحاده، لكن لأعلم هل تاب ورجع عن أفكاره أم لا؟

رسالتيه أستاذان فرنسيان، وواصل تعليمه مع قيامه بالتدريس حتى حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩٤٤م وكان عنوانها (الزمان الوجودي)، وعين أستاذاً مساعداً بنفس الكلية والقسم سنة ١٩٤٩م، ثم انتقل إلى كلية الآداب جامعة (عين شمس) لتولي رئاسة قسم الفلسفة سنة ١٩٥٠م، واستمر بهذا العمل حتى ترك الجامعة سنة ١٩٧١م. وقد عمل أستاذاً زائراً بمعهد الدراسات الإسلامية في طهران من سنة ١٩٦٧م حتى ١٩٧٣م، ثم عمل بكلية الآداب بالجامعة الليبية بينغازي أستاذاً للفلسفة المعاصرة، ثم عمل أستاذاً للتصوف الإسلامي والفلسفة الإسلامية بكلية (الإلهيات والعلوم الإسلامية) بجامعة طهران لمدة عام دراسي سنة ١٩٧٤م، وفي نهاية السنة انتقل إلى جامعة الكويت أستاذاً للفلسفة المعاصرة والمنطق والأخلاق في كلية الآداب، ثم صار رئيساً لقسم الفلسفة فيها حتى ترك الجامعة سنة ١٩٨٦م واستقر في باريس. هذا وقد كانت له مشاركات في السياسة، فكان عضواً في حزب مصر الفتاة، ثم عضواً في الحزب الوطني الجديد^(١).

تابعا : مؤلفاته :

بلغ عدد مؤلفات (بدوي) التي أصدرها حتى الآن أكثر من مائة وعشرين كتاباً، منها خمسة مجلدات باللغة الفرنسية، إلى جانب مئات المقالات والأبحاث التي ألقاها في المؤتمرات العلمية بمختلف اللغات. وسأذكر ثبناً

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، موسوعة انفسفة، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٦.

بأهم مؤلفاته مراعيًا ترتيبها التاريخي في الظهور^(١):

- (١) ١٩٣٩م نيتشه.
- (٢) ١٩٤٣م أرسطو.
- (٣) ١٩٤٥م الزمان الوجودي، وكتاب (من تاريخ الإلحاد في الإسلام).
- (٤) ١٩٤٧م أصدر كتاب (الإنسانية والوجودية في الفكر العربي)، وكتاب (شخصيات قلقة في الإسلام) ترجمة ودراسة.
- (٥) ١٩٤٨م أصدر كتاب (منطق أرسطو).
- (٦) ١٩٥٠م أصدر كتاب (الإنسان الكامل في الإسلام) ترجمة وتحقيق نصوص.
- (٧) ١٩٦١م أصدر كتاب (دراسات في الفلسفة الوجودية).
- (٨) ١٩٦٢م أصدر كتابي (المنطق الصوري والرياضي)، و(فلسفة العصور الوسطى).
- (٩) ١٩٦٣م أصدر كتاب (مؤلفات الغزالي).
- (١٠) ١٩٦٤م أصدر كتاب (مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا) ترجمة.
- (١١) ١٩٦٥م أصدر كتاب (الوجود والعدم لسارتر) ترجمة.
- (١٢) ١٩٧١م أصدر كتاب (مذاهب الإسلاميين).
- (١٣) ١٩٧٥م أصدر كتابي (مدخل جديد إلى الفلسفة)، و(الأخلاق النظرية).
- (١٤) ١٩٧٦م أصدر كتاب (أمانويل كنت).
- (١٥) ١٩٧٧م أصدر كتاب (الأخلاق عند كنت).

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩٦-٢٩٨.

(١٦) ١٩٨٠م أصدر كتابي (حياة هيغل)، و(الخطابة لأرسطو).

وهكذا قدم (بدوي) الفكر الوجودي، وترجم أهم كتب الوجوديين، ومنها كتاب سارتر (الوجود والعدم)، وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة، وضمن موسوعته جميع الفلاسفة الوجوديين، ولم يأل جهداً إلا سلكه في سبيل الترويج للوجودية والوجوديين، ونشر أفكارهم بأسهل الطرق والوسائل.

ثالثاً : فكره ومنهجه :

بين بدوي الخطوط العامة لنزعتة الوجودية في كتابه الذي أعده للماجستير (الموت في الفلسفة الوجودية)، وفي كتابه الآخر رسالة الدكتوراه (الزمان الوجودي)، وفي كتابه أيضاً (دراسات في الفلسفة الوجودية) والذي خصص موضوعاً كاملاً له بعنوان (خلاصة مذهبنا الوجودي)^(١).

آمن بدوي بالمفاهيم والمقولات الأساسية للوجوديين الغربيين، وتأخذ ذلك من خلال ماكتبه في مؤلفاته التي هي صورة حقيقية تمثل أفكاره ومنهجه الوجودي والمتمثل بما يلي:

١ آمن بالفرية الرئيسية للوجوديين (الوجود أسبق من الماهية) حيث يقول في أحد كتبه: «رغم أن الوجودية مذهب في الوجود محدد تمام التحديد، يقوم على مبدأ سهل بسيط، هو أن وجود الإنسان هو مايفعله. فأفعال الإنسان هي التي تحدد وجوده وتكونه، ولهذا يقاس الإنسان بأفعاله. فوجود كل إنسان بحسب مايفعله، وذلك ضد مذهب القائلين (بالماهية) أي

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص٢٣٦.

الذين يفترضون ماهية سابقة على وجود الإنسان، وعنهما تنشأ أفعاله، ووفقاً لها يحكم عليه، وبها يحدد»^(١).

٢ أمن بفكرة الذاتية امتداداً لنزعتها الفردية الوجودية حيث يقول: «إنما الموجود الحقيقي هو وجود الفردية، والفردية هي الذاتية، والذاتية تقتضي الحرية، والحرية معناها وجود الإمكان»^(٢).

٣ أمن بفكرة الحرية المطلقة حيث يقول: «وفكرة الشخصية تقتضي بدورها فكرة الحرية، فلا شخصية حيث لاحرية، ولا حرية حيث لا شخصية»^(٣).

٤ أمن بفكرة أن الالتزام بالقيم والأخلاق قيد وحجر على الحرية حيث يقول: «لما كانت الوجودية تقوم على أساس فكرة الذات المنفردة المتوحدة المنعزلة المنفصلة، فإن التقويم لا بد فيها أن يكون ذاتياً، ولما كان التقويم الذاتي مستحيلاً، إذن فالوجودية ينتفي معها التقويم الموضوعي، وبالتالي لا يمكن أن نقول بأخلاق»^(٤)، ويقول أيضاً: «إن الوجودي الحق هو المتوحد الأكبر الذي يحرص على الانفصال الدائم... هو الذي يحرص على أن يكون الاستثناء بينه وبين أية قاعدة، لأن بينه وبين كل القواعد عداوة مستحكمة أو أزلية»^(٥)، ويقول أيضاً: «إنه الحرية التي إن اشترطت شرطاً فهو الخلو من

(١) المرجع السابق، تنبيه.

(٢) عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٣٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٠١.

(٤) عبدالرحمن بدوي، (الزمان الوجودي)، ص ٢٢٠ وما بعدها، طبعة القاهرة ١٩٤٥م.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

كل شرط، فلا معنى للواجب في عالمها، ولا تقيد لمدى انطباقها وانطلاقها،
إنها الفعل المطلق من كل قاعدة أو شرط أو قانون أو نظام»(١).

٥ إيمانه بأفكار (هيدجر) رغم بعدها المتطرف في العدم، وفيه يقول:
«وفكرة العدم.. فكرة خصبة في وسعنا أن نفسر بها سر الوجود كله.. فالعدم
كما رأينا هو الأصل في الفردية أو العكس، وفكرة الحرية تقوم على فكرة
الفردية أو العكس، وفكرة التوتر مصدرها أيضاً فكرة العدم.. ومن هنا نرى
أن الأفكار الرئيسية الموجهة لنا في مذهبنا الوجودي وهي الفردية والتوتر
والإمكان ترتبط كلها بالعدم أوثق ارتباطاً، وكله إذن البؤرة التي يشع منها
النور على المذهب كله»(٢).

٦ نهج بدوي منهجاً غاية في الغرابة إذ حاول - مع الأسف - أن يجعل
للتيار الوجودي اتصالاً بالفكر الإسلامي، حيث وضع في كتابه (الإنسانية
والوجودية في الفكر العربي) وبحدود أربعين صفحة، الصلة بين الوجودية
وبين التصوف الإسلامي، بل وصل به الأمر إلى أن جعل التصوف في الإسلام
هو عين الوجودية. ولا يخفى أن هذا أكبر ترويح لهذا التيار الإلحادي، وقد
ينخدع به من يطلع عليه فيتوقع أن الوجودية مذهب إسلامي، أو على الأقل
لايرفضه. ولننظر ماذا يقول بدوي: «ولهذا لانمل من الإلحاح في تأكيد هذا
المعنى حتى نفهم مدلول النزعة الصوفية على وجهها الأعمق، فهي ليست

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج ١، ص ٣١٦-٣١٧.

مجرد تحليلات نفسية شخصية لأحوال فردية تؤخذ على هذا الأساس النفسي الفردي، بل هي في جوهرها تحليل للوجود الذاتي بوصفه الوجود الحقيقي، كما تقول النزعة الوجودية تماماً..»^(١). ويقول أيضاً: «وهذه الفكرة أيضاً فكرة الإنسان الكامل تجمع بين الصوفية والوجودية من حيث النزعة الإنسانية. فقد رأينا فيها أكبر توكيد للنزعة الإنسانية، لأن فيها تأليه الإنسان، والوجودية تضع الوجود الإنساني مكان الوجود المطلق، ونقول: ليس ثمة كون غير الكون الإنساني كون الذات الإنسانية». وعلى هذا فالوجود الذي تتخذه كل من الصوفية والوجودية موضوعاً لهما هو الوجود الذاتي الإنساني»^(٢). ويقول أيضاً: «ولعل في هذا البيان بعض الغنية لتوكيد ما ذهبنا إليه من وثيقة الصلة - الفكرية طبعاً لا التاريخية - بين التصوف الإسلامي والمذهب الوجودي. وتلك هي المسألة الأولى التي أردنا التنبيه إليها»^(٣).

٧ اهتم بدوي بالفلسفات الباطنية^(٤)، والمجوسية^(٥) يحييها ويرد إليها الروح. وفي كتابه (شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام) يشيد بأمثال

(١) عبدالرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، ص ٧٤.

(٢) عبدالرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص ٧٧-٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٦.

(٤) هي طائفة تدعي أن الظواهر النصوص بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من الفشر، وما يفهم الناس من ظواهر هي عندهم رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وإذا ارتقى الإنسان إلى علم الباطن هذا انحط عنه التكليف، وهدفهم إيصال العقيدة والشريعة. راجع الفرق بين الفرق، ص ٢٨١-٣١٣.

(٥) هم الذين يقولون بأصلين، النور والظلمة، واسم الأول يزدان، والثاني أهرمن. راجع الملل والنحل، ج ١، ص ٢٣٢-٢٤٤.

(الراوندي) (١) و(الحلاج) (٢) وغيرهما من الزنادقة، هذا وقد ركز على الجانب الصوفي المتصل بوحدة الوجود والحلول وأشاد (بالسهرودي) (٣) و(ابن عربي) و(ابن سبعين) (٤). يقول بدوي: «نشير إلى المنهج الذي بدأ منه كيرك جورد في تحليلاته الوجودية، وهو اتخاذ القصص الدينية أساطير للتفسير الوجودي، وهو بعينه مايفعله الصوفية المسلمون، وبخاصة الحلاج والسهرودي وابن عربي. فالحلاج قد تمثل خصوصاً حياة المسيح فراح يحياها وجودياً ويعبر عنها في صورة إجمالية قد تصلح أساساً لتحليلات وجودية، ويمتاز خصوصاً من بين بقية الصوفية المسلمين - فيما عدا السهرودي إلى حد ما، وابن سبعين إلى حد كبير - بأنه حي فلسفته تماماً كما فعل كيرك جورد. وفي وسعنا إذن أن نطبق عليه مايطبقه النقاد من تمييز بين كيرك جورد وبين هيدجر أو يسبرز، ونعني أن كيرك جورد فيلسوف وجودي، بينما هيدجر ويسبرز فيلسوفان في الوجود أو مفلسفان للوجود... والحلاج

(١) أبو الحسين أحمد بن يحيى، توفي سنة ٢٩٨هـ، تطرف في الكلام حتى ارتد وألحد. تنسب إليه الراوندية. راجع معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٠.

(٢) أبو عبد الله الحسين بن منصور، متصوف من أصل فارسي، ولد سنة ٢٤٤هـ ومات سنة ٣٠٩هـ في بغداد مصلوباً. راجع معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٤٧.

(٣) شهاب الدين بن يحيى، فيلسوف ولد سنة ١١١٥م ومات مقتولاً سنة ١١٩١م. راجع معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٤٣.

(٤) محمد بن عبد الحق بن سبعين، ولد في مرسية سنة ٦١٤هـ ومات منتحراً بمكة سنة ٦٦٩هـ، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٢.

قد أراد هو الآخر - إلى حد كبير - أن يجعل فلسفته - إن صح هذا التعبير - وجوداً لمذهبه في الوجود. ومن هنا لا يمكن بالنسبة إليه أن انفصل حياته عن فكره، فقد حىّ ماقال، وقال ما حىّ... لكن لا يزال المجال مع ذلك واسعاً لدراسة كل من الحلاج والسهرودي المقتول على ضوء ما قررناه هنا، ويمكن قطعاً أن نضم إليهما ابن سبعين، هذه الشخصيات الغريبة الشائقة بأقوالها وأفعالها، وبخاصة فعلها النهائي الحاسم الذي قضت به على حياتها، فكانت فعلة وجودية من الطراز الأول، لا بد أن تكون قد قامت على أسس وجودية، ونعني بذلك انتحاره بقطعه أحد شرايينه وهو عمل إرادي واع لنفسه لأنكاد نجد له مثيلاً في تاريخ الفكر العربي»^(١).

▲ اهتم بدوي بالمستشرقين، بل اعترى بهم، وعلى صلة وثيقة معهم، فهو يتحدث عنهم، وينقل منهم، ويترجم لهم، ويتقمص شخصيتهم في فهمه وتعامله وأحكامه على العقلية العربية، ويفتخر بمعرفته الشخصية بهم. فحين تطلع على كتابه (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) ترى دراسات مترجمة لعدد من المستشرقين كا (كراوس) و(جولدزيهر)^(٢) و(كارل نلينو)^(٣) وغيرهم. وكتابه (تاريخ الإلحاد في الإسلام) هو دراسات ألف بعضها وترجم

(١) عبدالرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) مستشرق مجري (١٨٥٠-١٩٢١م)، أقام بالقاهرة ويعد من أعرف المستشرقين بالإسلام. راجع: الموسوعة العربية، ج ١، ص ٦٦٨.

(٣) مستشرق إيطالي (١٨٧٢-١٩٣٨م) عين عضواً بالمجمع اللغوي بالقاهرة. راجع: نجيب العقيقي (المستشرقون)، ج ١، ص ٤٣٢.

الأخرى، وكذلك في كتابه (مخطوطات أرسطو)، وكتابه أيضاً (أفلاطون في الإسلام) نراه يعتمد فيما نقله من نصوص على جهود المستشرقين. كذلك تركيزه على أعمالهم، والثناء عليهم بها، فقد ذكر أعمال المسنشرق الإيطالي (دلافيد) (١)، وذكر (شاخنت) (٢) الذي انتدب للتدريس في الجامعة المصرية، وذكر (هنري كوربان) (٣) قائلاً: «لقد انعقدت أواصر الصداقة بيني وبينه منذ أن زار مصر سنة ١٩٥٤م» (٤)، وذكر (سانتلانا) (٥) ومحاضراته بالجامعة المصرية، وذكر (ماسينيون) (٦) وأشاد به في موسوعته. وفي كتابه (شخصيات قلقة في الإسلام) ويستشهد به وينقل عنه في كتابه (تاريخ التصوف)، ولم يكتف بذلك بل وصل به الأمر إلى الادعاء أن للمستشرقين دوراً وفضلاً في الكشف عن علوم العرب، ويظهر ذلك في كتابه (دراسات ونصوص في الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب). فقد ذكر أن المستشرقين تناولوا علوم العرب بالدرس والتحقيق والمقارنة بينها وبين أصولها - على حد زعمه - اليونانية والهندية وتأثيره في أوروبا في العصر الوسيط وأوائل

(١) مستشرق إيطالي (١٨٨٦ - ١٩٦٧م)، راجع: المستشرقون، نجيب العقيقي، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) مستشرق ألماني (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) عضو المجمع العلمي بدمشق، راجع: المستشرقون، العقيقي، ج ٢، ص ٤٦٩.

(٣) مستشرق فرنسي (١٩٠٣ - ١٩٧٨م) ولد ومات بباريس. راجع: معجم الفلاسفة، جبرج طرابيشي، ص ٤٩١.

(٤) عبدالرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٣٤.

(٥) مستشرق إيطالي (١٨٤٥ - ١٩٣١م)، راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج ١، ص ٩٥٧.

(٦) مستشرق فرنسي (١٨٨٣ - ١٩٦٢م)، راجع: الموسوعة العربية الميسرة، ج ٢، ص ١٦٢٤.

العصر الحديث. ويذكر هذه العلوم علماً علماً كالكيمياء والطب والفيزياء والرياضيات... الخ.

■ يبدي (بدوي) اعتزازه بالفكر الغربي، ويدعو إلى التوجه إلى الغرب، ويثني على أستاذه (طه حسين)^(١) ويدافع عنه حيال ما أثير حول كتابه (الشعر الجاهلي) ويقول: «علام إذن كل هذه الضجة الزائفة التي أثيرت حول الكتاب حتى نعتوا صاحبه بما شاءوا من النعوت، فاتهموه بالمروق والتهجم على التراث العربي العريق، والرغبة في تحطيم أمجاد العرب.. الخ»^(٢). وفي دعوته إلى الغرب يقول: «من المؤكد أنه ليس أمام الشرقيين من سبيل آخر إلى التهذيب والثقافة القادرة على التطور إلا سبيل الإنسانية في الغرب»^(٣). ولم يكتف بذلك بل ينقد العقلية العربية، ويتخذ منها موقفاً رافضاً لها بدعوى أنها عقلية تفتقد الذاتية، ولذلك تجده يرجع الفضل دائماً إلى الغربيين (معلمي الإنسانية) - على حد زعمه - ويقول: «فيما يتعلق بأساتذتنا فهم المستشرقون الذين درسوا ونقبوا وحللوا وحققوا التراث العربي الإسلامي، علينا متابعتهم والأخذ عنهم، ولا بأس أيضاً من ترديد آرائهم التي تحط من قدر العقل العربي والعقل السامي»^(٤).

(١) طه حسين بن علي بن سلامة (١٣٠٧ - ١٣٩٣هـ)، ولد بمحافظة المنيا بمصر ومات بالقاهرة. يحمل

الدكتوراة في الآداب، له مؤلفات في الأدب والشعر. راجع: المستدرك على معجم المؤلفين، ص ٣٠٥.

(٢) عبدالرحمن بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ص ١٠-١٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧-٣٢.

(٤) عبدالرحمن بدوي، نقلاً من كتاب (الخطاب العربي المعاصر) محمد عابد الجابري، ص ١٤٧.

١٠ يتجاهل بدوي حقيقة الروح الإسلامية ويدعي أنها بطبيعتها تنافي الفلسفة، وليس في الفكر الإسلامي قيمة فلسفية حقيقية، لماذا؟ لأن المذهب الفلسفي تعبير عن الذات في موقفها حيال الطبيعة الخارجية والذوات الأخرى على حين - على حد زعمه - أن الروح الإسلامية تنكر الذاتية أشد الإنكار، وإنكار الذاتية يتنافى مع إيجاد المذاهب الفلسفية كل المنافاة، ولهذا فإن الروح الإسلامية لم تنتج فلسفة، بل لم تستطع كذلك أن تفهم روح الفلسفة اليونانية وأن تنفذ إلى لبابها^(١).

١١ أغرق بدوي نفسه في الذاتية امتداداً واتفاقاً مع نزعته الفردية الوجودية. ويبدو ذلك من خلال الاطلاع على موسوعته، فهو يكتب عن نفسه، وهو دائم الإحالة في جميع كتبه إلى كتبه الأخرى التي ربما تكون هي الكتابات العربية الوحيدة التي يشير إليها، وتجاهله جميع المفكرين والكتاب العرب المحدثين والمعاصرين^(٢).

١٢ يظهر في كتابات (بدوي) الأدبية الدعوة إلى التطرف والثورة والتمرد، فالمطلع على كتابه (شهادة العشق الإلهي/ رابعة العدوية) يدرك مدى دعوته إلى التطرف، وأن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين، أما التطرف فمن

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي، (التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية)، ط ١، دار القلم ١٩٦٥م، ص ١٩٩.

(٢) راجع موسوعته الفلسفية وكتبه الفلسفية.

شيمة الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ^(١) - على حد زعمه - ويتضح من كتابه أيضاً (الحر والنور) نزعاته الوجودية التي تتسم تارة بالغرابة وأخرى بالتمرد والثورة^(٢).

(١) راجع: عبدالرحمن بدوي (شهادة العشق الإلهي). وكالة المطبوعات بالكويت، ط٢، ١٩٧٨م، ص٢١.

(٢) راجع: عبدالرحمن بدوي (الحر والنور) النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٥١م، المقدمة.

الباب الثاني

اعتقادات الوجوديين

ويتضمن ستة فصول

الفصل الأول نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية .

الفصل الثاني تصور الوجوديين للحرية .

الفصل الثالث نظرة الوجوديين إلى الأخلاق .

الفصل الرابع نظرة الوجوديين إلى القلق .

الفصل الخامس الإنسان بين الوجودية والإسلام .

الفصل السادس استفلال الوجوديين الأدب والتربية لنشر أفكارهم .

الفصل الأول

نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية

ويشتمل على أربعة مباحث

أولاً مفهوم الألوهية عند الوجوديين .

ثانياً أقوال الوجوديين في الإله .

ثالثاً شبهات الوجوديين على معتقدتهم في الألوهية .

رابعاً عقيدة الألوهية في الإسلام .

الباب الثاني

إعتقادات الوجوديين

الفصل الأول

نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية

أولاً - مفهوم الألوهية عند الوجوديين

ذكرت سابقاً أن الوجوديين فئتان:

أ - فئة يطلق عليها مؤمنة (غير ملحدة).

ب - وفئة يطلق عليها ملحدة.

أما الفئة المؤمنة فهم يؤمنون بوجود الإله لكنه في الواقع والحقيقة إيمان صوري، فهم يقولون ويعتقدون بأن الإنسان قد خلق وعرف من قبل إله متمكن موجود في عالم سام، وقد تم خلق الإنسان على شاكلته هذا الإله - نعوذ بالله - وعليه فإن الإنسان هنا وجود معرف ومقرر وجوده سلفاً من قبل الله، ولكن وجوده الإنساني في الحياة يكون سابقاً لأي شيء آخر غير وجوده في الحياة أي لا وجود للماهية أو عمل فكري في الحياة سابق له. ويترتب على هذا الإيمان أن الله سبحانه وتعالى لا سلطة له ولا قدرة ولا مشيئة على الإنسان، بل الإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه.

أما الفئة الملحدة فهؤلاء لا يعترفون بوجود الله، وينكرونه بدعوى أن الإنسان قد وجد في هذا العالم بلا تعريف أو ماهية سابقة لهذا الوجود الإنساني ولا يعرف مطلقاً. على حد زعمهم - القوة التي دفعته إلى هذا الوجود وألقته في هذا العالم^(١).

(١) راجع: (الوجودية مذهب إنساني) سارتر. ترجمة كمال الحاج. منشورات مكتبة

الحياة بيروت ص ٤١.

ثانياً . أقوال الوجوديين في الإله

قال الوجوديون في الله قولاً أثماً كافراً ملحداً يعتبرها المنصف كفراً صريحاً يقود صاحبه إلى النار وبئس القرار، وسأذكر نماذج لأقوال «شاهيرهم»، ثم نستنتج من هذه الأقوال فكر الوجودية عن الإله.

١- قال كيرك جورد:

«لا يصح أن نقول الله موجود لأن الموجود هو الإنسان، والذي يتغير هو الإنسان فله زمان أما الله فلا زمان له، فهو غير موجود لأنه لازمان له بل هو كائن» (١).

مناقشة هذا القول:

استدل رائد الوجودية «كيرك جورد» على أن الله ليس بموجود بأنه لا يتغير ولا زمان له، وإنما الذي يتغير ويمر عليه الزمان هو الإنسان فهو الموجود. ولست أدري أي تفكير هذا الذي يأخذ من ثبات الشيء وعدم تغيره أنه معدوم، وإن فمأذا يقول هذا الرجل في الجبال الراسيات، والبحار والمحيطات، والأرض والسماوات، وهو قطعاً قد رآها طوال حياته غير متغيرة، أفيقول عنها إنها غير موجودة؟ أو ماذا عساه أن يقول؟ قد يقول إنه يمر عليها الزمان. ونقول ما دليلك على هذا وهي لم تتغير أبداً؟.

استدل العقلاء المفكرون بالتغير ومرور الزمان على الحدوث الأخص من الوجود إذ الوجود يعم القديم والحادث، واستدلوا بعدم تغير الله سبحانه وتعالى، وعدم مرور الزمان عليه على أنه قديم إذ أنه موجود قبل الزمان فلا

(١) كيرك جورد: إما أو . ترجمة عبدالرحمن بدوي. دار الثقافة ١٩٦٣. ص ٢٤٥.

يقاس وجوده بالزمان إذن، ومن كان هذا شأنه كان موجوداً قديماً وهذا الاستدلال يتمشى مع العقل السليم والتفكير السديد، ولكن نساد عقل هذا الرجل جعله يستدل بما يثبت القدم على العدم - تفكير معكوس ومنطق مقلوب - ثم بعد أن حكم على الله بأنه غير موجود - سبحانه وتعالى - يقول: «بل هو (أي الله) كائن هل معنى هذا عنده أن الكائن شيء غير الموجود؟ فما هو؟ وما حقيقته؟ وهل الكائن بأي معنى أرادته يقال إنه غير موجود؟ إن زعم ذلك فما دليله وما وجهته؟ الذي نعرفه في معنى كلمة (كائن) أنه موجود أو ثابت أو واقع أو حادث أو غير ذلك مما لا يخلو عن معنى الحدوث والوقوع، وإن فقد أثبت لله سبحانه وتعالى الوجود بعد أن نفاه عنه، ويدلك على أنه يخلط في القول ويلقيه بلا وعي ولا فهم أنه أطلق هذه الكلمة (كائن) بنصها على أبيه في عبارة له لما مات جميع إخوته، وبقي أبوه وقد نيف عن الثمانين حيث يقول: «أبصرت في أبي كائناً شقياً كتب عليه أن يعيش بعدنا جميعاً» كأنه فرض نفسه ميتاً حيث يقول بعدنا جميعاً» فالمعنى الذي أرادته من هذه الكلمة في حق أبيه ما هو؟ إن أراد أن معناها بحق أبيه الموجود وجب أن يراد هذا المعنى بعينه في حق الله، وإن كان معناها غير الوجود، فقد أثبت على أبيه أنه غير موجود مع أنه إنسان يتغير وله زمان وإن أراد أن لها في حق الله معنى يغاير معناها في حق أبيه طالبناه بالدليل ولا دليل عنده، بل متخبط غلبت عليه شقوته. ثم انظر إلى مدى تناقضه واضطرابه وهو ينعي حال أسرته ويتوجع لها فيقول: «لقد كتب على هذه الأسرة أن يسلط عليها

عقاب الله فتبيد»^(١) أين هو الله - حسب زعمك - إنك تعتقد أنه غير موجود، فكيف يسلط العقاب عليك وعلى أسرتك؟ ألم أقل إنه يهذي ويخلط ويلقي الكلام بلا وعي ولا إدراك، ولذلك اتعجب وأتألم - في وقت واحد - وأنا أرى أناساً تبعوا هذا الرجل وهو يهذي هذيان المجنون ثم انظر إليه وهو يتبرم ويضجر ويئن ويتألم مما أصابه ونزل به فيقول: «لماذا كانت تسعة أشهر قضيتها في بطن أمي كفيلة أن تجعل مني رجلاً عجوزاً؟ لماذا لم أولد في النعيم؟ ولماذا ولدت في الألم وللألم؟ ولماذا انفتحت عيناى لا لترى الهناء بل لتفوص في دنيا الزفرات وحدها دون أن أملك الخلاص منها»^(٢) ألا يكون نزول هذه المصائب به وإجتماعها عليه وهو لا يحبها ولا يميل إليها ولا يرغب فيها ثم لا يجد منها فكاكاً ولا يملك لها خلاصاً ألا يكون نزولاً به دليلاً واضحاً على أن هناك وراء محيطه ومحيط العالم كله إلهاً قاهراً له عليه وعلى غيره السلطان والغلبة تصب عليه ماتشاء من غضب ونقم، وتنزل بغيره الرحمة وتوليه النعيم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. هل يعرف الشيء ويستدل عليه إلا بآثاره الناشئة عنه وهل هذه الآثار جميعاً لا تدل في نظر الرجل على أن هناك موجهاً لها وهى تنادي باحتياجها الدائم، وفقرها المتأصل إلى من يدفع عنها حاجتها ويصون لها وجودها.

ومن أقوله أيضاً:

«كل ما أعيشه أعيشه في التناقض لأن الحياة ليست سوى متناقضات، ولذا

(١) كيرك جوررد . نقلاً من كتاب (شخصيات فلسفية) إمام عبدالفتاح ص ٢٩٩ ج ١ .

(٢) كيرك جوررد نقلاً من كتاب (شخصيات فلسفية) إمام عبدالفتاح ص ٢٩٩ ج ١ .

يحاول الوجودي أن يثبت بالبرهان أن وجوده ووجود الإله أبعد ما يكون عن المضمار البرهاني من جميع الوجودات الأخرى، ولا يوجد في ذلك ملجأ إلا في كنف العقيدة إذ إن العقيدة مطلقة والإيمان بها قاطع، ولا ينبغي التنقيب عن براهين وجود الإله إذا كان من إهانة الإله وجوده فإن من الإهانة الأشد غلظة وفظاظة أن يحاول الإنسان إثبات وجود الإله وهو تحت سمعه وبصره»^(١).

وهذا النص الذي ذكره (سورين كيرك جورد) يتضمن مايلي:

أ - عدم وجود إحكام وإبداع في إيجاد هذا العالم الأمر الذي يترتب عليه إنكار الخالق المبدع، وهذا القول يتنافى مع القول السديد بأن كل ما وجد في الكون وجد لحكمة وبحكمة، وهذا الطريق أحد الطرق التي سلكها القرآن الكريم إثباتاً لوجود الله تعالى كما سنوضح ذلك في حينه بمشيئة الله تعالى فالكون كله - حسب زعمه - ضرب من المتناقضات.

ب - أن هذا القول يجر إلى أقوال كثيرة قال بها الملاحدة: من دهرين وطبيعيين ممن قالوا بالصدفة، أو ادعوا أن العالم خبط عشواء. وهذه كلها قال بها المبطلون قديماً وأحيتها الوجودية حديثاً. وسنرى الرد كاملاً على هؤلاء الوجوديين عند التعرض لشبهات الوجوديين في الألوهية.

(١) سورين كيرك جورد. (إما هذا- إما ذاك) ص١٦٩ نقلاً من كتاب (الإسلام وتيارات النكر المعاصر)

د. طلعت غنام ص٨٦.

٢ - ويقول (باسكال):

«هل الإله موجود أو غير موجود؟ ماذا تختار منهما؟ أما بواسطة العقل فلا نستطيع تأييد أي واحد منها... وإننا فالأفضل ألا نتكلم فيهما نعم. ولكن ينبغي التكلم وهذا ليس إرادياً، لأنك أبحرت فوق زورق الحياة، أي أنك (مربوط) فأيهما تختار؟» ثم يقول:

«كل ماأراه في الطبيعة هو موضع شك وقلق، ولو كنت لا أدري شيئاً يدل على وجود خالق لكنت أنكرو وجوده، ولو شاهدت آيات خالق في كل شيء لاسترحت بالإيمان، ولكن ماأراه هو أكبر مما أستطيع إنكاره، وهو أقل مما يقنعني فأنا في حالة تستوجب الشفقة»^(١) وهذا النص فيه عدد من المغالطات نذكر منها على سبيل الإشارة فقط هنا، لنعاود الرد في حينه من هذا البحث إن شاء الله

أ - هذا النص يتنكر لكل الأدلة التي ساقها العقلاء إثباتاً لوجود الله تعالى، ولما ساقه القرآن الكريم من أدلة عقلية في ثوب نقلي جعلت العقل يسجد لله لإقناعها وحكمتها.

ب - أن هذا النص يتنكر في وقاحة لهذه الآيات المبتوثات في هذا الكون المترامي الأطراف، والتي لاينكرها أو يتنكر لها إلا مكابر جاحد ألغى عقله وفكره.

ج - أن هذا يدل على الحيرة والشك الذي يدور في فكر هذا الفيلسوف.

(١) باسكال (الافكار) ترجمة سامي ناشد. عالم الكتب القاهرة ص ٤٣٧.

٣ - يقول (جيريل مارسيل):

«الإيمان هو شعور المرء أنه بمعنى ما في داخل الألوهية»^(١) ويقول أيضاً:
«تلك العلاقة بين الحرية الإنسانية والحرية الإلهية التي هي السر المركزي
في الديانة المسيحية»^(٢).

ويقول أيضاً: «وليست الذات التصويرية بأفضل من الذات المادية، أي ليس
إنسان هيغل بأفضل من إنسان كارل ماركس حيث يتبخر الله في التجريد،
حيث يصبح فكرة لا إلهاً شخصياً»^(٣) ومن هذه النصوص يتضح مايلي:

أ - رغم أن هذا الفيلسوف يعد من المؤمنين - على حد تعبيرهم - إلا أنه
أنكر وجود الله سبحانه وتعالى حقيقة حيث جعل الله فكرة فقط لا صلة
ولا قدرة لها بالمخلوقين.

ب - بناء على المفهوم السابق أن الإنسان عنده جسد غير مرتبط بصورة
سابقة لوجوده، عمارة قائمة لا صلة لها بالمهندس الذي أقامها ولا
تعترف به ولا بالتصميم الذي أقامها على صورته ورسمه، بل هذه العمارة
تهندس نفسها منذ أن اكتشفت وجودها وعليها أن تخلق عالمها^(٤).

ج - أن إيمان هذا الفيلسوف إيمان مسيحي مشوب بالتخريف والتحريف.

(١) جاريل مارسيل. نقلاً من كتاب (دراسات في الفلسفة الوجودية) د. عبدالرحمن بدوي ص ١٩٨.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) مارسيل (الوجودية والفكر المسيحي) ص ١٦٥ نقلاً من كتاب (المذاهب الوجودية) تأليف (ريجيس
جولفيه) ترجمة فؤاد كامل.

(٤) راجع: د. عبدالرحمن عميرة (المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها) دار الجيل بيروت ص ١٨.

٤ - يقول (هيدجر) :

«وحينما يستولي على أنفسنا الشعور بالقلق فهناك لابد أن ندرك أنه قد قذف بنا إلى هذا العالم على الرغم منا؛ وأنه قد خلى بيننا وبين ذواتنا، وإننا مهجورون لانجد خلفنا أية دعامة نستند إليها، ولا نلمح أمامنا أي هدف ننزع إليه، ولا نرى فوقنا أية قوة عليا تعيننا على التحكم في مصيرنا»^(١) وهذا القول لا يحتاج إلى تعليق، إنه إنكار واضح لوجود الله.

٥ - ويقول (سارتر) :

«أنا موجود معناه أنني حر، وقولي أنا حر معناه أن الله لم يعد موجوداً»^(٢) ويقول أيضاً:

«أن تكون إنساناً هذا معناه أن تنزع إلى أن تكون إلهاً وإذا شئت الإنسان في صميمه إن هو إلا رغبة عارمة في أن يصبح هو الله نفسه»^(٣) ويقول أيضاً:

«إن الله قد مات ولكن هذا لا يعني أنه غير موجود أو أنه لم يعد موجوداً بل إن الله قد مات بمعنى أنه كان يحدثنا ثم صمت فلم نعد نستطيع أن نلمس منه الآن إلا جثة هامدة»^(٤) ويقول أيضاً:

«أما نحن فإننا قد قوضنا - الله - لكننا قلنا باستمرار وجود تلك القيم بالرغم من اعتقادنا بعدم وجود الله»^(٥) ويقول أيضاً:

(١) هيدجر نقلاً من كتاب زكريا إبراهيم (دراسات في الفلسفة المعاصرة) ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) سارتر (الذباب) ص ١٨٤-١٨٥.

(٣) سارتر (الشیطان والرحمن) ص ٢٦٧.

(٤) سارتر (المواقف) ترجمة جورج طرابيشي. دار مكتبة الحياة ص ١٢٣ ج ١.

(٥) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ٢٦.

«إن الإنسان محكوم عليه بالحرية، محكوم لأنه لم يخلق ذاته وهو حر لأنه قد صار مسئولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن تواجد في العالم»^(١) ويقول أيضاً:

«إن الوجودية ليست إلحاداً بمعنى استفادها لنفسها في استعراض أوجه عدم وجود الله، وهى تعلن أنه حتى لو كان الله موجوداً فالنتيجة لها سواء، وليس المهم أننا لا نؤمن بوجود الله ولكن المهم بالنسبة لنا أو مانظنه المشكلة الحقيقية، ليس مشكلة وجوده بل المهم هو أن الإنسان محتاج لأن يجد نفسه من جديد، ولأن يفهم أن لا شيء يمكن أن ينقذه من نفسه ولو برهن على أن الله موجود»^(٢) ويقول أيضاً:

«هناك تناقض ضمنى في الفكرة التي تقول بوجود كائن يستمد وجوده من نفسه»^(٣) «أنا وحدي اخترعت الله»^(٤) ويقول أيضاً:

«إن الله لكي يكون علة نفسه يجب أن يوجد أولاً لكي يصبح علة لوجوده، أي أن يوجد قبل أن يوجد فالله متناقض»^(٥) ويقول أيضاً:

«إن الله لكي يوجد يجب أن يجمع في طبيعته بين الوجود في ذاته أي وجود الأشياء، وبين الوجود لذاته أي وجود الإنسان وكلا الوجودين متناقض مع الآخر، ولا يمكن الجمع بينهما»^(٦) ويقول أيضاً:

«أما إذا إعتبر البعض إلحادنا بالله يأساً فالوجودية يأس شديد عميق»^(٧)

(١) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٣) سارتر (الوجود والعدم) ترجمة عبدالرحمن بدوي، ص ١٢٨.

(٤) سارتر (الشیطان والرحمن) ص ٢٦٧.

(٥) ساتر (الوجود والعدم) ص ١٢٩ ومسرحية الذباب ص ٣٦.

(٦) سارتر (الوجود والعدم) ص ٧١٢-٧١٥.

ويقول أيضاً:

«إن الله غير موجود فكأنني تخلصت من فكرة كانت موجودة في العالم ووضعت مكانها عدماً روحياً فكرة ناقصة داخل إطار أفكاري جميعاً»^(١) ويقول أيضاً:

«كل موجود يوجد بلا سبب ويحيا عن ضعف ويموت بمحض المصادفة»^(٢) هذه بعض أقوال هذا الفيلسوف الملحد، ولقد أعلن إلحاده ولم يجد في إعلانته حرجاً فهو يقول في تبجح «ولكن الوجودية الملحدة والتي أمثلها أنا»^(٣) وهذا القول وغيره مما سبق، إشارة واضحة لعدم اعتراف سارتر بوجود الله، تعالى الله عما يقول هذا المغالط علواً كبيراً.

مناقشة أقوال سارتر:

١- استدل سارتر على عدم وجود الله بشبه واهية متهافتة متهاكة حيث في الشبهة الأولى التي قالها وهي «إن الله لكي يكون علة نفسه يجب أن يوجد أولاً ... إلخ» ومنشأ الخطأ لدى سارتر وغيره من الوجوديين ممن تشبث بهذه الشبهة أنه اعتقد أن كل موجود مفتقر في وجوده لأخر حتى وجود الله، فتصور وجوده كوجود الإنسان، ولذلك لم يتصور أنه أصل الوجود الذي ليس وراءه أصل. والوجود لا يكون إلا هكذا إذ أنه لا بد - في الوجود - من موجود أوجد غيره ولم يوجد غيره هو الأول للموجود كما

(٧) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ٦٧.

(٨) سارتر (الوجودية والعدم) ص ٥٤٦.

(٩) سارتر (الغثيان) ص ١٩٣ و(الوجود والعدم) ص ٦٣٠.

(١٠) راجع سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ترجمة كمال الحاج دار مكتبة الحياة. بيروت ص ٤١.

عبر عنه (فيثاغورس)^(١) بأنه كالعدد واحد أصل الأعداد ولا يوجد أصل له. ولذلك قال الله القرآن الكريم ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾^(٢).

٢- أما شبهة سارتر الثانية والتي سلكها لإنكار وجود الله فهي قائمة على أن وجود الله مستحيل إلا إذا جمع في طبيعته بين الوجود لذاته (الإنسان) وبين الوجود في ذاته (الأشياء أو الجماد) وكلا الوجودين متناقض مع الآخر، ولا يمكن الجمع بينهما. فهل يقبل من لديه ذرة من عقل شبهة سارتر هذه؟ وهل من المعقول أن يكون الله العلي القدير الخالق لكل شيء أن يكون مثلاً للإنسان أو مثل أي شيء خلقه هو - سبحانه وتعالى علواً كبيراً - « قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٣) قال الأستاذ وحيد الدين خان «وعلى كل حال فإن شبهة سارتر هذه بكل ما تتضمن من السفسطة والجهل وانعدام الواقعية هي فكرة لامعنى لها في ذاتها، وليست مفهومة، كما أنها لم تحظ بالقبول لدى أي إنسان عاقل إذ كيف يسلم ويؤمن بوجود الإنسان، وكذلك يسلم ويؤمن بوجود الكون، ولا يؤمن بوجود الله، فإذا آمننا بوجود الكون فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقياً إذ لامعنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئاً جاء إلى الوجود دون خالقه فكل شيء وراءه علة فكيف بنا

(١) فيثاغورث ٥٧٢٠ ت ٤٩٧ ق.م مؤسس المدرسة الفيثاغورية. ولد بجزيرة (ساموس) وتلقى تعليمه

في مصر وبابل. راجع المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية ص ١٢٨.

(٢) سورة الحديد آية ٣.

(٣) سورة الشورى آية ١١.

نؤمن بأن كوناً عظيماً مثل كوننا جاء (الوجود) دون خالق أليس هذا عناداً ومكابرة»^(١).

٣- إن مفهوم الألوهية لدى (سارتر) مفهوم بشري سانج، بل إنه أكثر سذاجة من مفهوم المشبهة^(٢)، ذلك أن المشبهة مع قولهم بجوارح وأعضاء لله تماثل جوارح البشر وأعضاءهم لم يسلبوه من صفات (إلهية) تميزه عنهم، لكن سارتر يتصور الله تعالى على أنه موجود كسائر البشر فيسميه (موجوداً بذاته) مثلما يطلق هذا اللفظ على أي موجود واع آخر، فالله تعالى موجود بذاته بنفس المعنى الذي تعبر عنه عبارة (سارتر موجود بذاته) تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وكلمة (موجود) تحمل بين طياتها الوجود المجسم الذي ليس وراءه أي حقيقة غيبية، يتضح ذلك من تفسير الوجودية السابق للوجود بأنه (ما يظهر عليه) أي أن الوجود هو الوجود الظاهري الذي ليس وراءه وجود خفي، فالله (موجود بذاته) بهذا المعنى المجسم للوجود - كما يدعون - لذا طابق وجوده، الوجود الواعي المجسم الذي هو الإنسان. وللتعليق على هذه الفكرة أقول: إن سارتر ليس بالبساطة العقلية والسذاجة التي تجعله يصدق هذه الفكرة التي ابتدعها عن الخالق ولكن الجحود والمكابرة اللذين أشار إليهما قول الحق تبارك وتعالى في شأن الكفار: ﴿ووجدوا بها

(١) وحيد الدين خان (الإسلام يتحدى) ترجمة ظفر الإسلام خان. مكتبة القرآن ١٩٦٦ ص ٤٨-٤٩.

(٢) أمشبهة صنفان - صنف شبهوا ذات الباربي بذات غيره كالبابية والبيانية، وصنف شبهوا صفات بصفات غيره كالهشابية والجواربية.

واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً^(١) هما اللذان دفعاه للإصرار على هذه الفكرة، يدل على هذا تصريح يتضمن اعترافاً واضحاً له بوجود (الخالق) حيث جرت محاورة بينه وبين عشيقته (سيمون دي بوفوار) وذلك قبل وفاته بوقت قصير حيث قال: «أنا لأشعر بأني مجرد ذرة غبار ظهرت في هذا الكون، وإنما ككائن حساس تم التحضير لظهوره وأحسن تكوينه أي بإيجاز ككائن لم يستطع المجيء إلا من خالق»^(٢).

٤- تجرأ سارتر على الله ونسب إليه لفظ الموت فقال: «إن الله قد مات» ويعني بذلك أن الإنسان موجود مهجور قد خلى بينه وبين نفسه، وأنه لا يجد في ذاته بأية دعامة يركن إليها، أو أي سند يعتمد عليه، فعلى الإنسان أن يسترد حرية الخلاقة فيصبح هو الخليفة الشرعي الذي يتربع على عرش الحقيقة المتعالية^(٣) - على حد زعمه -.

٥- أن عبارة (الموجود بذاته) لا يمكن بحال أن تدل على المفهوم الحقيقي للألوهية، وتقابلها - على سبيل الفرض - عند علماء المسلمين عبارة (الواجب لذاته) الدالة على المفهوم الصحيح لأنها تدل على قيام الله بنفسه، والقائم بنفسه لا يحتاج لغيره حتى وهو موجود، فكيف يتوقف وجوده عليهم.

٦- أوهم سارتر الإنسان أنه سيد مصيره وأنه قادر على خلق ذاته وحيداً

(١) سورة النمل آية ١٤.

(٢) مجلة الدوحة عدد ٧٧ شهر رجب ١٤٠٢ تحت عنوان (المحاورة الأخيرة بين سارتر ودي بوفوار) ص ١٢ ترجمة وتعليق محمد جابر الأنصاري.

(٣) راجع: د. زكريا إبراهيم (مشكلة الإنسان) ص ٢٠١ وموريس كرانستون (سارتر بين الفلسفة والأدب) ص ٤٨.

مستقلاً عن الآخرين، يختار هذه الذات في حرية تامة دون أن يهتدي بأية قوى في طريقة، أو يعتمد على مقاييس موضوعة له، فجعله يعيش في ظلمة دائمة، تحيط به الأخطار من كل جانب، فهو يكابد القلق يائس من غيره، لا يؤمن إلا بصنع يده ونتاج عقله، مادام سارتر قد أعلن أنه لا إله إلا إرادته الخالقة - نعوذ بالله - وأن قيمة الإنسان في مدى ماتخلقه هذه الإرادة وتحققه، يقول الأستاذ (رمضان لاوند) «إنه أراد أن يمنح الإنسان صفات الله ولكنه إله مزيف يصنع نفسه شيئاً فشيئاً في طريق لانهائي لن يصل به إلى النور»^(١).

٧ - ادعى سارتر أن الأديان تقييد لحرية الإنسان ومسيطرة عليا، فما القواعد والنظم والأديان إلا مجرد أفكار مثالية، وتشريعات لم يصنعها الإنسان، ولم يساهم في وضعها، فهو لا يعترف بها والفكرة بصفة عامة لا وجود لها إذ الوجود لا يكون إلا لما هو كائن بالفعل وما يحققه الإنسان من خلال تجربته الوجودية - على حد زعمه - ومما لاشك فيه أن هذا الاتجاه يفتح أبواباً عدة إلى الضلال، ذلك أن كل إنسان مهما كانت تجربته فهي تجربة ذاتية فردية دون مقاييس سابقة، ستصل به حتماً إلى نتائج لا يطمئن إلى قيمتها الحقيقية من الحق أو الباطل مادام لا يوجد الميزان الذي توزن به، ومع ذلك يدعي (سارتر) أن الدين خرافة^(٢) لأنه نسيج من الاتجاهات الغيبية والفكرية - على حد زعمه - وهذا سيرٌ ومجاراته لأفكاره التي أحدثها قلبه المريض حيث ادعى أن ذاته قائمة أولاً ومنها بعد ذلك

(١) رمضان لاوند (وجودية ووجوديون) دار مكتبة الحياة. بيروت ص ٨٨-٨٩.

(٢) راجع: سارتر (الجدار) ص ١٩٧.

تنبثق الاتجاهات الفكرية، فالإنسان يخلق الفكرة التي يصنع بها حياته، مثله في ذلك كمثل عابد الوثن الذي يصنع الوثن أولاً بيديه ثم يخر له ساجداً. وهذا دليل على التعالي والعظمة والشعور بفخامة النفس حين يتصور كل وجودي نفسه إلهاً^(١) وهكذا تصبح الكرة الأرضية آلهة بلا عباد ولا رسل ولا كتب ولا ملائكة ولا دين ولا آخرة. نعوذ بالله من ذلك.

٨ - نفى سارتر وجود الله لأنه - كما يزعم - لو كان موجوداً لأوجد الإنسان تبعاً لصورة مسبقة في ذهنه، في حين أن الإنسان هو الذي يوجد صورته التي يقررها لنفسه، وهذا الادعاء ليس له أساس من الصحة إذ لو كان الإنسان هو الذي يحدد وجوده وصورته التي يقررها لنفسه، بعد ولادته كما يقرر سارتر فمن الذي أبدع صورته ووجوده عند الولادة وكذا وهو جنين في بطن أمه، أهو الإنسان أيضاً؟.

إن فطرة سارتر التي فطره الله عليها تعترف بوجود الله ولكنه يكابر ويعاند لهوى في نفسه، ويؤكد ذلك ماقرره^(٢) وهو أن الإنسان لم يختر أشياء كثيرة كهيئته في الطول والقصر، في الجمال أو القبح، في مسحة البدن، أو إذا كان ذو عاهةٍ أو علة فكل ذلك لم يختره الإنسان فمن الذي اختاره إذن؟.

٩ - إن النزوع إلى الله أمر فطري لدى جميع الناس حتى (سارتر) الذي أعلن إلحاده، ولذلك نجده يقول: «إن الإنسان ينزع دائماً نحو الوجود ولكن الوجود الذي يشتاق إليه الإنسان ليس هو الوجود المادي الذي قد يبعث

(١) راجع: محمد لبيب البوهي (الوجودية والإسلام) دار المعارف مصر ص ٢٠-٢١.

(٢) راجع: سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٦٥.

في الشعور (بالغثيان) أو الذي فيه من اللزوجة ما قد يولد لديه الضيق والاختناق، بل هو ذلك الوجود القار في ذاته، الوجود الإلهي نفسه»^(١) وقوله أيضاً: «وأن تكون إنساناً معناه أن تنزع إلى أن تكون إلهاً وإذا شئت الإنسان في صميمه إن هو إلا رغبة عارمة في أن يصبح هو الله نفسه»^(٢). وكذلك قوله على لسان (أورست) مخاطباً ملك الألهة «لم تكذ تخلقني حتى خرجت عن نطاق سلطانك»^(٣).

إذن (فسارتر) معترف بالإله الخالق وهذه الأقوال تؤكد ذلك ولو لم يكن معترفاً في قرارة نفسه بأن هناك إلهاً لما قال ذلك وتمنى أن يكون هو الله. فكل إنسان لديه حاسة روحية تتلمس آفاق النور دائماً. يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب «وإنه مهما غرق الإنسان في الظلام فإن تلك الحاسة لاتغفل عن وظيفتها أبداً»^(٤) إلا أن هذه الحاسة أو الفطرة كما يقول د. أحمد شلبي: «لا تختفي بل لاتضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة»^(٥) إذن هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها جميعاً - بما فيهم سادة الوجودية وعلى رأسهم سارتر - قد تراكم عليها الصدأ بسبب الاتجاهات الفكرية لديهم، وعدم إيمانهم إلا بنتائج التجربة الذاتية والحواس، والله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يرى في الدنيا لأن الله عز وجل لم يجعل للعين القدرة على رؤيته في الدنيا، ولكنه سيرى في الآخرة، كما جاءت بذلك الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن الله عز وجل قد نصب الأدلة الكونية التي تدل عليه عز وجل وتبين ربوبيته للكون، كما أن الفطرة البشرية قد أودع فيها معرفته وتعظيمه، وقصد عبادته، وهذه الفطرة قد تنحرف وتصاب بالفساد بحسب العوامل التي تحيط بالإنسان، لهذا نجد القرآن الكريم كما

(١) سارتر (الشیطان والرحمن) ترجمة عبدالمنعم الحفني. مبدولي القاهرة ص ٢٦٧.

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) سارتر (مسرحية الذباب) ترجمة فؤاد كامل. الدار القومية عدد ٥١ ص ٨٧-٨٨.

(٤) عبدالكريم الخطيب (قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) دار الفكر العربي ١٩٧١ ص ٩٠.

(٥) د. أحمد شلبي (مقارنة الأديان) الإسلام/مكتبة النهضة ١٩٧٩ ص ٦٨-٧٤.

أثبت أن الله فطر الإنسان على معرفته به، أثبت أيضاً أن هناك من ينحرف بهذه الفطرة قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^(١) وقال تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ﴾^(٢).

ويضيق المقام عن عرض أقوال الوجوديين في الإله ومن خلال ماورد أقول إن الوجوديين لا أحسبهم إلا من المعاندين الذين يحاربون دعوة الحق حرصاً على المصالح الدنيوية أو المراكز الأدبية أو الجاه والسلطان أو الحقد وهو الحقد ليس غير ذلك. إذا عرفنا أن الله أثبت العلم للكافرين بوجود الله قال تعالى ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وأثبت الفطرة العارفة بالله خالق كل شيء قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٤) وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة الإسراء آية ٦٧ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٤٢ .

(٤) سورة الزخرف آية ٩ .

(٥) سورة الجاثية آية ٢٣ .

ثالثاً . شبهات الوجوديين على معتقدتهم في الألوهية

تقيم الوجودية على معتقدها الكافر الباطل في الألوهية شبهات عدة منها:

١- استند الوجوديون على زعمهم الباطل في القول بنفي الألوهية على دعوى زائفة هي قولهم بحرية الإنسان حرية مطلقة.

وهذا القول الذي ينادي به طواغيت الوجودية ومردتها يؤسسونه عليه إنكارهم لوجود الله تعالى فهو - في منظورهم - الخاطيء ليس مهيمناً على هذا الوجود، فهيمنة الله تعالى على هذا الوجود تتنافى مع القول بحرية الإنسان حرية مطلقة ذلك لأن الوجودية حين تقرر حرية الإنسان بمفهومها المطلق فإنها تعني بذلك أن الله ليس موجوداً. يقول أكبر طواغيت الوجودية «إن حرية الإنسان تقوم على أنقاض حرية الله»^(١).

الرد على هذه الشبهة:

إن دعوى الحرية المطلقة التي أسس عليها الوجوديون إنكار الله - الخالق الرازق المحي المميت - لا وجود لها إلا في خيالهم المريض إذ لو كان الإنسان حراً حرية مطلقة لتحكم في مسيره ومجريات أحداثه، وكان عالماً بكل ما يحيط به من أحداث، بل لكان هو المتحكم والمخطط لمسيرها في الحياة. ولما كان هناك ما يقع على الإنسان غير ما يبتغيه أو يرتب فيه بل يتمنى ألا يقع تأكد كذب ما ترتب على دعوى الوجودية من استغناء الإنسان

(١) سارتر (الوجودية والعدم) ص ٦٢٤.

عن خالق أوجده وقدره. وبيان ذلك أن الإنسان وهو بطريق الحياة تتناوبه هذه الأقدار:

أ - أحداث تقع به فيفجؤه بل يفجعه نزولها به دون أن يدور بخلده
- قط - أنها ستصيبه أو ستلم به مثل النوازل والكوارث التي قد
تصيب الإنسان وهو بطريق الحياة دون سابق إنذار، وما يستطيع
عقل أن يقول إن الإنسان هو الذي وضعها بنفسه أو أنزلها بساحته
بناء على حريته المطلقة.

ب - أحداث تنوبه ما يتمناها لنفسه - قط - لكنها تقع به مثل ضعف
البصر، انحناء الظهر، عجز القدمين عن حمل الجسم، تجاعيد الوجه،
ابيضاض الشعر، فلو كان الإنسان سيد أفعاله لما وقع بنفسه
ماتكرهه نفسه^(١).

ج - لو كان الإنسان هو الخالق لنفسه لكان عالماً بتفاصيل حياتها وأسباب
وجودها، أو الغاية التي تصير إليها بعد رحيلها، وهذا يتناقض مع ما
تنادي به الوجودية في أضل مبادئها، فهي ترى أن الإنسان قد قذف
به في الحياة دون هدف، وسيرحل عن الحياة دون إرادة أو غاية،
وتوضيح ذلك وبيانه أوضح من أن يثار.

د - هل يُعقل أن يلغي الإنسان وجود الله لمجرد إثبات حريته الكاملة،

(١) رجع: د. عبدالسلام عبده (العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل) ج ١، ١٤٠٩ مطبعة الفجر الجديد

وما المبرر لذلك إذا كان الله العالم بكل شيء قد وهب للإنسان حريته
قال تعالى ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها
وسنجزى الشاكرين﴾^(١) ولنا مزيد بسط في هذا البحث في الفصل
القادم إن شاء الله.

٢ - الشبهة الثانية التي يستدل بها الوجوديون على إنكار وجود الله سبحانه
وتعالى هي حصر إيمانهم في المحسوسات فقط، فيدعون أنه إذا كان الله
موجوداً فلماذا لا نراه بأعيننا ولا ندركه بحواسنا كما ندرك ونرى
الموجودات؟ وهل يسوغ لنا أن نؤمن بما لانراه؟

الرد على هذه الشبهة

إن الإيمان بالمحسوسات والموجودات فقط مسخ للإنسان، وتغليب لجانب
من شخصيته على الجانب الآخر مما ينتج عنه القلق والفرع الذي يعاني منه
الوجودي، وإلا فالإنسان جسد وروح^(٢)، وحصر الموجودات فيما يرى ويحس
غير صحيح، فكم من موجودات لاتحس ولا ترى، كما أن حصر وسائل
المعرفة في الإدراك الحسي غير صحيح كذلك، فالإنسان يعرف ويدرك عن
طريق البداهة والفطرة وعن طريق العقل والفكر، وعن طريق البصيرة
والإلهام، كما يعرف ويدرك عن طريق الحس والرؤية، فعلماء الفلك يقدررون

(١) سورة آل عمران آية ص ١٤٥.

(٢) راجع: على لبن (الغزو الفكري في المناهج) ص ٨١.

وجود كواكب بيننا وبينها ملايين السنين الضوئية، وقدرنا مواقعها والأبعاد بين بعضها، لأن وجودها في المواقع التي حددوها، يفسر لهم آثاراً وظواهر معينة، في حركة الكواكب التي رصدوها، ويستدلون بما رأوه على ما لم يروه، ويتبين بالملاحظات العلمية صحة الفرض الذي فرضوه. فهل يلام هؤلاء العلماء على إيمانهم بما لم يروه ولم يحسوه مع أنهم اهتدوا إليه بالمنطق الرياضي الذي يعتمد على الأرقام لا على الأوهام.

إن هؤلاء العلماء قد اعتمدوا على منطق بسيط ولكنه صادق هو الاستدلال بالأثر على المؤثر، فهم قد عرفوا الكواكب البعيدة بآثارها لا بذواتها، وعلى هذا النهج نفسه درس العلماء الطبيعيون «الذرة» واستخدموا قوانين الكتلة والطاقة، مع أنهم لم يروا الذرة حتى الآن كل ما انتهوا إليه بوسائلهم الألكترونية الجبارة أنهم استطاعوا أن يروا ظلها أو خيالها بعد تكبيره وتضخيمه. فكيف نسلم بهذا المنطق - منطق الاستدلال بالآثار - ونستخدمه في علوم الطبيعة والفلك ثم ننكره في معرفة الخالق؟(١).

٣- الشبهة الثالثة التي يضعها الوجوديون حجة لهم في إنكار الله - سبحانه وتعالى - أن الإنسان أو الكون لا يحتاج إلى موجد أو جده بل وجد صفة دون تقدير ولا تدبير فلا خالق ولا موجد له.

(١) راجع: بسام سلامة (الإيمان بالغيب) مكتبة المنار ص ١٩٢-١٩٩.

الرد على هذه الشبهة:

القول بالصدفة من الافتراءات الأثمة التي قال بها الغافلون عن الإبداع

الكوني، وما في العلم من أسرار ونواميس هي أكبر شاهد على مدبر حكيم.

إن ما يحدث في الكون من تقدير في الأرزاق والأجال وما عليه الكون من

إبداع، وما يحتوي عليه من أسرار لا مرد له إلى العشوائية والارتجال - كما

يدعي الوجوديون - وآية ذلك تتضح فيما يلي:

أ - أن تحقق الحياة على هذه الكرة الأرضية أو في غيرها من الكواكب

محتاج إلى نظم وسنن تتناهى في دقتها وحكمتها بما يستحيل على

المصادفة أن تفتل غزلها أو تنتج خيوطها وهي العمياء البلهاء.

إن كل خيط من خيوطها هو جزء السبب الذي أبدعه الخالق وجعله

ركيزة وجودها؛ فهل يدور بخلد عاقل أن المصادفة هي التي أوجدت

هذا السبب خلقاً وابتكاراً وإبداعاً؟ الواقع والمنطق يقولان.

ب - أن الحياة على هذا الكوكب الذي خلقه الله تعالى ودحاه فأخرج منه

ماءه ومرعاه خاضعة لعوامل شتى تكشف للفكر الإنساني في كل يوم

من أيام تطوره وتقدمه ما يذهله، فهي أكبر من أن يحيط بها

فنظرية المصادفة لاتقوم على أي دليل مقبول، ولا يقبل بها أي عقل

سليم، ولهذا نرى القرآن الكريم يخاطب هؤلاء المتشككين بأسلوب

إقناعي يبين أن الكون لا بد له من موجد وهو الله سبحانه وتعالى

القائل: ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾^(١) ريلفت القرآن الكريم النظر إلى الحكمة المتمثلة في خلق المخلوقات والتي تدل على خالق في نهاية العلم والحكمة. قال تعالى ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾^(٢) وجاء في القرآن في وصف الله سبحانه وتعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾^(٣) فالمصادفة لا تخلق وجوداً فيه علم وحكمة وإبداع وإتقان.

ولو فكر كل وجودي في هندسة هذا الكون، كواكبه ونجومه، وهندسة جسمه هو وإتقانه وخواصه وتكوينه، أو فكر في عالم الحيوان، الطائر والسابع، الماشي والزاحف بأنواعها المختلفة، المتقنة في أشكالها وأوضاعه، وألوانه - وطبائعه وطرق عيشه، وكبيره وصغيره، أو فكر في عالم النبات أشجاره وزروعه، وكبيره وصغيره، هوائه ومائه، وثماره وزهوره، وأوراقه وأخشابه، وطعومه وروائح، أو فكر في هذه الأرض بحرها ويابسها، بجبالها وأغوارها ووديانها وسهولها، بصخورها ورمالها، بأنهارها وبحرها وبرها بليلها ونهارها. لو فكر في كل هذا لرفض رفضاً قاطعاً المصادفة، ولأمن أن وراء ذلك إلهاً عظيماً حكيماً حليماً لطيفاً رحيماً. ويرد أيضاً على

(١) سورة إبراهيم آية ١٠.

(٢) سورة النمل آية ص ٨٨.

(٣) سورة السجدة آية ٧.

الوجوديين في زعمهم بالمصادفة بقصة أحد الملاحدة مع أحد علماء الإسلام^(١) مشهورة ففي مجلس من مجالس بغداد تواعد الملحد والعالم في ساعة محددة، فحضر الملحد ولم يحضر العالم، وبقي الجميع في الانتظار ساعات حتى كادوا ينفضون وإذا بالعالم يدخل محيياً ويعتذر عن تأخيره بسبب عجيب. فلما سألوه عن السبب قال: لما انتهيت إلى ضفاف دجلة وأنا في طريقي إليكم رأيت شجرة ضخمة تهوي إلى النهر من تلقاء نفسها ثم شاهدتها تتقطع قطعاً متشابهة متشابكة منتظمة، ثم أبصرت هذه القطع تتلافى وتتلاحم على شكل زورق ثم سال عليها القار، ودخلت فيها المسامير فأصبحت زورقاً جميلاً رائعاً، ثم رأيت هذا الزورق يقف عند الضفاف من تلقاء نفسه، فإذا ركب به الناس سار بلا مجداف ولا سائق حتى يصل بهم إلى الجانب الآخر، فإذا ركب الناس من ذلك الجانب سار بهم إلى الجانب الأول وهكذا، وكان هذا هو العجب الذي رأيتيه وسبب لي التأخير، وما أن أتم كلامه حتى ضحك الملحد بسخرية واستهزاء قائلاً: إنني لأسف من تضييع الوقت في انتظار هذا الرجل الأحمق السخيف فالتفت إليه العالم وقال إذا كان هذا غير ممكن عقلاً ومعتقداً أحمق سخيف فكيف بوجود الأرضين والسموات والكواكب

(١) يقول الدكتور أحمد الشرباصي في كتابه (الائمة الأربعة) إن هذا العالم أبو حنيفة دار الجيل

والكائنات (١) ولهذا أقول إن فكرة الصدف ساقطة في ميزان العقل والعلم.

٤- الشبهة الرابعة التي يحتج بها الوجوديون على إنكار الخالق هو وجود الشر في العالم حيث جعلوا الإنسان مصدر كل شيء ومصدر معرفة الخير والشر، والإنسان لا يختار إلا الخير لنفسه وللإنسانية، وقالوا كيف أيضاً تكون الدنيا من صنع خالق كامل حكيم عليم رحيم كريم، وهي في حالة من الشر والظلم والنقص وسفك الدماء؟ إذ لو كان الخالق موجوداً لمنع كل هذه الأشياء ولأبدلها خيراً وسعادة.

الرد على هذه الشبهة:

لا مجال لادعاء الوجوديين عدم وجود الخالق بسبب وجود الشر بل الشر والخير من دلائل وجود الله سبحانه وتعالى ونرد على شبهتهم من وجوه:

١- الإنسان له طاقة فإذا قصر في الخير وجد الشر، والدنيا ليست هي النهاية، بل هي مرحلة من مراحل كثيرة يمر بها الإنسان، أما المرحلة النهائية فهي الآخرة حيث لا ظلم كما قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ (٢).

(١) راجع كتاب (الله بين الفطرة والدليل) تأليف الشيخ محمد حسين آل ياسين. مطبعة الجبلاوي

بمصر. شبرا ط ٥ ١٣٩٨ ص ٩.

(٢) سورة غافر آية ١٧.

٢- أن الله عز وجل ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(١) وقد أراد هذا الإله الحكيم أن يكون في الدنيا خير وشر، فوجود الشر ليس دليلاً على عدم وجود الخالق تعالى، بل إن وجود الشر (بالنظرة البعيدة) دليل على الخالق الفاطر سبحانه وتعالى إذ أننا نحن البشر نعجز في كثير من الأحيان عن تقدير عقوبة ظالم من الظالمين لكثرة الشرور التي فعلها حتى لو قدرنا له عقوبة الموت فإنه لاشيء، بالنظر إلى مئات أو آلاف الأرواح التي أزهقها وغير ذلك من الفساد. فشر هذا الظالم وعدم مقدرتنا على تقدير عقوبة له دليل على أن هناك ذاتاً أقوى وأحكم منا قادرة على تلقين هذا الظالم عقوبة تتناسب مع جرائمه فلا تنقص ولا تزيد بينما لو وكل الأمر للبشر فإنه لا بد مائل إلى جهة من الجهتين^(٢).

٣ - ولله المثل الأعلى فإن الابن يبكي حينما يأخذه أبوه ليجري له جراحة، ويعتبر هذا جريمة وشراً، فإذا امتد به العمر نعلم أن هذا الشر العارض كان وراءه خير كثير يستحق التحمل وكذلك هذه الدنيا.

٤ - الخير والشر وجهان لعملة واحدة، فالفيضان هو خير من وجه وشر من وجه آخر، والحروب دمار من جهة، وحياة من جهة أخرى وهكذا، والبحوث المركزة في أوقات الحرب أخرجت للناس البنسلين، ونقل

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣.

(٢) راجع: بسم سلامة (الإيمان بالغيب) ص ٢١٠-٢١٢.

الدم، ونقل الأعضاء، والطاقة الذرية، والصواريخ، والنفاثات،
والغواصات، وصناعة الصلب، وأجهزة الرادار، والبارود^(١).

أورد الباحثون مامضى على أساس أنها شبهات للملاحدة ولكني أرى
أنها ليست شبهات من كل الوجوه وإنما هي من التعليقات التي قالوا
بها لتبرير أنحرافهم وهبوطهم. والآن بعد أن عرفنا تصور
الوجوديين للإله، والشبه التي أقاموها لإنكارهم هذا الإله نختم
حديثنا عن مفهوم الألوهية في الإسلام.

(١) المرجع السابق، ص ٢١٠-٢١٢.

رابعاً . عقيدة الألوهية في الإسلام

الله في العقيدة الإسلامية هو ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ (١) الله ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ (٢) الله هو الخالق والرازق هو المسيطر والمدبر، ﴿لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو بكل شيء عليم﴾ (٣) هو الرافع والخافض، هو المعز والمذل، والله هو النافع والضار، والله هو المنتقم الجبار، والله هو الغفور الودود، والله هو العلي الكبير، والله هو القريب المجيب، والله هو الذي يحول بين المرء وقلبه، والله هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، والله هو العليم بذات الصدور، وهو معهم أينما كانوا ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ (٤) وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، وهو الذي يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وهو مطلق الإرادة ﴿فعال لما يريد﴾ (٥) وهو يملك هذا الكون الذي خلقه ﴿له ملك السموات والأرض﴾ (٦) يحكم في ملكه كما يشاء ﴿لامعقب لحكمه﴾ (٧) ﴿له الحكم وإليه ترجعون﴾ (٨) والكون كله خاضع له ﴿ولله يسجد من في السموات

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٢) سورة الحديد آية ٢ .

(٣) سورة آل عمران آية ٥ .

(٤) سورة الأنعام آية ٥٩ .

(٥) سورة هود آية ١٠٧ .

(٦) سورة الحديد آية ٢ .

(٧) سورة الرعد آية ٤١ .

(٨) سورة القصص آية ٧٠ .

والأرض) (١) وقال تعالى ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ (٢) فلا ملجأ من الله إلا إليه. هذا هو مقتضى الوهية سبحانه وتعالى، متفرد بالألوهية في السموات والأرض واحد بلا منازع، متفرد بلا شريك سبحانه (٣).

والذين جادلوا في وجود الله قلة مغمورة في كل عصر ومعظمهم ممن جرفتهم الشهوات كالوجوديين وغلبتهم الغرائز الدنيا فبرروا هبوطهم وانحرافهم بالإلحاد، وإنكار وجود الخالق الأعلى، حتى لا يحاسبهم أحد، ولا يحاسبون أنفسهم على السقوط والانغماس في الملذات البهيمية. وقد قال بعض المفكرين في إلحاد هذا النوع من الناس: إنه إلحاد بطن ونرج لا إلحاد عقل وفكر، يعني أنهم ينحلون أولاً ثم يلحدون ثانياً، وبتعبير علماء النفس: إن الإلحاد والإنكار عندهم ضرب من الحيل اللاشعورية لجأوا إليه لتبرير انحرافهم والدفاع عن سقوطهم وسوء سلوكهم، وتغطية ضعفهم أمام الشهوات والملذات. ومن هنا لم يكن هم الأنبياء منصرفاً إلى إثبات وجود الله سبحانه فقد كان هذا أمراً مفروغاً منه ومسلماً به لدى أقوامهم. وإنما كان أكبر همهم تنقية الإيمان بالله مما شابه من أدران الوثنية ونجاسة الشرك الذي أفسد عقول البشر، وجعلهم عبيداً لبعض الأشياء التي سخرها الله لهم،

(١) سورة الرعد آية ١٥.

(٢) سورة النحل آية ١٢.

(٣) رجع: جهايز طعيمة (العقيدة والفطرة) دار الجيل بيروت ص ٦٧-٧٢.

وجعلهم سادة عليها، كان أكبر همهم الدعوة إلى التوحيد، كان أول ما يدعوا إليه الرسول وأبرز ما ينادي به قومه أن ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ (١) ﴿اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٢).

ولما بعث محمد ﷺ وجد قومه - كما وجد سائر الأمم - (٣) يعبدون مع الله آلهة أخرى من مخلوقات الأرض، وكواكب السماء، ولكنهم لم يجحدوا وجود الله، ولا جادلوا فيه، وهذا ما قرره القرآن في قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ (٤) وإذا كان هناك فئة قليلة من الدهريين الملحدين فإن القرآن لم يقم لهم وزناً، ولم يعتد بوجودهم لأنهم يتحدثون الفطرة والبداهة والحس، ووجه خطابه - أكثر ما وجهه - إلى الذين أشركوا ولهذا كان أول ركن في الإسلام ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ (٥) وكانت دعوة الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض وأباطرتها تتمثل في هذه الآية ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ (٦).

(١) سورة الاعراف آية ٥٩.

(٢) سورة النحل آية ٣٦.

(٣) راجع: ديوسف القرضاوي (وجود الله) ص ١١-١٢.

(٤) سورة الزمر آية ٢٨.

(٥) سورة النساء آية ٣٦.

(٦) سورة آل عمران آية ٦٤.

أدلة وجود الله سبحانه وتعالى:

إن وجود الله - سبحانه وتعالى - من المسلمات والبدهيات في النفس البشرية، أودعها الله فيها فلا يحتاج إلى برهان يقول الشيخ عبدالحليم محمود «فوجود الله أوضح من أن يبرهن عليه»^(١) ويقول الأستاذ محمد البهي «وليس هناك ضرورة أو حاجة ملجئة إلى استخدام الأدلة على وجوده، فتصور الذهن للوجود وحده يؤدي به حتماً إلى الاعتراف بواجب الوجود»^(٢) ومعرفة الله عز وجل بصفاته وأسمائه الحسنى، ومعرفته في علاقاته بخلقه عامة، وبالإنسان خاصة، ومعرفة الحكمة من الخلق فكلها معارف إخبارية، تبدو بعد معرفتها عن طريق الوحي معقولة، ومقبولة للنفس، لاتفاقها مع الفطرة أولاً وعدم تعارضها واختلافها مع مقولات العقل والمنطق الصحيح ثانياً. ومن ثم فمصدر هذه المعرفة هو هداية الله وإمداده لنا بها، وعلينا أن نتلقاها منه عن طريق الوحي، فإنه لو لم يهدنا ربنا فلن نهتدي إذن. كما قال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام - ﴿لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾^(٣) وعلينا نحن المسلمين أن نقر بذلك ونحمده ونقول ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾^(٤).

والحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام، ودستوره القرآن الذي يوضح كل ما

(١) د. عبدالحليم محمود (التفكير الفلسفي في الإسلام) الدار المصرية ١٩٧٧ ص ٧١.

(٢) د. محمد البهي (الجانب الالهي في التفكير الإسلامي) دار الكتاب العربي ١٩٦٦ ص ٥١٥.

(٣) سورة الانعام آية ٧٧.

(٤) سورة الاعراف آية ٤٣.

نحتاج إلى معرفته.

ومن ثم فالأدلة العقلية لإثبات وجود الله لن تمنع وجود ملاحظة على الأرض - أمثال الوجوديين - لأن المسألة ليست إلحاداً لنقص في المعرفة، فلا يوجد على الأرض هذا الإنسان الذي يلحد لهذا السبب، لأن الله عز وجل قد زوده بالفطرة في عالم الذر، والإشهاد قبل نزوله إلى أرض الحياة الدنيا، وذلك حتى لا يحتج على الله بذلك السبب يوم القيامة ويقول مع أمثاله ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾^(١) وتنازلاً مع هؤلاء المرتابين والمجادلين، اضطر علماء الإسلام إلى إقامة براهين على وجود الله سبحانه، ليرتكز الإيمان على أساس عقلي متين، وإلا فهم أيضاً ذكروها لبيان عظمته سبحانه وتعالى، وقدرته وتدبيره وهيمنته. فما الأدلة التي يقدمها المؤمنون لدى هؤلاء الملحدين؟

أولاً - دليل الفطرة:

إن وجود الله سبحانه وتعالى مركز في الفطر المستقيمة، إنه شعور يشرق في أعماق الإنسان متى تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعور يؤكد ما بفطرته. ولكن لا بد لهذا من سلامة الفطرة فلا تتدنس بدنس الجاهلية الأولى فتلف - تبعاً لذلك - في أقنعة وأغطية تحول بينها وبين رؤية الحق الصراح فهب أنك صوبت بصرك نحو الشمس في رابعة النهار فأبصرتها مبهرة تملأ الكون ضياء ونماء، ثم جاء قوم فوضعوا على ناظريك القناع تلو

(١) سورة الاعراف آية ١٧٢.

القناع، فذهب ضوء الشمس، وغاب سناها عنك. هل يؤدي ذلك إلى القول بأنه لا شمس.

إن سلامة الفطرة وصفاء الإحساس من أهم الوسائل الأساسية في شعور الإنسان بكثير من البدهيات واكتسابه الكثير من المعارف الحقة، التي يعرفها الإنسان في أطوار حياته. ولعل هذه الفطرة المستقيمة هي ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾^(١) وإذا قلنا إنه الشعور الفطري في الإنسان من الدلائل الصادقة على وجود الخالق، فلنا على ذلك أمثلة كثيرة من واقع الحياة، حياة الإنسان في تكوينه الفطري حيث يوافق شعوره الفطري ما هو كائن فعلاً أو ما يجب أن يكون بشكل لا يقبل الزيادة عليه أو النقصان منه، بأي مقدار قل أو أكثر مهما تقدمت البحوث العلمية، والكشوفات التجريبية. إن كثيراً من علومنا ومعارفنا ليس لها دليل في أنفسنا غير شعورنا الفطري بها، ومهما تقدمت العلوم والمكتشفات فإنها لاتزيد عنها شيئاً غير ما توصلنا إليه بفطرتنا، ومن أمثلة ذلك:

- أ - انسياق الطفل حديث الولادة بفطرته الأولى إلى ارتفاع ثدي أمه دون أن يتعلم ذلك من معلم، ودون أن يدرك ذلك بدليل عقلي أو حسي ظاهر.
- ب - شعور الأم بعاطفة الأمومة سواء علمت أن السر في ذلك حفظ الطفل بالرعاية والتربية حتى يصبح قادراً على الاستقلال بنفسه أم لم تعلم.

(١) سورة الاعراف آية ١٧٢.

ج - إحساسنا بمطالب عيشنا ولو لم ندرك الغرض من وراء هذا الإحساس.
 د - إحساسنا بالجوع فنأكل سواء علمنا أن الأكل وسيلة من وسائل حياتنا أم لم نعلم.

هـ - شعور بوجود أرواحنا داخل جسامنا وإدراكنا أنها سر حياتنا ودفاعنا عنها، وحرصنا على بقائها، لأن في بقائها بقاءنا، دون أن نحسها بوحدة من حواسنا الظاهرة، وقد لا يستطيع الكثير من الناس أن يقيم الدليل على وجودها لكنه رغم ذلك يشعر بها ويعتقد وجودها.

و - شعورنا بالأحاسيس كالحب والبغض، والرغبة والكراهية، دون أن تكون هناك أسباب معقولة، هل نستطيع أن نقيم على ذلك دليلاً وهو متغلغل فينا داخل في كياننا؟ إننا نشعر بالشهوة ونشعر بالألم فهل نستطيع أن نثبت ذلك بأكثر من أننا نشعر به؟ إن الشعور بها دليل على وجودها.

ومما لا شك فيه أن هذه الفطرة، وذاكم الإحساس العميق فينا لم يوجد عبثاً إنها فطر صادقة للواقع الكوني، وموافقة لحاجتنا ومهما تقدم العلم فلن يستطيع الغض من أثر هذه الفطرة، ولن يستطيع إهمالها أو الاستعاضة عنها إلا قليلاً ما لم تكن الفطرة في الإنسان شاذة أو مريضة والمريض الشاذ يجب علاجه^(١).

ومن أجل وأصدق ما فطر عليه الإنسان هو إحساسه بوجود الخالق، وتلهفه دائماً لمعونته، وإمداداته وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير في نظامه وإتقانه وما فيه من إبداع وحياة وموت إلى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى. إنه شعور فطري تشترك في الإحساس به جميع الخلائق على اختلاف نزعاتها، ومستويات ثقافتها في البيئات البدائية، وفي المدن المتحضرة.

(١) راجع: (العقيدة الإسلامية وأسسها) عبدالرحمن حبنكة. دار العلم دمشق ط ١٩٨٣. ص ٩٧-٩٨.

هذه هي صبغة الله تعالى في كل مخلوق مدرك، وفطرته التي فطر الناس عليها. قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(١) ولذلك كان تعجب الرسل من هؤلاء المنكرين لوجود الله. قال تعالى: ﴿... جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) كما بينت آيات القرآن الكريم أن إقامة الوجه لله هو فطرة الله التي فطر الناس عليها قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة آية ١٣٨.

(٢) سورة إبراهيم آية ٩-١٠.

(٣) سورة الروم آية ٣٠.

ثانياً - دليل الكون:

هذا الكون الكبير بسمواته وأرضه، بإنسانه وحيوانه، ونباته وجماده، بكل ما فيه من الذرة إلى المجرة، ومن الخلية الواحدة إلى أرقى أشكال الحياة، إذا تأمله الناس، حق التأمل يأخذ بأيديهم إلى الله، ويدلهم على وجوده، بل على وحدانيته، وتفرد به بالملك والتدبير، كما يدلهم على أسمائه الحسنی، وصفاته العلیا. والإنسان نفسه آية فريدة، دالة على الله فهو وحده عالم خاص، اجتمع له من حسن الصورة ومن قوى الإدراك والشعور والبصيرة ما لم يحظ به غيره، ولهذا يوجه القرآن الإنسان إلى النظر والتفكير في نفسه وفيما يحيط به من عوالم، موقناً أن هذا النظر والتفكير جدير بأن يهديه إلى الحق، ويسوقه إلى الخير بما يرى ويلمس من آيات الله في الأنفس والآفاق^(١) يقول تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾^(٣) ويقول تعالى: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾^(٤) ويقول تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾^(٥) ويعرض القرآن كثيراً من مظاهر الكون في

(١) راجع: د. يوسف القرضاوي (وجود الله) مكتبة المعارف ١٤٠٨ ص ١٩.

(٢) سورة النازيات آية ٢٠-٢١.

(٣) سورة الاعراف آية ١٨٥.

(٤) سورة الروم آية ٨.

(٥) سورة يونس آية ١٠١.

الأرض أو في السماء ثم يعقب على ذلك بقوله: ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ أو ﴿لقوم يعقلون﴾ أو ﴿لقوم يذكرون﴾^(١) وينكر القرآن على الكافرين أنهم قد أوصدوا عقولهم ومشاعرهم فلا ينتفعون بآيات الله. قال تعالى: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾^(٢) وكثيراً ما يختم الآيات بمثل هذه الفواصل: ﴿أفلا تعقلون﴾^(٣) و ﴿أفلا يسمعون﴾ و ﴿أفلا يبصرون﴾^(٤) ولهذا أقسم الله بالقرآن كثيراً ببعض خلائق هذا الكون ومظاهره وذلك لتنبية القلوب الغافلة، والعتول المعرضة فأقسم بالليل والنهار والفجر والضحى، والشمس والقمر والنجم، والبحر والسماء والأرض، والشفع والوتر، وما نبصر وما لانبصر. والمتأمل في هذا الكون بما فيه الإنسان يجد فيه أربعة أدلة رئيسية تهديه إلى ربه الأعلى هذه الأدلة هي الخلق، التسوية، التقدير، الهداية.

١- دليل الخلق

الخلق هو الإيجاد والإحداث ومعناه إبراز الشيء من العدم إلى الوجود، وذلك مثل خلق الحياة في الكائنات الحية على ظهر الأرض التي بث فيها من كل دابة، وأنبت فيها من كل زوج بهيج، ومثل خلق الإنسان العاقل الذي لم يكن شيئاً مذكوراً ثم كان، ومثل خلق السموات والأرض، وهو أكبر من خلق

(١) سورة النحل آية ١١-١٣.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٥.

(٣) سورة الانعام آية ٣٢.

(٤) سورة السجدة آية ٢٦-٢٧.

الناس؛ وقد دل علم الفلك على عظم الأجرام العلوية، وسعة المسافات بينها حتى أنها لتقاس بملايين السنين الضوئية. ترى من خلق الحياة على هذه الأرض؟ ومن خلق هذا الإنسان العاقل المفكر؟ ومن خلق هذا الكون كله بأرضه وسماؤه؟ هل وجدت الحياة ووجد الإنسان، ووجدت المخلوقات العلوية والسفلية وحدها بلا موجد؟ أم لا بد لها من خالق أوجدها؟ ومن هو؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون﴾^(١) وقال تعالى: ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾^(٢).

٢ - دليل الإتيان وعدم التفاوت :

إذا كان الخلق يدل على الله، فالتسوية أدلة عليه، والتسوية أخص من الخلق إذ من الممكن أن يخلق الشيء غير سوي. والقرآن الكريم يعبر عن هذه التسوية بعبارات مختلفة الألفاظ متقاربة الدلالة على المقصود، مثل الإحسان في قوله تعالى: ﴿الذى أحسن كل شىء خلقه﴾^(٣) والإتيان في قوله تعالى: ﴿صنع الله الذى أتقن كل شىء﴾^(٤) وإعطاء كل شىء خلقه في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى﴾^(٥) كما

(١) سورة الانعام آية ٩٥.

(٢) سورة يس آية ٣٦.

(٣) سورة السجدة آية ٧.

(٤) سورة النمل آية ٨٨.

(٥) سورة طه آية ٥٠.

عبر عن هذه التسوية بنفي التفاوت في خلق الله في قوله تعالى: ﴿ماترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾^(١) وهذه التسوية ظاهرة في الكائنات كلها على وجه العموم، وفي الكائنات الحية على وجه الخصوص، وفي الإنسان على وجه أخص.

أ - فالأرض - مثلاً - قد سواها صانعها بحيث تصلح مهاداً ومستقراً لنوع الإنسان، فلهذا مدها وبسطها وجعلها زلولا، وألقى فيها رواسي كالأوتاد لها حتى لا تميد، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، فلو كانت قشرة الأرض كلها صخرية، وكلها يابسة، أو كلها محيطات، ما صلحت للإنبات وإخراج الثمرات، ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار بضعة أقدام لامتص ثاني أكسيد الكربون الأكسجين، ولما أمكن وجود حياة للنبات.

قال الله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً﴾^(٢) وقال تعالى ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا حببنا الماء حبا ثم شققنا الأرض شققاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فواتاً﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال

(١) سورة الملك آية ٣.

(٢) سورة النبأ - آية - ٧، ٦.

(٣) سورة عبس آية - ٢٤ - ٣٢.

(٤) سورة المرسلات - آية - ٢٥ - ٢٧.

أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم ﴿١﴾.

ب - وكل ما على الأرض من كائنات حية، قد سويت خلقته وأحكمت صنعته بحيث يؤدي وظيفته في يسر وسهولة.

فالجمل - مثلاً - قد أعطي الصورة الخلقية التي تلائم عيشته وأسفاره الطويلة في الصحراء فلهذا خلق برقبة طويلة تعلي الرأس، وتناهى بعينه عن غبار الرمال، كما منح شفة مشقوقة يستطيع أن يتناول بها أشواك البوادي دون أن تؤذي، وأعطي سناماً يختزن فيه الدهن إن أعوزه الطعام يوماً في الصحارى القاحلة، ولم تنته رجله بحافر يغوص في الرمل كحوافر الخيل والبعال والحمير بل انتهت بخف يقدر به على اجتياز الرمال دون أن يسوخ فيها. ولهذا سموه (سفينة الصحراء) وهكذا نجد أثر التسوية في كل الأحياء. فكل حي أعطي الوسائل التي يحصل بها على غذائه الملائم، وأعطي من الأجهزة ما يهضم به هذا الطعام. كما زودت الكائنات الحية جميعها بأسلحة مناسبة تدافع بها عن نفسها في صراع البقاء بينها وبين غيرها كالناب والمخالب والقرن ولولا هذه الأسلحة التي زودها الله به تلك الأحياء لأفنى قويتها ضعيفها وأباد كبيرها صغيرها.

قال تعالى ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت﴾.

ج - تسوية الإنسان. إن مظاهر التسوية وأماراتها أوضح وأعظم فقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل له مهمة عظيمة هي عبادة الله على الأرض، ولهذا أعطي من الخصائص والمميزات والأجهزة المادية والروحية، ما يعينه على أداء وظيفته، وييسر له سبيل مهمته، ولو فكر الإنسان في تكوينه لرأى العجب العجاب من عظمة التسوية، ورفعة التصميم، وتناسق الأجهزة المختلفة التي لا يعد شيئاً بجانبها تصميم أي جهاز اخترعه الإنسان، انظر إلى الجهاز العضلي والجهاز العظمي والجهاز الدموي، والجهاز التناسلي والجهاز التنفسي والجهاز العصبي، وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر إلخ كل منها آية من الآيات تسجد لخالقها العقول، وتخضع له القلوب سبحانه وتعالى. أما العقل فهو أجل مظاهر التسوية في خلق الإنسان، إن الإنسان استطاع بعقله المفكر وبروحه المبصرة أن يستأنس الثور والحصان والجمال، وغيرها من الدواب الضخمة في جثتها، وأن يسخرها في حاجاته وميشتته، واستطاع بما اخترعه من أجهزة ميكانيكية أن يطوي المسافات الشاسعة في الزمن القليل، واستطاع أن يغوص في البحار كالحيتان، وأن يحلق في الهواء كالطيور وتحكم الإنسان في شق الأنهار، ونسق الصخور، واستخدام البخار والغاز والكهرباء وفجر الذرة وغزا الفضاء، وحاول الصعود إلى

الكواكب (١).

٣- دليل التقدير:

إن كل شيء في هذا الكون الفسيح قد خلق بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلائم مع مكانه وزمانه، وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه والبعيدة عنه، فلا يعطل وظيفتها، أو يعوق مسيرتها لما خلقت له، وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن شامل ينتظم بها سير الوجود كله. فإذا كانت التسوية إعطاء كل شيء من الخلق والتصوير ما يؤدي به وظيفته على الوجه اللائق به، فإن التقدير هو أن يكون بالقدر الذي ينفع في نفسه ولا يضر غيره، ولا يصطدم بالمخلوقات الأخرى، وبالمكان الملائم والزمان المناسب، وبالكم الذي يصلح ولا يفسد، وعلى الكيفية التي يتحقق بها التناسق والتوازن بين وحدات الكون وأجزائه. وهذا التقدير ظاهرة عامة في كل شيء، كما نبه القرآن على هذه الحقيقة إذ قال تعالى : ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ (٣) وقال تعالى ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ (٤) قال تعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (٦)

(١) راجع د/ يوسف القرضاوي (وجود الله) ص ٢٥-٣٢.

(٢) سورة الرعد آية ٨.

(٣) سورة الفرقان آية ٨.

(٤) سورة الطلاق آية ٣.

(٥) سورة القمر آية ٤٩.

(٦) سورة الحجر آية ٢١.

وبالمثال يتضح المقال، الماء مثلاً خلقه الله وأسكنه في الأرض بقدر، وأنزله بقدر، بحيث لا يقل عن حاجة الخلق فيكون الجذب والقحط، ولا يزيد عنها فيكون الغرق والضرر، ولا تطفئ المحيطات على اليابسة، ولا الملح على العذب. وإلى هذا يشير القرآن الكريم: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ (١) وعلى هذا قس كالشمس والفضاء والنجوم والهواء وكل شيء في هذا الكون قد خلق بحساب ومقدار، وجاء العلم الحديث بكشوفه ووسائله فأماط اللثام عن الحكمة البالغة، والأسرار العجيبة وراء ما بين المخلوقات من مقادير وحدود وضوابط وموازنات. فلنفكر كيف تحقق كل هذا التقدير، وكيف تحقق كل هذا التدبير إذا لم يكن هناك خالق أعلى يقدر فيحسن التقدير ويدبر فيحكم التدبير (٢) سبحانه وتعالى.

٤- دليل الهداية:

إذا كان كل شيء في الكون قد خلق على الصورة التي تناسب وظيفته وتعينه على أدائها فهو أيضاً قد هدى إلى ما خلق لأجله، وألهم غاية وجوده، ويسر له الطريق ليدرك غاية الكمال الذي يناسبه وهذه هي الهداية، إنها شيء فوق الخلق والتسوية والتقدير، إنها الإلهام أو التعليم إنها الهداية التي يتم بها التقدير، ويكمل الخلق والتدبير، وهذه الهداية عامة مبرثة في كل شيء في الكون حي أو جامد، صامت أو ناطق، عاقل أو غير عاقل، ومظاهر الهداية

(١) سورة المؤمنون آية ١٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣-٤٢.

كثيرة، وكل مافي الكون أعطي من الحواس والأجهزة الخاصة ما يعينه على أداء وظيفته المنوطة به، ويعينه على معيشتة كالصقر أعطى البصر، والحمام الزاجل أعطى قطع آلاف الأميال، والنحلة تهدي إلى خليتها مهما طمستها الرياح إلخ. يقول العلامة (ابن القيم)^(١): «إن هداية الحيوانات إلى مصالح معاشها حدث عنه ولا حرج» وفيها يقول: «من هدى الأنثى من السباع إذا وضعت ولدها أن ترفعه في الهواء أياماً تهرب به من الذر والنمل لأنها تضعه كقطعة من لحم، فهي تخاف عليه الذر والنمل فلا تزال ترفعه وتضعه، وتحوله من مكان إلى مكان حتى يشتد؟ ومن علم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتفي أثره ويُطلب، عفى على أثر مشيته بذنبه؟ ومن علم الينصفور إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء، فيطيرون حول الفرخ، ويحركونه بأفعالهم، ويحدثون له قوة وهمية وحركة حتى يطير معهم؟ ومن علم الحمامة إذا حملت أن تأخذ هي والأب في بناء العش وأن يقيما له حروفاً تشبه الحائط، ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى، ثم يقبلان البيض في الأيام حتى يفرخ؟ ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة وتجعل في أعلاها خيطاً ثم تتعلق به فإذا تعرقلت البعوضة في الشبكة تدلت إليها فاصطادتها؟ ومن علم الطبي ألا يدخل كناسه إلا

(١) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي فقيه أصولي مجتهد ولد سنة ٦٩١هـ وتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثر به توفي سنة ٧٥١ من تصانيفه أعلام الموقعين - مدارج السالكين - راجع شذرات المذاهب ١٦٨/٦ - ١٧٠.

مستديراً ليستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفه؟ ومن علم السنور إذا رأى فأره في السقف أن يرفع رأسه كالمشير إليها بالعود، ثم يشير إليها بالرجوع، وإنما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط؟»^(١) هذا عدا عجائب الهداية في عالم النبات وكيف يمتص كل نوع من عناصر الأرض بنسب محدودة ومقادير معلومة رغم اتحاد التربة. واختلاط العناصر فيها، بالإضافة إلى ما اهتدى إليه العلم من تكوين خلايا الحياة في الجسم الحي وعملها وتضامنها وكيف تهتدي إلى طريقها وتصيب هدفها، ولا تخطئه ضمن ملايين الاحتمالات، وكل فرد منا أمة بل أمم منتظمة من ملايين، بل بلايين الخلايا، وكل خلية مواطن صالح يؤدي نصيبه الكامل من الخدمة الصالحة للمجموع في أمانة وزكاء ومهارة.^(٢) هذا هو الله في مفهوم الإسلام فهو الخالق القادر الحي الذي لا يموت، الصمد المقصود في الحاجات، الرقيب الذي لا يغفل، الحسيب الذي لا ينسى، العادل الذي لا يظلم، الرحيم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء السميع المجيب إلخ من صفات الله وأسمائه الحسنى.

ثالثاً : دليل النبوات والرسالة :

من أدلة وجود الله سبحانه وتعالى النبوات والرسالة لأن من مقتضى الإيمان بوجود الله سبحانه تصديقه في كل ما أخبرنا به، وهذا يقتضى الإيمان بأنبيائه ورسله الذين أخبر عنهم في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه

(١) ابن القيم (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)، ج ١، تخريج وتصحيح مصطفى الشلبي، مكتبة الوادي للتوزيع بجدة، ط ١٤١٢، ص ٢٠٠-٢٠٤.

(٢) راجع: د. يوسف القرضاوي (وجود الله) ص ٤٢-٥٠.

ولا من خلفه، فالإيمان بجميع الأنبياء والرسل وبجميع ما أنزل عليهم صفة عقيدة المؤمنين، قال الله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ (١). ويأمر الله نبينا محمد، ويأمرنا معه. فيقول : ﴿ قل آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (٢).

قال ابن القيم رحمه الله (وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع، وصفاته، وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالاتها ضرورية بنفسها ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا ثقلها (٣) اليد ثعابناً عظيماً يبتلع ما يمر به، ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكيليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول، وعلى المبدأ والمعاد فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك اليد/ وخلق البحر طرقاتاً، والماء قائم بينهما كالحيطان. ونتق الجبل من موضعه

(١) سورة البقرة - آية - ٢٨٥

(٢) سورة آل عمران - آية - ٨٤

(٣) ثقلها : أي تحملها اليد قال اللسان وأقل واستقله : حملة ورفع، لسان العرب ٣٧٢٨/٥، مادة قل

ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعضا فتسيل منه إثننا (١) عشرة عيناً تكفي أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء؛ فأخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائراً ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، وهذه من طرق القرآن التي أرشد إليها عباده (ودلهم بها) كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التي في الجو وفي الأرض وأحوال المعلومات من السماء والشمس والقمر والنجوم وأحوال النطفة وتقلبها (٢) طبقاً بعد طبق حتى صارت إنساناً سمياً بصيراً، حياً متكلماً عالماً قادراً يفعل الأفعال العجيبة ويعلم العلوم العظيمة، فكل طريق من هذه الطرق أصح وأقرب وأسهل وأوصل من طرق المتكلمين التي لو صحت لكان فيها من التطويل والتعقيد والتعسير ما يمنع الحكمة الإلهية والرحمة الربانية أن يدل بها عباده عليه

(١) ظ : (اثنا عشر).

(٢) ظ : (ويقلها).

وعلى صدق رسله (١) وعلى اليوم الآخر فأين هذه الطريق الطويلة العسرة (٢) الباطلة المستلزمة لتعطيل الرب عن صفاته وأفعاله وكلامه وعلوه على خلقه وإنكار وجهه الأعلى ويديه الكريمتين ورؤيته في الدار الآخرة وسائر ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله إلى طرق القرآن التي هي ضد هذه الطريق من كل وجه؟ وكل طريق منها كافية شافية هادية وإن صرفها الله لعباده ونوعها : ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم ﴾ (٣).

هذا وإن القرآن وحده لمن جعل الله له نوراً أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب وليس في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه من وجوه متعددة جداً، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر لا يحلقها إشكال ولا يغير (٤) في وجه دلالتها إجمال ولا يعارضها تجويز، واحتمال؟ تلج الأسماع بلا استئذان، وتحل من العقول محل الماء الزلال من الصادي الظمان، فضلها على أدلة أهل العقول والكلام، كفضل الله على الأنام، لا يمكن أحداً أن يقدر فيها قدحاً يوقع في اللبس إلى إن أمكنه أن يقدر بالظهيرة صحواً في طلوع الشمس، ومن عجيب شأنها أنها تستلزم المدلول استلزماً بيناً، وتنبه على جواب المعترض

(١) م : رسوله .

(٢) م : العثرة ، وقال الناسخ لعله العسرة .

(٣) الأنفال : ٤٢

(٤) ط: (يعبر)

تنبيهاً لطيفاً، ففيها إقامة الدلالة والجواب عن المعارضة والشبهة، وهذا الأمر إنما هو لمن نور الله بصيرته وفتح عين قلبه لأدلة القرآن وآتاه فهماً في كتابه فلا يعجب من منكر أو معترض أو معارض.

وقل للعيون العمي للشمس أعين

سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح نفوساً أطفأ الله نورها

بأهوائها لا تستفيق ولا تعي

فأي دليل على الله سبحانه أصح من الأدلة التي تضمنها كتابه كقوله : ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (١) وقوله ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (٢) وقال : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ (٣) وقوله : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب

(١) إبراهيم : ١٠

(٢) البقرة : ٢٨

(٣) البقرة : ٢١ ، ٢٢

المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴿١﴾ وقوله : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله نقل أفلا تتقون * فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴿٢﴾ وقوله : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴿٣﴾ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات وجعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿٤﴾ وقوله ﴿ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابة إيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح إيات لقوم يعقلون * تلك إيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وإياته يؤمنون ﴿٥﴾ وقوله : ﴿ ومن إياته أن خلقكم من تراب

(١) البقرة : ١٦٤

(٢) يونس : ٣١ ، ٣٢

(٣) الرعد : ٢

(٤) الرعد : ٣ ، ٤

(٥) الجاثية : ٦ ، ٣

ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن إياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون *

ومن آياته خلق السموات والأرض وأختلاف ألسنتكم واللوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وأبتغواكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون *

ومن إياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون^(١). وقوله ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذي جعل لكم الأرض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾^(٢) وقوله ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون *

* أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين

(١) الروم : ٢٠ ، ٢٥

(٢) الزخرف : ٩ - ١٤

حاجزاً إءله مع الله بل أكثرهم لاءعلمون * أمن آببب المضطر إذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكرون * أمن
بهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرابين يءى رحمته أءله
مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبءؤا الخلق ثم يعيئه ومن يرزقكم من
السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴿١﴾ وقوله :
﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم أستوى على
العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وهو الذي
يرسل الرياح بشرابين يءى رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد
ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم
تذكرون ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً
فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون
* لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق
الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لاءعلمون * وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير
العزير العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس

(١) النمل : ٦٤، ٥٩

(٢) الأعراف : ٥٤

(٣) الأعراف : ٥٧

يبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله مايركبون * وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون * إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين ﴿١﴾ وقوله ﴿١﴾ فيلنظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب ﴿٢﴾ وقوله ﴿٢﴾ فيلنظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شققاً * فأنبتنا فيها حبا * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأبا ﴿٣﴾ وقوله : ﴿٣﴾ ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً * وجعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً * وبنينا فوقكم سبْعاً شداداً * وجعلنا سراجاً وهاجاً * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً ﴿٤﴾.

إلى أضعاف اضعاف ذلك كما ذكر في سورة ﴿ق﴾ و﴿الذريات﴾ و﴿الطور﴾ و﴿الرحمن﴾ و﴿المرسلات﴾ وسورة ﴿إبراهيم﴾ و﴿الحجر﴾ و﴿النحل﴾ فتأمل أدلة سورة النحل من أولها إلى قوله : ﴿ فإن تولو فإنما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ﴿٥﴾.

(١) يس : ٢٣ - ٤٤

(٢) الطارق : ٥-٧

(٣) عبس : ٢٤ - ٣١

(٤) النبأ : ٦ - ١٦

(٥) النحل : ٨٣

وما ذكر في سورة ﴿لقمان﴾ و ﴿السجدة﴾ و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ وآخر :
 ﴿الغاشية﴾ وسورة ﴿البلد﴾ و ﴿الشمس وضحاها﴾ وما ذكر في سورة
 ﴿الأنعام﴾ وسورر ﴿الصفات﴾ و ﴿طه﴾ و ﴿الأنبياء﴾ و ﴿الحج﴾ و ﴿المؤمنون﴾
 و ﴿الفرقان﴾ من الأدلة التي هي للبصائر كالشمس للأبصار فأبى المتكلمون
 إلا دليل الجواهر والأعراض والحركة والسكون والاجتماع والافتراق ولعمر
 الله لم يزل إيمان الخلق صحيحاً حتى حدثت هذه الأدلة المبتدعة الباطلة
 فأوقعت الأمة في العناء الطويل وفرقت الكلمة وعارضت بين العقل والوحي -
 وألقت بينهم العداوة والتباغض والتلاعن ، حتى استحل بعضهم من بعض مالم
 يستحل مثلها المحاربون للإسلام وأهله، وحتى فتح على النصوص باب
 التحريف والتأويل ، ورميت بأنها أدلة لفظية لاتفيد اليقين، وساءت ظنون
 أتباع هؤلاء بوحي رب العالمين ، وهذا كله ببركة هذه الطريق المخالفة
 للسمع والعقل، فالله سبحانه نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته
 والإقرار بأسمائه وصفاته وأفعاله، فأعرض عنها هؤلاء واشتقوا طريقاً
 موصلة إلى تعطيل الخالق ونفي أسمائه وصفاته وأفعاله وقالوا للناس : لا يتم
 إيمانكم ومعرفتكم بالصانع إلا بهذه الطريق فلما سلكها من سلكها أدت به
 إلى ما أسره : الحيرة والشك والتأويل والتجهيل والله يقول الحق وهو يهدي

السبيل)^(١) وبهذا ندرك أن هذا الدليل يتمثل في أمور كثيرة منها :

١ - خطابه تعالى لخواص عباده من أنبيائه ورسله ، وتعرفه إليهم بندائهم، ووحيه إليهم، وإنزال ملائكته عليهم ، فمن ذلك نداؤه لأدم أبي البشر عليه السلام، وخطابه إياه في قوله تعالى ﴿ يا أدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ ومن ذلك خطابه لنوح، ووحيه إليه، ونداؤه إياه في قوله تعالى : ﴿ وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ﴾.

ومن ذلك خطابه لإبراهيم عليه السلام، ونداؤه إليه ، ووحيه إليه في قوله تعالى ﴿ إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ وناديناها أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾.

ومن ذلك نداؤه تعالى لموسى عليه السلام، ولداود عليه السلام، ولزكريا عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ومن ذلك نداؤه لمحمد ﷺ وخطابه إياه وإرساله وأمره ونهيه، قال تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ .

(١) ابن القيم الجوزية ، الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة ، تحقيق د/علي بن محمد الدخيل الله ، ج ٣ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ص ١١٩٧ - ١٢٠٦

إن هؤلاء الرسل جميعاً وغيرهم كثير، قد أوحى الله تعالى إليهم ،
وعرفهم بنفسه فعرفوه، وأرسلهم إلى أممهم فبلغوهم رسالاته بأسمه،
ودعوا إليه بأذنه واستنصروه فنصروهم، وسألوه العظام من المعجزات
فأعطاهم، فهل بعد هذا يطالب عاقل بالدليل على وجود الله ، اللهم لا ،
اللهم لا .

٢ - ما أنزله تعالى من كتب بطريق الوحي المباشر حيث أنزل صحف إبراهيم،
وتوراة موسى، وزبور داود، و أنجيل عيسى ، وفرقان محمد ﷺ .

٣ - ما أتى الله عز وجل رسله من معجزات خارقه لسنن الكون، وقوانين
الحياة تدليلاً على صدق نبوتهم، وثبوت رسالتهم، فمن ذلك معجزة
إبراهيم أبى الأنبياء، وإمام الموحدين بلا منازع حيث القى به خصومه
بالنار فلم تحرقه، وخرج منها سالماً، فكانت معجزة خارقه لقانون
الاجسام القابلة للاحتراق إذا ألقيت في النار أو أشعلت فيها، قال تعالى
﴿قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يانار كوني برداً
وسلاماً على إبراهيم﴾.

ومن ذلك معجزات موسى عليه السلام كانفلاق البحر، وعصا موسى،
ومن ذلك معجزات عيسى عليه السلام، كإبرائه الآكمه والأبرص، وإحياء
الموتى بإذن الله تعالى، وكتكلمه في المهد في أيام ولادته.

ومن ذلك ما أوتى محمد ﷺ من معجزات كالعروج به إلى الملكوت الأعلى، ورد عين قتادة بعد أن سقطت على وجنتيه، ونطق جذع النخلة، وحنينه إليه، وسلام الحصى والشجر عليه، وفيضان الماء من بين أصابعه في صحراء قاحلة لاماء بها حيث سقى وشرب وتطهر جيش بأكمله.

فهذه المعجزات وكل واحده خارقة لنظام السنن الكونية فهل تدل على غير وجود الله رباً وإلهاً ذا صفات متناهيه في الكمال؟؟؟
 اللهم إنها لاتدل إلا عليك، ولا تعرف إلا بك يارب العالمين ، وإله الأولين والآخرين ، سبحانك أن تحفيك السنة الجاحدين.

وبعد أن عرفنا تصور الوجوديين للإله وأقوالهم والرد عليها وشبههم في إنكار الإله وتفنيدها، وعقيدة الألوهية في الإسلام نذكر تصور الوجوديين للحرية.

الفصل الثاني

تصور الوجوديين للحرية

ويشتمل على أربعة مباحث

أولاً مفهوم الحرية.

ثانياً أقوال الوجوديين في الحرية.

ثالثاً مناقشة أقوال الوجوديين.

رابعاً الحرية في الإسلام.

الفصل الثاني

تصور الوجوديين للحرية

أولاً - مفهوم الحرية :

١. المفهوم العام:

المطلع على المفاهيم الفلسفية يجد أن كلمة (حرية) قد احتوت واحتملت من المعاني مالا حصر لها، بحيث قد لا يستطيع أن تتقبل تعريفاً واحداً باعتباره تعريفاً عاماً يصدق على صور الحرية، والحر في اللغة ضد العبد والحرية هي الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللوم بحسب إطلاقها، فإذا أطلقت على الخلوص من الشوائب دلت على صفة مادية. يقال ذهب حر لانحاس فيه، وإذا أطلقت على الخلوص من الرق دلت على صفة اجتماعية يقال: رجل حر طليق من كل قيد، وإذا أطلقت على الخلوص من اللوم دلت على صفة نفسية، يقال رجل حر، أي كريم لا نقيصة فيه^(١) فالحرية بمعناها الاشتقاقي إذن هي عبارة عن انعدام القسر الخارجي. والإنسان الحر بهذا المعنى هو من لم يكن عبداً أو أسيراً^(٢) وعلى هذا فالحرية تجيء على ثلاثة معانٍ :

أ. المعنى العام :

وردت الحرية بمعنى خاصة الموجود، الخالي من القيود، العامل بإرادته أو طبيعته، وهي بهذا المعنى تصدق على الكائنات الحية جميعها من نبات

(١) راجع (المعجم الفلسفي) جميل حطيار - دار الكتاب اللبناني ج ١ ص ٤٦٢.

(٢) راجع (مشكلة الحرية) زكريا إبراهيم ص ١٨.

وحيوان وإنسان، وإذا أطلق هذا المعنى على أفعال الإنسان دل على الحرية المادية، يقال ليس للمريض أو السجين حرية لأنهما لا يستطيعان أن يفعلوا ما يريدان^(١).

ب - المعنى السياسي والاجتماعي :

وهو ما يعني نفس الاستعباد الإنساني. والحرية بهذا المعنى قسمان :

[] الحرية النسبية:

وهي الخلوص من القسر والإكراه الاجتماعي، والحر هو الذي يأتمر بما أمر به القانون، ويمتنع عما نهى عنه، ويكون مسئولاً عن عمله.

[] الحرية المطلقة:

وهي حق الفرد في الاستقلال عن الجماعة التي انخرط في سلكها.

ج - المعنى النفسي والخلقي :

وهي على صور عديدة منها ما تكون الحرية فيه مضادة للاندفاع اللاشعور، أو الجنون والإنسان الحر بهذه الصورة هو الذي لا يقدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان هذا الفعل خيراً أو شراً، فهو يعرف ما يريد، ولا يفعل أمراً إلا وهو عالم بأسبابه. ومنها ما تكون الحرية مضادة للهوى والغريزة، والبواعث العرفية، والإنسان الحر بهذه الصورة هو الذي يحقق بفعله ذاته من جهة ماهي عاقلة وفاضلة. ومنها ما تكون مضادة للحتمية، والإنسان الحر بهذه

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

الصورة هو القادر على حرية الاختيار، ويكون فعل الإنسان متولداً عن إرادته.

٢. مفهوم الحرية عند الوجوديين:

نادى الوجوديون بحرية الإنسان حرية مطلقة لاتعرف الحدود ولا تحوطها السدود، حتى جعل زعيمها الملحد - سارتر- (الإنسان حر والإنسان حرية)^(١) بدعوى أن الإنسان مضطر في كل لحظة من لحظات حياته أن يضع إنسانيته، ويكشف عنها بنفسه مادام قد وجد نفسه في الوجود بلا عون أو مدد، وبدعوى إنكار وجود الله سبحانه وتعالى فهم يزعمون أن معنى أن الإنسان حر أن الله غير موجود، لأن الحرية الإنسانية إنما تقوم على أنقاص الحرية الإلهية، وبهذا اتخذت الحرية طريقاً لإنكار وجود الله تعالى، وكذلك تدمير القيم الدينية والعادات الاجتماعية والمعايير الأخلاقية، والإباحية المطلقة بالعبء من الشهوات بلا حساب، والانطلاق وراء المتع الحسية بلا حياء، والتحلل من عرى الفضيلة والأخلاق والقيم العليا.

ثانياً - أقوال الوجوديين في الحرية

سلم الوجوديون بالحرية بلا استثناء، وليس بينهم أدنى اختلاف فيما ينسبون إلى الإنسان من حرية، ويتضح هذا من أقوالهم التالية:

١ - قال مؤسس الوجودية (سوربون كيرك جورد) :

(١) سارتر (الذباب) ص ١٨٥، والوجودية مذهب إنساني ص ٦٧.

(فالحرية هي آية مافي الإنسان من عظمة واتساع ذات)(١) (الحرية هي الخير الرئيسي الذي يجلبه الوجود الأخلاقي معه، بوصفه مكملاً لأسس الحياة الحسية)(٢) (إن فعل الإنسان نفسه فعل حر، وأن الله لا يستطيع أن يسبق فيقدر إنساناً بطريقة يجرده فيها من حريته)(٣) (فليس في الخير ضرورة إذ إن الخير يكون بسبب أنني أريده وبدون رغبتي فيه ليس له وجود، وهذا هو التعبير عن الحرية، وهكذا الحال بالنسبة للشر، فإنه يكون عندما أريده فقط، وليس معنى هذا أن التفرقة بين الخير والشر تفرقة ذاتية، بل إن هذا يقرر - على النقيض من ذلك - الصدى المطلق لهذه التفرقة فالخير هو الموجود في ذاته ولذاته، وقد وضعه الموجود في ذاته ولذاته وهذه هي الحرية)(٤) (إننا إذا نظرنا إلى نظرية القدر السابق لرأينا أن من المستحيل أن تنشأ هذه النظرية إذا لم توجد فكرة الحرية)(٥) (ولكن اختياري ليس حراً، فأنا أعرف الحرية في اختياري عندما أسلم نفسي للضرورة فقط وفي تسليم نفسي لها فإنني لن أنساها)(٦) (فنحن لانرى ضرورة الماضي إلا حينما ننظر إليه بوصفه شيئاً قد كان، ولا يمكن الآن أن نغير منه شيئاً، أما إذا تساءلنا كيف صار كذلك، لظهر لنا الماضي في صيرورته أي في حرية وقوعه)(٧)

(١) كيرك جورد (دروس السوربون) ص ١٨ .

(٢) كيرك جورد إما - أو - ص ٢٢١ .

(٣) كيرك جورد - فكرة الخوف ص ١١٧ .

(٤) كيرك جورد- إما - أو ج ١ ص ١٨٩ .

(٥) المرجع السابق، ص ١٣١ .

(٦) كيرك جورد - (مراحل في طريق الحياة) ص ٢٢٣ .

(وهم في الحقيقة مجموعة من السوق والدهماء يههما جداً طمس الشخصية المتميزة وهكذا تكاتف المجتمع كله لتزييف الذات، وكانت صرخته (كل شيء مزيف).^(١)) (الفرد الموجود هو نفسه في عملية صيرورة)^(٢) (كل ما هو يصير يثبت لنا بصيرورته نفسها أنه ليس ضرورياً، لأن الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يصير هو الضروري لأن الضروري موجود)^(٣) (ونحن نرى أنه إذا كان خطراً دائماً أن نضع تعريفاً للوجود فإننا نستطيع أن نقول إن الوجود هو الصيرورة، فليست الذات شيئاً يوجد، بل هي شيء يصير أنها واجب)^(٤) (فالماضي قد صار، والصيرورة هي تغيير الواقع بواسطة الحرية)^(٥).

٢ - وقال لويس لافيل :

(نعرف الحرية وبصورة دائمة بالأختيار مع أن هناك ما يدفعنا إلى الشك في ألا تكون هذه الحرية في أعلى أشكالها غير ضرورة إنسانية داخلية، أعني بذلك أنها ليست ضرورة سببية أو ضرورة طبيعية ولكنها ضرورة نشاط يحدث مبررات وجوده بدلاً من أن يخضع لها)^(٦) (إن الحرية والجبورية هما وجهها التقرير والاختيار الذاتي المادي والروحي المميزان لكل شيء)^(٧)

(٧) كيرك جورد (الوجود من الداخل) ص ٥٦.

(٨) كيرك جورد (يوميات) ص ٣٥٢.

(٩) كيرك جورد (دروس من السربون) ج ٢ ص ١٨.

(١٠) كيرك جورد (اللاشياء الفلسفية) ص ١٥٤.

(١١) كيرك جورد (دروس السربون) ص ٢٦٦.

(١٢) كيرك جورد (اللاشياء الفلسفية) ص ١٦٠.

(١٣) لافيل (رسالة في القيم) ص ٤٢٨.

(فإذا كنت حراً، فمعنى ذلك أنني حر لأسباب ومبررات خاصة، وحرية تقرير ما أريد تتناسب طردأً مع مدى تعلقها بهذه المبررات وتلك الأسباب، فأكثر الأفعال حرية وهي أكمل الأفعال هي تلك التي ينتفي فيها الاختيار والمفاضلة)(١).

٣ - وقال كارل يسبرز :

(إن حرية الإنسان نطلق عليها وجوده أيضاً)(٢) (فالحرية لا يمكن البرهنة عليها أو إبطالها)(٣) (فحرية الإنسان غير منفصلة عن شعوره بحقيقته النهائية)(٤) (الإنسان لديه من الإمكانيات ما يمكنه من أن يجعل ذاته ما يريد وذلك عن طريق ممارسته لحرية)(٥) (فلأني أعرف أنني حر، فلأني أسلم بذاتي بوصفها مذنباً)(٦).

٤ - وقال بيرد يائيف :

(في البدء كانت الحرية، وفي النهاية تكون الحرية)(٧) (الحرية هي قبل وبعد كل شيء استقلال، هي تحديدي من الداخل ومبادئ الخلاق، وواقعها

(٧) لاميل (الحضور الكلي) ص ٢٢٥.

(٨) لافيل (إمكانيات الأنا) ص ١٥٥.

(٩) كارل يسبرز (مدخل إلى الفلسفة) ص ٥٦.

(١٠) المرجع السابق، ص ٤٤٠.

(١١) كارل يسبرز (معنى الفلسفة) ص ٦٤.

(١٢) كارل يسبرز (مدخل إلى الفلسفة) ص ١٤٦.

(١٣) المرجع السابق ص ٤٤٦.

(١٤) بيرد يائيف. نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) طلعت غنام ص ١٠٨ - ١١١.

لا يعتمد على أي معيار، وممارستها ليست مجرد اختيار بين الخير والشر^(١) (إن الحرية هي معياري الخاص، وهي خلقي الخاص للخير والشر، وقد يؤدي شرط الاختيار إلى إحساس بالكبت وعدم الحسم، أو إلى إختفاء الحرية تماماً، فالتحرر يأتي عندما يتم الاختيار، وعندما أكون قد شرعت في عملية الخلق، وترتبط مشكلة الإنسان والإبداع الإنساني ارتباطاً وثيقاً بمشكلة الحرية، وترتبط مشكلة الحرية عندي بالحياة في الله، فالحياة في الله عندي هي الحرية، هي الانطلاق الذي لا يقيد قيد^(٢)).

٥ - وقال هيدجر :

(الحرية هي وجودنا نفسه) (التخلي عنها سيكون تخلياً عن إنسانيتي متبعاً لكلمة مشهورة نحن محكوم علينا بهذه الحرية)^(٣) (فالحرية جوهر الإنسان وماهيته وبها وحدها يمتاز الإنسان عن سائر الموجودات، فالموجود المتفتح فقط موجود حر، والحرية هي التفتح والقدرة على التخيل تشهد بشعور حر)^(٤).

٦ - وقال سارتر :

(إن الإنسان حر وأن الحرية هي صميم الوجود الإنساني)^(٥) (فأنا مقضي

(١) المرجع السابق نفس الصفحات.

(٢) المرجع السابق ص ١١١

(٣) هيدجر (نداء الحقيقة) ص ١٠٠ ترجمة عبدالغفار مكايي - دار الثقافة القاهرة ١٩٧٧.

(٤) هيدجر (نداء الحقيقة)، ص ٩٣.

(٥) سارتر (الوجود والعدم) ص ٥٥٠.

علي بأن أكون حراً من حيث إن الوجود قد أعطي لي دون موافقتي ودون سبب وأنا مرغم على تقبله بأن أصنع نفسي^(١) (فقولي أنا موجود مرادف تماماً لقولي (أنا حر) لأن الحرية هي الشعور بالوجود نفسه، فأنا أصنع نفسي ووجودي على نحو ما أريد، ودون أن أستطيع الاعتماد على شيء آخر غير نفسي، فليس في وسع أي إنسان آخر أن يمارس حريتي عوضاً عني)^(٢) (وأنا أستطيع أن أختار دائماً، وحتى إذا رفضت أن أختار فرفض الاختيار هو اختيار)^(٣) (لأنني حين أتخلى عن حريتي يكون ذلك بواسطة الحرية أيضاً)^(٤) (إن الإنسان محكوم عليه بالحرية، محكوم لأنه لم يخلق ذاته وهو حر لأنه قد صار مسؤولاً عن كل مايفعل بمجرد أن تتواجد في العالم)^(٥) (إذا كان الوجود حقيقة أسبق على الماهية فالإنسان مسئول عما هو عليه، وإن تكون أولى آثار الوجودية المترتبة على ذلك هو وضع كل فرد وصياً على نفسه مسؤولاً عما هو عليه مسؤولية كاملة)^(٦) (إذا كنا سنشكل الصورة التي سنكون عليها أثناء عملية وجودنا، فهذه الصورة لن تكون واقعنا نحن فقط، ولكنها ستكون كذلك واقع الناس المحيطين بنا، والعصر كله الذي نجد

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٢.

(٢) سارتر نقلاً من كتاب (هذه هي الوجودية) بول نولكيه ص ٢٩.

(٣) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ٥١.

(٤) سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٩٨.

(٥) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ٣٦.

(٦) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ١٥.

فيه أنفسنا) (١) (لأن الإنسان محكوم عليه بالحرية والحرية تقتضي الاختيار والاختيار يقتضي المسؤولية عما يختاره) (٢) (إن العدم هو نسيج الوجود الإنساني، وبذلك فإن من أهم ما يميز الوجود لذاته (الإنسان) هو انفصاله عن ذاته، وخلقه لنفسه بنفسه، وليست الحرية سوى مجرد تعبير عن هذه الحقيقة الهامة) (٣) (إن حرיתי هي الدعامة الوحيدة للقيم، فليس ثمة شيء يمكن أن يلزمني بأن أتخذ هذه القيمة أو تلك) (٤) (اختاروا مثلما اخترنا، فنحن لا يمكن أن نختار الشر لأنفسنا، وما نختاره دائماً خير لنا ومن ثم فهو خير لكل الناس) (٥).

ثالثاً - مناقشة أقوال الوجوديين

إن ادعاء الوجوديين بحرية الإنسان حرية مطلقة مردود عقلاً ومرفوض واقعاً من خلال النقاط التالية :

١ - إن الإنسان في ظل المذهب الوجودي يجري وراء سراب يزعم أنه الحرية وفي نفس الوقت يعيش لتحقيق غرائزه، والهدف من الحرية - على حد زعمهم - أن يسترسل الإنسان مع سفهه وأهوائه يفسد، ويفجر، ويخون، ويمكر، ويبرر هذه المفاسد والآثام بقوله (أنا حر) ويكون قوله هذا حجة

(١) المرجع السابق، ص ١٧ .

(٢) سارتر (الأبواب المقفلة) ص ٩ .

(٣) سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٤١ .

(٤) المرجع السابق، ص ٥٥٤ .

(٥) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ١٦-١٧ .

كافية ومعدرة وافية، ثم هل وجد الإنسان ليعيش ويحيا فوضوياً بلا تنظيم ونظام، ولا إلتزام، والتزام؟ وإذا مالفرق بينه وبين الوحوش في الغابة؟ وهل في الكون مجتمع بغير دستور؟ وإذا كان الشيوعيون قد أمموا وسائل الإنتاج جبراً لفقر البائسين كما يزعمون، فهل أمم الوجوديون الأديان، والشرائع والآداب والأخلاق، ليبرروا فوضى الخنافس والهيبيين وشذوذهم، وفساد الأشقياء وإجرامهم؟ نعوذ بالله.

٢ - إن هذه الحرية المنداحة الدائرة ، بل التي لاتعرف الحدود ولا القيود متناقضة - تماماً. مع مبدأ آخر من مبادئ الوجودية ذاتها: ذاكم المبدأ الذي يقرر أن الإنسان وجد في هذه الحياة دون إرادة منه، ويعيش فيها دون إرادة، ويرحل عنها كذلك دون اختيار، فكيف يتفق هذا القهر المطلق مع الحرية المطلقة التي ينادي بها الوجوديون؟ وإن دل هذا على شيء فيدل على مدى تناقض الوجوديين واضطرابهم.

٣- إن الإنسان لو كان حراً - بالمفهوم الوجودي - في هذه الحياة ما قبل الشيب والهرم والعجز والموت، فما يدعي إنسان سوي أنه يحب ذلك، لكنها واقعة به جميعاً، فهل يستطيع الوجوديون أن ينكروا ذلك، أو يدعون بأنهم يوقعونه بأنفسهم برغبتهم، ولهذا فالإنسان ليس حراً بالمفهوم الوجودي.

٤- لو كان الإنسان حراً بالمفهوم الوجودي لحقق كل مايطمح إليه في حياته

الدنيا هذه، لكن الإنسان قد يطمح إلى مالا يحققه، ويطمع فيما لا يناله، أو يصل إليه، فهل يعقل أن يكون الإنسان حراً حرية مطلقة، ثم يعجز عن تحقيق آماله، أو دفع مايقع به.

٥- إن مفهوم الحرية عند الوجوديين، ينطوي على كثير من المفارقات، فعندما أدت حريرتهم المطلقة إلى الفوضى وقد أحسوا أن في ذلك مجافاة للحقيقة، راحوا يربطون بينها وبين نقيضها أعني الضرورة تارة، والالتزام تارة أخرى لكي يضيفوا عليها شيئاً من المعقولة، إلا أن القاريء لهم يشعر بمثل هذه المفارقات، ويحكم عليهم بخلو حديثهم عن الصدق والواقعية على حد سواء، وأنهم دعاة للإباحية والسلوك الفاضح الذي لا تحكمه مبادئ أو قيم^(١).

٦- ادعى الوجوديون بأن الإنسان حر حرية مستمرة باختياره ثم ادعوا بأن الإنسان محكوم عليه بالحرية، فكيف يشعر الإنسان بأنه حر ويشعر في الوقت نفسه شعوراً متناقضاً بأنه مقسور على هذه الحرية؟ إنه لتناقض عجيب!!

٧- ماقيمة هذه الحرية التي نستطيع أن نفر منها، حيث تبدو هذه الحرية، وكأنها خالية من كل معنى، ومن كل قيمة، فبهذا ندرك أن الإنسان الوجودي يستطيع من خلال حريته أن يفر من حريته!! إنها الفوضى

(١) راجع د. محمد مهران رشوان (مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة) دار الثقافة. القاهرة ص١٢١.

بعينها!! فكيف يكون الإنسان مقسوراً على الحرية وكيف يمكنه في الوقت نفسه أن يفر من هذه الحرية؟.

٨- ادعى الوجوديون بأن الإنسان خال من الماهية السابقة على الوجود في قولهم (الوجود أسبق من الماهية) ثم ادعوا بأن ماهية الإنسان هي الحرية كقولهم (إن الإنسان محكوم عليه بالحرية) فكأنهم قالوا إن الإنسان خال من الماهية الإنسانية، وأن الإنسان في نفس الوقت حاصل على ماهية معينة هي الحرية وهذا تناقض واضح.

٩- ادعى الوجوديون بأن الإنسان حر حرية مطلقة في جميع الأحوال وفي جميع المواقف، وفي جميع الأفعال، ثم ادعوا بأنه مقسور على الحرية ومن ثم يصبح أحياناً حر وأحياناً غير حر، فعلى هذا يكون له في بعض أفعاله ومواقفه مطلق الحرية، وفي أفعال أخرى قليل القدر من الحرية، وفي أفعال ثالثة معدوم الحرية فأى تناقض بعد هذا التناقض؟.

١٠- كيف يقول الوجوديون أن الإنسان دائماً حر، وأنه ليس حاصلًا على طبيعة أو ماهية تحدد سلوكه وأفعاله، ثم يقولون أن الإنسان الذي يعرف أنه هو الذي يخلق القيم لا يستطيع إلا أن يريد شيئاً واحداً هو الحرية، حيث إنها أساس لتلك القيم - على حد زعمهم - فكيف يكون

الإنسان حراً بمقتضى تركيبه الأنطولوجي (١)، ويسعى في الوقت نفسه لتحصيل هذه الحرية؟ كيف يمكن أن تكون الحرية الإنسانية حرية عامة مطلقة تشمل جميع أفعال الإنسان، وفي نفس الوقت تكون موضوعاً للإرادة الإنسانية يسعى إليها وينبغي تحصيلها؟ (٢) إنه الاضطراب الواضح.

١١- ادعي الوجوديون بأن الإنسان حر حرية مطلقة، وأكثر أقوالهم تشير إلى تمجيد الإنسان لحرية المطلقة الذاتية الخاصة به، وأن الإنسان عندما يختار لنفسه فإنما يختار لكل الناس لأن ما يختاره هو خير له وللجميع، ثم صدر عنهم أقوال أخرى تشير إلى عدم إقامة وزن للآخرين، وأنهم هم الجحيم (الجحيم هم الآخرون) (٣) وكما قال سارتر أيضاً (إن الخطيئة الأولى عندي هي وجودي في عالم يوجد فيه الغير) (٤) فأقام الوجوديون علاقتهم مع الغير على الصراع مع ادعائهم بأن الإنسان عندما يختار لنفسه ولهم إنما يختار الخير والأفضل فهذا تناقض وتذبذب واضح لاجدال فيه، ومحاولتهم إيجاد اتصال بين الإنسان والآخرين هي محاولة غير صادقة بدليل تصريحهم بأن ظهور الآخرين على مسرح الحياة

(١) (تعني هذه الكلمة الأمور العامة التي تشمل جميع الموجودات : الواجب والممكن والجوهر والعرض . هذا ما جاء في كتاب المعجم الفلسفي لمراد وهبه نقلاً عن تعريفات الجرجاني)، راجع محمد جواد مغنية (قاموس مصطلحات) دار مكتبة الهلال ص ١٩٢

(٢) راجع د. حبيب الشاروني (الوجود والجدل في فلسفة سارتر) ص ٩١.

(٣) سارتر (الابواب المقفلة) ص ٩٧.

(٤) سارتر (الوجود والعدم) ص ٤٨١.

لايعني شيئاً سوى أنهم وجدوا ليسلبوه حرّيته، ويهددوا وجوده وحياته، والحرية بين الإنسان والآخرين هي علاقة نزاع وصراع، وبدليل أيضاً تمجيدهم للفردية، واحتقار الجماهير ووصفهم بالرعاع، والبهائم البشرية، الذين يضايقون الآخرين كالذباب^(١).

١٢- يرى الوجوديون أن الحرية ترتبط بالقلق ارتباطاً وثيقاً فجعلوا القلق يحاصر الإنسان في كل اتجاه، وهنا يبرز عدة استفسارات، فإذا كان اختيار الإنسان هو الذي يحدد الأفضل والأسوء، فلماذا يقلق ويخشى سوء الاختيار؟ وإذا كان الاختيار ليس له قيمة إلا في اللحظة الحاضرة - كما يزعم - ويمكن تعديله في أي لحظة يريدّها الإنسان حيث إنه في حالة اختيار دائم مستمر بدون انقطاع، فهل هناك - إذن - داع للقلق بسبب اختيار لايدوم غير لحظة من لحظات حياته؟ وقد كان من الممكن أن يتفادى الوجوديون هذا القلق لو آمنوا بالله - عز وجل - واعترفوا بثنائية الوجود الإنساني، وأن الإنسان يتركب من روح وجسد.

١٣- إن ادعاء الوجوديين بأن اختيار الإنسان لنفسه اختيار للبشرية جمعاء وأنه لا يختار إلا الخير، ادعاء باطل بدليل حياة سارتر - مثلاً - فقد اختار الإضراب عن الزواج وعن الإنجاب، فما مصير البشرية إذا أضرب الناس

(١) راجع كيرك جورد (يوميات) ص ٢٠١-٢١٣. رسارتر (الأبواب المقفلة) ص ٨٥-١٠٠.

جميعاً رجالاً ونساءً عن الزواج وعن التناسل؟^(١) ثم من رشح (سارتر) ليختار للبشرية؟ وماذا لو قال كل فرد مثل ما قال (سارتر) بأنه يختار للبشرية؟ ودعا إلى الالتزام بما يختاره؟ كيف تكون الحياة إذن؟ يقول أندريه لالند^(٢) (إن فكرة سارتر عن الحرية لا تكاد تنطوي على أي مفهوم عقلي واضح)^(٣) إنه واقع متناقض غير معقول ولا مفهوم وهذا هو مصير مفهوم الحرية عند الوجوديين.

١٤- إن ادعاء الوجوديين بأن الإنسان لا يمكن أن يختار إلا الخير لنفسه وللبشرية ادعاء باطل ومتناقض لأن الإنسان يقرب فعله إذا نفعه بالخير، ويقرب ما يضره بالشر، ولكن لا يمكن اعتبار ما ينفعني أنا - مثلاً - أو يضرني مصدراً للخير أو الشر، لأن ما ينفعني قد يضر آخرين غيري والعكس كذلك من جهة، ومن جهة أخرى فإن الله يحاسب كل إنسان على حسب اختياره فقط، فكيف يحاسب الإنسان على اختيار غيره. قال تعالى ﴿ومن ضل فلإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(٤).

١٥- أن إرادة الله سبحانه وتعالى مطلقة، أما إرادة الإنسان فهي محدودة تنحصر حريتها في الاختيار فقط، كما أن الاختيار ليس مطلقاً أيضاً، لأنه

(١) راجع محمد لبيب البوهي (الوجودية والإسلام) دار المعارف. مصر. ١٩٦٠ ص ١٥٣.

(٢) أندريه لالند ١٨٦٧-١٩٦٤. فرنسي كان أستاذاً للفلسفة بجامعة باريس وأستاذاً للفلسفة بالجامعة المصرية. أهم كتبه (المعجم الإصطلاحي والنقدي للفلسفة) و (نظريات في الاستقراء والتجريب) راجع الموسوعة الفلسفية/عبد المنعم الحفني ص ٣٩٢.

(٣) أندريه لالند (العقل والمعايير) ترجمة نظمي لوقا الهيئة المصرية للكتاب ص ٥٣.

(٤) سورة الإسراء آية ١٥.

محدد بطريقتين ومقدر سلفاً بفعالين هما طريق الخير وطريق الشر، ومن ثم لا يمتنع عقلاً انطواء الإرادة والمشية الإنسانية تحت الإرادة والمشية الإلهية المطلقة، حيث لا مشية مطلقة إلا لله وحده، وكل اختيار بفعل الإرادة الإنسانية إنما هو اختيار بفعل المشية الإلهية المطلقة وغير خارج عنها، وذلك لكونها مطلقة يمتنع وجود أي مجال خارج مجالها لأن مجالها مطلق، والمطلق لا يتناهى، وما لا يتناهى ليس له حدود، ومن ثم ليس ما هو خارجه لأنه ليس ثمة خارج له، إنما الذي يمتنع عقلاً هو أن تكون كلتا الإرادتين حريتين مطلقتين فذلك يرفضه العقل ولا يقبله المنطق. (١).

١٦- ترتكز الحرية عند الوجوديين على الفعل، حيث إنها ممارسة قبل أي شيء والإنسان عندهم ليس سوى ما يختاره ويفعله بنفسه، بل هو عين هذا الفعل ومن ثم فإن مقومات الحرية لديهم ترتكز على الاختيار والفعل لأنه لا اختيار حيث لا حرية ولا حرية بدون استطاعة على الفعل ولكن مقومات الحرية في الإسلام وإن كانت ترتكز على الاختيار والفعل فإنها ترتكز على مقوم آخر على قدر كبير من الأهمية لم يعترف به الوجوديون وهو العلم أو المعرفة، إذ لو كان الإنسان قادراً على إحداث الفعل كما أراه واختاره فإنه يلزم أن يكون لديه المعرفة والعلم الضروري بالأسباب

(١) راجع: الشيخ عبدالعزيز المحمد السلطان (الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية) ص ٨٧-٩٠.

والعلل ونتائجها من جهة ولديه المعرفة الضرورية بالفضائل والردائل، أو الخير والشر في الأفعال المختارة من جهة أخرى.

١٧- إذا كان الوجوديون قد جعلوا الحرية الإنسانية حرية مطلقة تستوعب كل مظهر من مظاهر النشاط الإنساني، كما جعلوا اختيار الإنسان غير قائم على أساس مبدأ معين، وحرية الإنسان حرية إباحية غير مقيدة بأي قيد ديني أو اجتماعي أو أخلاقي، فإن الإسلام لم يجعل حرية الإنسان حرية مطلقة حيث جعل جانباً جبرياً في حياة الإنسان حيث يبتليه بأمور وأحداث وأفعال هي في حقيقتها جبرية ليس له دخل فيها ولا أدنى اختيار وهذا الجانب لا ينفى حرية الإنسان واختياره وإنما يؤدي إليه، لأنه مطالب نحو هذا الفعل الجبري بسلوك وفعل اختياري، نابع من إرادته واختياره، لأن الإنسان حينما يبتلى يواجه بسلوكين متضادين وهنا تتحرك إرادته لاختيار واحد من السلوكين، وتبرز استطاعته الإنسانية لتنفيذ ماتم إختياره من حسن أو قبح أو خير أو شر.

١٨- الحرية الإنسانية في الإسلام وسيلة وليست غاية كما في الوجودية، التي تجعل الحرية غاية وهدفاً لذاتها فيصبح كل شيء مباحاً كالعهر والفساد والمجون مما يزلزل القيم ويقضي على الأخلاق والمثل.

١٩- تؤدي الحرية المطلقة التي نادى الوجوديون بها إلى أن يعبد الإنسان هواه، فتفتح الباب له لأن ما يفعل ما يشتهي دون قيد أو شرط يراقص ويقامر ويشرب الخمر، ويسكر ويزني ويفعل الموبقات ولا لوم عليه من

عرف ولا مؤاخذة من قانون لأنه في نظرهم والحالة هذه يمارس حقه. المهم ألا يؤدي أحداً، وتلك حرية الغريزة الحيوانية لا حرية الإرادة الإنسانية، وإرخاء العنان لشهوات الإنسان بهذه الصورة انحلال كبير لا يقره دين، وهدم للإنسان والمجتمع معاً إذ إنهما متداخلان مترابطان يؤثر كل منهما في الآخر فإذا فسد جانب فسد الثاني^(١).

أما الحرية في الإسلام - والتي سنتطرق إليها إن شاء الله - فهي حرية في حدود القيم والفضائل، وفي نطاق الأخلاق والدين الذي يقوم عليه بناء المجتمع، وهي حرية تسمو بالإنسان وتصونه عن التذني إلى أسفل، يقول الأستاذ روجيه جارودي: (تنقسم الحرية إلى قسمين حرية حيوانية غير عاقلة، وحرية إنسانية عاقلة. ثم قال: إن الحرية السماوية تلبي حاجات إنسانية محضة، إن حرية الإنسان لاتتأتى من ممارسته للفوضى والهدم، بل من الحرية المسئولة أمام القيم الأخلاقية وأمام الله، لذا فإن العبودية لله الواحد هي الحرية بعينها. ولقد تحرر العربي المسلم حين مارس هذه الحرية في إطار تعاليم الإسلام، فالله أمر المؤمن أن يفكر وأن ينتقد الخطأ ولا يسكت عليه، وينكر المنكر إذا رآه بيده ولسانه وبقلبه، ثم حث الإنسان أن يعمل ذهنه ويفكر، ولهذا كله تحرر الإنسان المسلم من العبودية إلا لله وحده، ومارس أرقى أشكال الحرية الفردية والاجتماعية في إطار من الوعي، غير أن أوروبا والفكر المادي الأوروبي والقوانين الأوروبية سلبت الإنسان حريته فأخضعته ووهنته وجعلته عبداً

(١) راجع: د/ جمعة الخولي (الاتجاهات الفكرية المعاصرة) ط ١٤٠٧ ص ٨٤.

للآله والاستهلاك والسلعة(١).

٢٠- رفضت الوجودية عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى، لأن العبودية على حد زعمهم نقيض الحرية، في الوقت الذي نرى الإسلام لا يرضى بغير هذه العبودية، وفي الوقت أيضاً الذي نرى عبودية الإنسان لله في الإسلام هي السبيل الوحيد إلى تحرير الإنسان، نرى الحرية في الوجودية حرية مزعومة، لا رصيد لها في واقع المجتمعات التي تؤمن بهذه الفلسفة. أي أن الإسلام يعتمد على الوضوح وحده، بينما تعتمد الوجودية على التدجيل والتلبيس، ولذلك نجد الإسلام قد حرر العبيد من استغلال الغير، ممن يملكون، ومن استرقاق الحكام، ومن استرقاق الشيطان أيضاً، بينما نجد الوجودية قد حررت الإنسان على الورق فقط لتوقعه في قبضة النفس وشهواتها، وتكون النتيجة ما يعيشه عالمنا المعاصر، وما يهدد حضارته، كما يهدد الجنس البشري جميعه بالتدمير، ولا منقذ له من هذا التدمير سوى الإسلام.

فالحمد لله الذي من علينا بالإسلام، لأن الإسلام يرفض الأديان الوضعية، وينبذ المذاهب الفلسفية كلها، ويدعو إلى أفراد الله بالألوهية ورفض الخضوع لغير أمره وتنظيمه.

وبعد أن عرفنا مفهوم الحرية عند الوجوديين نختم حديثنا في مفهوم الحرية في الإسلام.

(١) روجيه جارودي: محاضرة بعنوان (قضايا الإسلام في الدول الأوروبية) راجع خلاصة المحاضرة في جريدة الشرق الأوسط في ٢٥/٣/١٩٨٣م.

رابعاً - مفهوم الحرية في الإسلام

الحرية في الإسلام هي استعمال الحق المشروع بحيث لا يؤثر ولا يعترض على حقوق الآخرين. فهذه الحرية تتيح للإنسان استعمال كافة حقوقه ما دام ذلك في إطار الشرع. فمن الحرية العبودية لله رب العالمين، والإذعان الكامل لطاعته وتحليل حلاله وتحريم حرامه، وقد قيل: (في العبودية لله تمام الحرية، وفي الحرية تمام العبودية) فالدين الإسلامي هو الذي يحقق الحرية الحقيقية للناس بتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وبناءً على هذا يتهافت مفهوم الحرية عند الوجوديين إذ ليس معنى الحرية إطلاق العنان للإنسان أن يعمل ما يشاء، أو أن يرتكب من المنكرات ما يريد دون أن تحد تصرفاته آداب، أو تقيد أفعاله ضوابط، فالحرية بهذا المعنى تجر إلى الفوضى والفساد والاضطراب، ولتلافي هذه المشاكل عني الإسلام بالحرية، ووضع لها الضوابط التي تحمي الفرد والمجتمع. فهي في الإسلام حرية في حدود القيم والفضائل، وفي نطاق الأخلاق والدين، وهي حرية تسمو بالإنسان وتصونه، وهي حرية تحرره من قيود الوثنية، والاستعباد، فهي ضد عبودية الأوثان، وضد العبودية لأي كائن كان، وهي حرية الفرد وحرية الجماعة. وقد قسم الباحثون الحرية في الإسلام إلى أنواع:

أولاً : الحرية الدينية :

بنى الإسلام الحرية الدينية على أسس سمحة نبيلة، تحقق آمال الفرد، وأهداف المجتمع، وقرر في هذا الصدد أربعة مبادئ تعد أسس ما يمكن أن

يصل إليه التشريع في حرية الأديان والمعتقدات وهي (١):

١- حرية الاعتقاد الديني ونفى الإكراه في الدين: وقد قرر الإسلام عدم جواز أن على ترك دينه واعتناق الإسلام. قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (٢) ويقول الله مخاطباً الرسول ﴿ولو شاء ربك لأمّن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (٣) وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى، وكانوا في الفتوحات الإسلامية لا يرغمون أهل البلد من ترك دينهم، ويفرضون عليهم الجزية، والطاعة للفتاحين، وفي مقابل ذلك يحمونهم من كل إعتداء . وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له (هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم، لا تنتكس كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم) (٤) (٥) ويقول عمرو بن العاص في معاهدته مع المصريين بعد فتحه لمصر (هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم

(١) راجع: علي عبدالواحد وافي (الحرية في الإسلام) دار المعارف. مصر ص ٥٩-٧٤.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

(٣) سورة: يونس آية: ٩٩.

(٤) عمر بن الخطاب (٥٨١ - ٦٤٤م) ثاني الخلفاء الراشدين تولى الخلافة سنة ١٣هـ من بني عدي من قريش أسلم قبل الهجرة بأربع سنوات، لقبه الرسول ﷺ بالفاروق، اشترك في موقعة بدر وأحد وزوج بنته حفصة للرسول، بادر على إثر وفاة الرسول ﷺ بمبايعة أبي بكر خليفة للمسلمين، أوصى أبو بكر بخلافته بعده توفي رضي الله عنه ٢٣هـ طعنه أبو لؤلؤة مولى المغيرة بن شعبه في المسجد. راجع الموسوعة العربية ج ٢ ص ١٢٣٦ - ١٢٣٧.

(٥) محمد حسين هيكل (الفاروق عمر) ص ٦٣٢ ج ١ دار المعارف ط ٦ سنة ١٩٧٧

وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص (١) (٢).

٢- حرية المناقشة الدينية: فقد قرر الإسلام حرية المناقشات الدينية في الإسلام وأهاب بالمسلمين إلى التزام جادة العقل والمنطق في مناقشتهم مع أهل الأديان الأخرى، وأن يكون عمادهم الإقناع وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل. قال تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (٤) وقال تعالى ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (٥) وقال تعالى ﴿هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ (٦) وقال تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرؤني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾ (٧) ولم يكتب القرآن بذلك، بل دعا وأغرى الكفار على المناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم، فتظاهر جدلاً بأنه لا يقطع بأن

(١) عمرو بن العاص هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، أسلم في هدنة الحديبية سنة ثمان، ثم هاجر، تولى إمرة جيش ذات السلاسل، وكان من دهات قريش من ذوي الحزم والرأي، تولى إمارة مصر ومات بها سنة ٤٣هـ راجع أسد الغابة ١١٨/١١٥/٤ وطبقات بن سعد ٢٥٤/٤ - ٢٦١. وسير أعلام النبلاء ٥٤/٣ - ٧٧.

(٢) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تعزى الاتابكي ٨١٣-٨٧٤ (النجوم الزهراء في ملوك مصر والقاهرة) ج ١ ص ٢٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

(٣) سورة النحل آية ١٢٥.

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦.

(٥) سورة البقرة آية ١١١.

(٦) سورة الأنعام آية ١٤٨.

(٧) سورة الأحقاف آية ٤.

المسلمين على حق أو أنهم على باطل فيقول: ﴿وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾^(١) وسرت حرية المناقشات الدينية لدى الخلفاء فكان العلماء يتناقشون لديهم في شتى الأديان والفرق والعقائد كل يدلي برأيه وحجته في حرية وأمن واطمئنان وكان الخلفاء يشجعون عليها بمختلف وسائل التشجيع ويشتركون فيها بأنفسهم.

٣- اليقين والاعتناع في صحة الإيمان: فالإسلام هو ما كان منبعثاً عن يقين واعتناع، لا عن تقليد وابتداع.

٤- إباحة الاجتهاد في فروع الشريعة لكل قادر عليه، فالإسلام أباح الاجتهاد في فروع الشريعة لكل قادر عليه، وهو المتمكن من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط، فمتى توافرت هذه الشروط في المسلم فله أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها، ويعمل بما يراه ويجهر بما انتهى إليه رأيه والإسلام يكفل له حرية الرأي، ويحمي حرته، ويحترم رأيه، حتى لو كان اجتهاده خاطئاً ومجانباً للحق في الواقع فالمجتهد في الإسلام مشكور ومأجور في حالتي صوابه وخطئه فإن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران.

ثانياً: الحرية السياسيـه

قام النظام السياسي في الإسلام على مبادئ هامة هي

أ - مبدأ الشورى •

(١) سورة سبأ آية ٢٤.

قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (١).... ولما للشورى من أهمية كبيرة فقد أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة أصحابه : قال تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (٢).... ولا يخفى مافي الشورى من إقرار بالمساواة بين الناس وإحترام إرادة الأمة وكرامة رجالها وكلما توسعت قاعدة الشورى أحس الناس بمشاركتهم في اتخاذ القرارات بصورة أقوى ، وزادت رغبتهم في إنجاحها والألتزام بها .

ومن أوضح النماذج في الشورى في عصر الرسالة إستشارته عليه الصلاة والسلام لأصحابه ، فقد إستشارهم في مواجهة جيش المشركين ببدر ، وإستشار ابابكر وعمر رضى الله عنهم في أسرى بدر ، وإستشار أم سلمة في موقف الناس في الحديبيه ، وتأخرهم في تنفيذ أمره بالحلق والنحر إستعداداً للعودة بعد الصلح مباشرة .. وكذلك الشورى في غزوة أحد في مسألة الخروج من المدينة لملاقاة المشركين أو البقاء داخلها والتحصن فيها حيث استجاب لرأى الملحّين بالخروج رغم ميله إلى البقاء لما فيه من مصلحة ظاهره ، ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يخذل الأكثرية المتحمسة للخروج وهكذا كان يستشير الناس جميعاً مرة ويستشير خواص الصحابة مرّة أخرى ، وقد أوضح عليه الصلاة والسلام أنه غنى عن الشورى بالوحى ، وإنما يفعل ذلك تطبيقاً لنفوس أصحابه ، وتعويداً لهم على ممارسة المسئولية ، وتقريراً لمبدأ الشورى ، حتى تلتزم به الأمة من بعده .

(١) سورة الشورى آية (٣٨)

(٢) سورة آل عمران آية (١٥٩)

وشهدت المدينة المنورة أروع تطبيق لمبدأ الشورى بعد وفاة الرسول ﷺ حيث إجتمع أصحابه في سقيفة بني ساعدة ، وأوضح كل منهم رأيه على مرأى ومسمع من جميع الحضور ، فتكلم بعض الأنصار ، وتكلم كبار المهاجرين مثل أبى بكر وعمر ، فكان الخليفة الأول الصديق - رضى الله عنه - مما يدل على استعداد نفوس الصحابة الكرام للإنصياع للحق ، وإرتفاعها إلى مستوى المسئولية العامة وإحساسها بدورها التاريخى .

ب - الوصية

وهى أن يوصى الخليفة قبل وفاته بمن يخلفه ، وقد ثبتت الخلافة لعمر رضى الله عنه بذلك ، فقد أوصى أبو بكر بعمر خليفة للمسلمين من بعده يقول أبو بكر في العهد الذى تركه لعمر (إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل فذلك علمى به ورأى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب بالخير أردت ، ولكل أمرى ما كسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (١)..... وبويع عمر - رضى الله عنه بالخلافة ومضى قدماً في ولاية أمور المسلمين أميناً عادلاً .

ج - الغلبة

عالج فقهاء المسلمين أمراً وقع فعلاً ، وهو التنازع على الخلافة بين اثنين أو أكثر ثم أخذ أحدهم لها بالقوة أو استيلاء واحد من المسلمين عليها بالقوة ابتداء كعماوية حين آلت إليه الخلافة ، بعد مقتل على رضى الله عنه وتنازل الحسن رضى الله عنه عام ٤٠ هـ

(١) ... راجع في وصية ابى بكر - الطبرى (تاريخ الامم والملوك ج٣ ص٢٠٧-٢١٠)

وقد سن معاوية سنة ، وذلك بجعل الخلافة وراثية بين أولاده من بعده ومن يليهم وقد رجح هؤلاء الفقهاء تفادى الفتنة والقتال بين الناس وقبول الأمر الواقع إن إستتب الأمر لواحد من المسلمين ، فقد روى عن الامام احمد أن الخلافة تثبت بالقهر والغلبة كما روى عنه أن الجمعه لمن غلب أى صحة صلاة الجمعة التى يخطب فيها للأمام الذى استولى وغلب على الحكم .

وحيثما فكر علماء بغداد في التمرد على الخليفة أيام الواثق بسبب القول بخلق القرآن وحمل الناس على ذلك ، وإستشاوروا الامام احمد بن حنبل قال (عليكم بالفكرة في قلوبكم ولا تخلعوا ايدياً من طاعه ولا تشقوا عصا المسلمين) (١) وروى عنه أيضاً قوله : (ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين ، فلا يحل لأحد مؤمن بالله واليوم الآخر أن يبیت ولا يراه اماماً براً كان أوفاجراً) .

وهذا الرأى وجيه لما فيه من تجنب الفتنة والقتال بين المسلمين . قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

(٢) . وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اسمعوا

واطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبه) (٣)

ثالثاً الحرية الاقتصادية :

وقد قدم الإسلام نظاماً إقتصادياً محكماً منبثقاً من حقيقة العبودية لله وذلك

(١) ١-١ راجع كتاب نظام اسلام الحكم والدولة للاستاذ / محمد المبارك من كتاب الاحكام السلطانية

ص ٥ - ٧ .

(٢) . سورة النساء آية ٥٩

(٣) رواه البخارى

على اعتبار أن الإنسان خليفة في الأرض يعني تملكه لها، واستغلاله لثرواتها ومنتجاتها، وقد حث الإسلام على العمل وأباح الملكية الفردية تمشياً مع الفطرة الإنسانية، وإطلاقاً للطاقة البشرية إلى آخر مدى مقدر لها، إذن الحرية الاقتصادية لكل فرد في المجتمع لا تتم إلا بتنفيذ التشريع المالي الاقتصادي في القرآن الكريم سواء كانت تشريعات إباحية أو تشريعات إلزامية، فللفرد في الإسلام الحق في استعمال كافة حقوقه، وعليه أداء الالتزامات التي أوجبها الله وفرضها، وبهذا تتحقق الحرية الاقتصادية لكل أفراد المجتمع ويحدث التوازن المطلوب^(١).

هذه هي الحرية الإسلامية التي حافظت على النفس والدين والعقل والمال والعرض، في حين أن الحرية المطلقة التي دعت إليها الوجودية أهدرت النفس والدين والعقل والمال والعرض، فأحدثت شروخاً كبيرة في المجتمعات الغربية سنرى بعض آثارها في الباب القادم (الباب الثالث) إن شاء الله.

(١) المرجع السابق ص ٣٩٤

الفصل الثالث

نظرة الوجوديين إلى الأخلاق

ويشتمل على أربعة مباحث

أولاً مفهوم الأخلاق عند الوجوديين .

ثانياً اقوال الوجوديين في الأخلاق .

ثالثاً مناقشة مفهوم الأخلاق عند الوجوديين واقوالهم .

رابعاً الأخلاق في الإسلام .

الفصل الثالث

نظرة الوجوديين إلى الأخلاق

أولاً : مفهوم الأخلاق عند الوجوديين

عرفنا من خلال الفصلين السابقين مايلي:-

١- إنكار الوجوديين للإله.

٢- الدعوه إلى الحرية المطلقة.

وبناءً على المفهومين السابقين أسقط الوجوديون الأخلاق والقيم من حسابهم، سيان منها ما فرضه الدين أو العرف الاجتماعي، وقاموا بحملة شرسة ضد القيم الإنسانية النبيلة التي مصدرها العقائد الإيمانية الثابتة، وادعوا دعوىً باطلة لاسند لهم فيها ولا مبرر وهي ان الالتزام بالأخلاق والقيم حجر على الحرية المطلقة التي وهبها الإنسان نفسه، وعلى الفرد أن يبتكر أخلاقه بنفسه، فليس ثمة سلطة تفرض عليه سلوكاً معيناً. فكل إنسان يضع المعايير التي يراها هو، ويختارها هو، وهذه المعايير معلقة على الغايات التي يحددها لنفسه هو، ويتساوى في ذلك عظيمها وحقيرتها لذلك فالأخلاق عندهم نسبية متغيرة متلونة طبقاً لما يختاره الفرد من حرية شخصية تامة. فالحرية على حد زعمهم هي التي تخلق المعايير والقيم لذاتها بمقتضى اختيار حر مطلق، وبدون أي مقاييس، وبدون أدنى باعث عقلي،

ووضع أي مقياس للأخلاق على حد زعمهم يعد حداً من الحرية لأن وجود مقياس أو قاعدة معناه أن الأفعال عليها أن تتجه في اتجاه معين، ولم تعد حرة حتى ولو خالفت هذا المقياس ولذلك رد الوجوديون أي مقياس أو قاعدة للأعمال وجعلها حرة حرية مطلقة في اختيار أية غاية بدون تحديد فالاختيار لا يعتمد على ما يبرره، والحرية فقط هي التي تبرر الاختيار^(١).

ثانياً : أقوال الوجوديين في الأخلاق

١- قال كيرك جورد:

(مهمة المرحلة الأخلاقية تحويل ما هو بالقوة إلى وجود بالفعل عن طريق وعي الإنسان بذاته، أو معرفته لنفسه أو اختياره لذاته)^(٢). (لابد للأخلاق أن تحول المثال إلى واقع، فحركتها ليست مخصصة للارتفاع بالواقع إلى مرتبة المثال، إن الأخلاق تشير إلى المثال كعمل ومهمة، وتفترض أن الإنسان يمتلك الشروط المطلوبة لإنجاز هذا العمل. وعندما يأخذ الإنسان على عاتقه تحقيق هذا العمل يصبح إنساناً حقاً)^(٣) (...أعني أنه لم يعيش كما ينبغي للذات البشرية فيمارس حريته، ويختار وينتقي، ويرفض، وتكون أفعاله وتصرفاته وسلوكه هي في النهاية شخصيته)^(٤).

٢- قال هيدجر :

(١) راجع: بول فولكيه (هذه هي الوجودية) ص ٨٤.

(٢) كيرك جوردن - إما - أو - ج ١ ص ٢٦٣.

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٨ وراجع أيضاً: عبدالرحمن بدوي (دراسات في الفلسفة الوجودية) ص ٥٥.

(٤) كيرك جوردن: (المرض حتى الموت) ترجمة: إمام عبدالفتاح. دار الثقافة القاهرة ١٩٧٥ ص ١٨٦.

(إن القيم أوهام من صنع الذات التي تستعيز عن وجودها بهذه القيم أو الأوهام، وغرابة الإنسان لانتشاً إلا عندما تبتلعه هذه الأوهام الذاتية)(١).

٣- ويقول لويس لافل :

(إن قيمة كل إنسان تتوقف طردياً على درجة حرته، وهذه الحرية نفسها ليست سوى بحث عن القيم، وسعي وراء الممكنات وجهد متواصل من أجل العمل على تحقيقها، فالحرية تعبر عن قدرة المرء على العودة إلى ينبوع نشاطه، والرجوع إلى مصدر فاعليته، وهذا ينبوع نفسه هو مصدر كل شيء لأنه أصل كل ما في الوجود، وإذا كان لانيو(٢) يقرر أن القيمة لاتظهر إلا في اللحظة التي تتعقل فيها الذات حرته الخاصة، فإن في استطاعتنا أن نقول إن هذا التعقل نفسه (أعني التأمل العقلي) تعقل فعال يتسم بطابع الفعل والتحقق، ومن هنا فإن من الواجب أن ننسب إلى الشخص الإنساني قيمة كبرى، لأن هذا الشخص هو الحرية نفسها. وإنما يجب أن نضع الحرية نفسها فوق سائر القيم إذا أردنا لها أن تكون قادرة على الخير والشر معاً ... فالقيمة هي سر الحرية)(٣).

٤- يقول سارتر:

(إن حريتي هي الأساس الفريد للقيم، ولا شيء على الإطلاق يبرر اعتناقي لهذه القيمة أو تلك، أو لهذا السلم من القيم أو ذاك، فأنا الموجود الذي توجد

(١) مارتن هيدجر (مالميثافيزيقيا) ترجمة: محمود رجب. دار الثقافة ١٩٧٤ ص ٤٠٢.

(٢) لانيو جول: (١٨٥١-١٨٩٤) فيلسوف فرنسي من دعاة الفردية والانانية. راجع معجم الفلاسفة جورج طرابيش. دار الطليعة بيروت ص ٥٣٠-٥٣١.

(٣) لويس لافل. نقلاً من كتاب (مشكلة الحرية) د. زكريا إبراهيم مكتبة مصر ص ٢٠٩-٢١٠.

بواسطته القيم، ولكن باعتباري كذلك لا أجد مبرراً أو عذراً لي، فأنا أساس القيم الذي لا أساس له، وهذا ما أعانيه من القلق الذي هو إدراك منعكس للحرية بواسطة نفسها، وقلقي يشتد حين أدرك أن القيم لا يمكن أن توجد دون أن توضع موضع التساؤل، لأنني أعرف نفسي حراً أي قادراً على قلب سلم القيم^(١) (فأنا الموجود الذي توجد بواسطته القيم ولكني - باعتباري كذلك - لا أجد مبرراً أو عذراً لي فأنا أساس القيم الذي لا أساس له)^(٢) (فالقوانين الخلقية تقوم على أساس ما يتخذه الإنسان من قرارات في الحياة، ولا تستمد من أي إلهام غيبي)^(٣) (وما دمتنا قد الغينا وجود الله الأب وكان هو المبدع القديم للقيم، فلا بد أن يكون هناك آخر يحل محله ويبدع القيم، وقد اخترنا أن نبدع القيم)^(٤) (كل فرد هو عالم قائم بنفسه، يضع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه، فيختار الإباحة إن شاء أو يختار النسك والزهادة... فهو المسئول عما يصيبه من جراء إباحيته أو جراء نسكه وزهده)^(٥) (لأن إرادة الأخلاق وإرادة الحرية شيء واحد، وإن فالأخلاق الوجودية هي الحرية المطلقة من كل قيد وكل خلق، تبعاً للتحرر من كل دين وأي إله ولأن خمرة اللامعقول وخبز اللامبالاة هما اللتان تؤلفان عظمة هذا الإنسان التافه كما يجب أن نقول)^(٦).

(١) سارتر (الوجود والعدم) ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) سارتر (الذباب) ص ٣٧.

(٤) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ٦٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٦) سارتر (الوجودية والعدم) ص ٦٦ و (الوجودية مذهب إنساني) ص ٨٢-٨٥.

ثالثاً : مناقشة مفهوم الأخلاق عند الوجوديين وأقوالهم

سعى الوجوديون إلى تدمير الأخلاق، وتغليب اللذات والشهوات فحطموا القيم الخلقية بالانفتاح على الحرية المطلقة رغم ان بعضاً منهم قد تحدث عن الآفاق الأخلاقية ورأى من الممكن قيام تحليل نفسي وجودي بمثابة وصف أخلاقي إلا ان هذه الأخلاق عليها مآخذ منها:-

١- الأخلاق الوجودية لامصدر لها فهي خالية من أي مصدر وتنكر الدين بوصفه مصدراً للأخلاق وهذا - في حد ذاته - تدمير للأخلاق، وفتح لباب الشر والفوضى والانحلال والفساد للفرد، والانهيال للمجتمعات. وتتجلى عظمة الدين الإسلامي حين جعل الأخلاق شريحة من شرائح الدين وشرعة من شرائعه، تقوم به وتستمد منه، ولا تنفصل عنه، والأخلاق التي تنكر الدين بوصفه مصدراً لها، يحمل على وصفها بأنها عادات صنعها المجتمع. ومن هنا لا يمكن التمييز بين الأخلاق التي مصدرها الدين، والعادات والتقاليد التي مصدرها المجتمع، وبين الأخلاق التي تقوم على أساس الثبات، والعادات التي تقوم على أساس التغيير. يقول الأستاذ أنور الجندي : (وبذلك وضع الإسلام نظاماً للقيم يختلف في كثير من عناصره ومواده عن الأنظمة التي عرفتتها حضارات الرومان والفرس، والأديان السالفة، وبذلك نحى النفس الإنسانية وحماها عن اخطار كثيرة: أولاً: حماها من اخطار الزهادة، واحتقار المادة، وقتل النفس وحرمانها من الملهذات التي اباحها الله لها.

ثانياً: حماها من إسراف اللذات والشهوات وتدمير الأجساد والمجتمعات نتيجة لضعف قدرة قادتها على حمايتها والدفاع عنها.

ثالثاً: رفع النفس الإنسانية عن العبودية لغير الله، ونحائها عن أن تستعبد لها

الشهوات واللذات، أو يستعبدتها الحكام وأصحاب الرئاسات على النحو الذي عرفته المجتمعات اليونانية والرومانية والفارسية القديمة التي كانت ترى كل ما سوى الأمراء عبيداً وخداماً، وإقطاعاً وملكاً خاضعاً للقتل والإذلال دونما رحمة ولا كرامة^(١).

٢- الأخلاق الوجودية بعيدة - كل البعد - عن الأهداف والغايات التي تحقق المصلحة العامة للفرد والجماعة، ففي الوجودية كل فرد له أهداف خاصة، دون أن يكون له موجه من كتاب أو سنة لينير له دروب الحياة المظلمة، وبذلك دعت الوجودية إلى قمة الأنانية، وإلى الكسل والخمول والكآبة والقلق والجبن والضعف والفسق والشذوذ، وغير ذلك من الصفات التي تؤدي إلى تقطيع العلاقات بين البشر بعضهم مع بعض، والتي بينهم وبين الله الخالق، مما يؤدي إلى قيام مجتمعات محطمة بلا أخلاق.

٣- الأخلاق الوجودية أمور اعتبارية نسبية لاثبات لها فهي تختلف من فرد إلى فرد، ومن شعب إلى شعب، ومن زمان إلى زمان، فالأخلاق عندهم مفاهيم اعتبارية يتواضع عليها كل فرد وحده، وليس لها ثبات في حقيقتها، وليس لمقاييسها ثبات، وهذه مغالطات تؤدي إلى مد عنوان الأخلاق مداً يشمل التقاليد والعادات والآداب، إلى غير ذلك من أمور ليست هي من الأخلاق أصلاً، والهدف من ذلك نقض الأخلاق كلياً ونقض الأسس الأخلاقية، وبذلك يسهل عليهم إفساد الأجيال حتى تتمرد على جميع الضوابط الأخلاقية، التي تمثل في الأمم قوى ترابطها وتماسكها

(١) أنور الجندي: قضايا العصر ومشكلات الفكر ص ١٦٠-١٦١.

وعناصر ارتقائها الإنساني^(١).

٤- فصلت الوجودية الأخلاق عن المجتمع والحياة مما أدى إلى التمزق والضياع الذي يشهده العالم الغربي، وما جره هذا التمزق من الاضطراب النفسي والكآبة والضياع والزهد والرهبنة وتعذيب النفس وغيرها من الأمراض الاجتماعية.

٥- ضرب الوجوديون بالتروي والتدبر والتعقل في أي عمل أخلاقي عرض الحائط بدعوى أنها مجرد خداع للنفس، لأنه كيف يتسنى للإنسان أن يحكم على البواعث والدوافع حكماً صحيحاً، في حين أنه هو الذي يخلع عليها ما لها من قيمة قبل كل تدبر عقلي وهذا في حد ذاته دافع للفوضى والمشاكل، والقضاء على مكارم الأخلاق.

٦- يهدف الوجوديون بدعواهم أن الحرية هي الأساس الفريد للقيم بمنع أي سلطة أو قواعد تفرض على الإنسان سلوكاً معيناً أو تصدر إليه الأوامر وعدم وجود أي مبرر لاعتناق قيمة خلقية دون الأخرى وبهذا يتبين حكمة التشريع الإسلامي حين قرر أفراد شرع الله وكتابه كمصدر وحيد لمعرفة الخير والشر والفضائل والرذائل، وسائر النظم الاجتماعية، لأن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بعلم الغايات والأسباب والعلل القصوى للأحداث والأفعال والأشياء، وهو الحق فأوامره التشريعية هي الحق والخير والفضيلة.

٧- جرد الوجوديون الأخلاق من فكرة الإلزام، والواجب، والضمير الخلقى، وهذه أخطر المحاولات التي صنعت فكرة الضياع والقلق والتمزق، والحق

(١) راجع: عبدالرحمن حسن حنكة (الأخلاق الإسلامية وأسسها) ج ١ دار القلم بيروت ص ٩١-٩٨.

أن الأخلاق لا توجد كقوة فاعلة في المجتمع دون فكرة الإلزام، إيماناً بأن الإلزام هو العنصر الأساسي أو المحور الذي تدور عليه قضية الأخلاق، والواضح أن زوال فكرة الإلزام يقضي على جوهر الحكمة العلمية التي تهدف إليها الأخلاق، فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسؤولية وإذا انعدمت المسؤولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه وإقامة أسس العدالة^(١)

٨- الأخلاق الوجودية ترتبط بالفرد فقط، وليس لها أي علاقة بالمجتمع، مما نتج عنه الصراع الكبير بين الفرد والمجتمع وبهذا تتجلى حكمة الدين الإسلامي حين ربط الأخلاق بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، وهي تمثل القاسم المشترك لكل روافده من سياسة واقتصاد وأدب وعلم وتربية^(٢).

٩- أنكرت الوجودية محصول البشرية من القيم والتجارب، ودعت إلى أن يبدأ الإنسان من جديد، فاحتقرت العلم والدين والأخلاق، ودعت إلى التحلل من القواعد الأخلاقية فأوجدت جيلاً يتخلق بالأخلاق المريضة كالقلق والقنوط والتشاؤم والرغبة في الموت والغموض، والأنانية المفرطة مما أدى إلى تقويض المجتمعات وهدم الأمل والخلق والغيرة، ومعارضة الشجاعة والتضحية^(٣).

١٠- دعت الأخلاق الوجودية إلى الإباحية، وعارضت الضوابط والالتزامات الأخلاقية ووصفتها بأنها حرمان وكبت. وقد استمدت هذه الدعوى من

(١) راجع: أنور الجندي (قضايا العصر ومشكلات الفكر) ص ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق ص ١١٤.

(٣) راجع: أنور الجندي (الإسلام والدعوات الهدامة) ص ١٩٤.

الفلسفة اليونانية الوثنية التي عرفت (بالأبيقورية)^(١) والتي ترمي إلى أن اللذة الجسمية هي الغرض الأسمى من الحياة، وبذلك أخرجت الوجودية الأخلاق عن مفهومها الطبيعي، بوصفها الجدار القوي الذي تقف عنده مطامع الإنسان وأهوائه، والحائل دون تدمير الفرد لنفسه . وكان من أخطر دعوات الوجودية الأخلاقية الإباحية تحريض الإنسان على الاندفاع نحو مطالب الغريزة وأهوائها، وإطلاق يده نحو عمل كل ما يريد، وبذلك سقط الإنسان في هوة خطيرة وأزمة كبرى هي أزمة القلق والضياع والفوضى والاضطراب التي تمر بها البشرية في الغرب في هذا العصر^(٢) وبعد أن عرفنا مفهوم الأخلاق عند الوجوديين أختتم حديثي بهذا الفصل عن الأخلاق الإسلامية أهميتها وخصائصها وأثرها على الفرد والمجتمع.

(١) نسبة إلى أببيقور الذي نشأ بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد في جزيرة ساموس على مقربة من شواطئ آسيا الصغرى وقد علم تلاميذه أن الآلهة موجودة ولكنها مشغولة بسعادتها عن شئون الدنيا. ولا فرق عنده بين الأرباب والمخلوقات. راجع: د. إبراهيم خليل (مقارنة الأديان) دار المنار ص ١٨.

(٢) راجع: أنور الجندي (الإسلام والدعوات الهدامة) ص ١٧٦-١٧٧.

رابعاً : الأخلاق في الإسلام**أولاً : أهمية الأخلاق**

الأخلاق في الإسلام تعنى افراد الله بالعباده فلذا تعتبر جوهره وروحه السارية في جميع جوانبه ولها المكانة الرفيعة والأهمية العظمى التي تتجلى بما يلي:

١- أن الرسول ﷺ حصر غاية دعوته في إكمال البناء الأخلاقي الذي بداه من سبقه من الرسل الكرام حيث قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (١) مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى:

﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ (٢).

٢- الأخلاق الإسلامية هي ثمرة من ثمار هذا الدين، ولذا عرف الدين بأنه حسن الخلق، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال ما الدين يا رسول الله؟ فقال (حسن الخلق) (٣).

٣- الخلق الحسن هو خير برهان، وأفضل علامة على التفاضل بمدى صدق الإيمان، واكتماله في النفوس، ففي الحديث قيل يا رسول الله: أي المؤمنين أفضل فقال ﷺ (أحسنهم أخلاقاً) (٤).

٤- مما يدل على أهمية الأخلاق أن الله مدح رسوله ﷺ بحسن الخلق قال

(١) رواه أحمد في سنده ٢٨١/٢ ومالك في الموطأ ٦٥١.

(٢) سورة البقرة آية ١٥١.

(٣) رواه الديلمي عن أبي سعيد الخدري بلفظه الإسلام حسن الخلق. كنز العمال ٥٢٢٥/١٧/٣

(٤) رواه أحمد في مسنده ٣٨٥/٤ ورواه الطبراني في الأوسط. والترغيب والترهيب ٨٤/٥

تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) وقال سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢) وقال ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣).

٥- اهتمام القرآن والسنة بالأخلاق فالآيات القرآنية والتوجيهات النبوية المتعلقة بموضوع الأخلاق أكبر دليل على أهميتها، فمنها ما يدعو إلى الاتصاف بالطيب منها، وبيان ما يستحقه من ثواب، ومنها ما يدعو إلى ذم المتصفين بمرذول الأخلاق وبيان ما يستوجبه سوء الخلق من المقت والعذاب. قال الله تعالى ﴿وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٤) وقال تعالى ﴿وَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٥) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٦) وقال تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٧) وقال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٨) وقال ﷺ ﴿إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعَوْا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحَسَنُ الْخُلُقِ﴾^(٩) وقال

(١) سورة القلم آية ٤

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨

(٣) سورة آل عمران ١٥١

(٤) سورة الفرقان آية ٦٣

(٥) سورة الشورى آية ٤٧

(٦) سورة التوبة آية ١١٩

(٧) سورة الحجرات آية ١١

(٨) سورة فصلت آية ٣٤

ﷺ (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن) (١).

- ٦- الأخلاق الأساسية كما هي عنصر أساسي في بناء شخصية الفرد وتكوين عضو صالح فهي كذلك عنصر أساسي في شخصية الأمة بأسرها.
- ٧- للأخلاق أثر قوي في بناء المجتمعات وفي كسب المعارك وهي عنوان الأمة وحياتها ومصدر عزها وسؤدها.

ثانياً - خصائص الأخلاق الإسلامية

للأخلاق الإسلامية خصائص عديدة منها:

١- ارتباطها بالعقيدة:

تستمد الأخلاق الإسلامية من العقيدة، والدين هو أساس الأخلاق ومصدر نموها بل هو الرقيب عليها، والمقوم لها إذا انحرفت أو تأثرت بالأهواء والمصالح المادية أو الشخصية كما هو حال أخلاق الوجوديين التي قامت على أساس منهار من المنفعة والمصالح فدمرتهم ودمرت غيرهم (٢).

٢- تكامل الأخلاق الإسلامية وشمولها:

أقر الإسلام شمول الأخلاق وتكاملها واتساعها، فلها الأثر البالغ في جميع مجالات الحياة، ففي مجال النفس نجد التقوى والقناعة، وفي مجال أخلاق الفكر نجد الاستقامة والوضوح والصراحة، وفي مجال أخلاق المعاملة نجد احترام العقود وأداء الأمانات والسماحة والتيسير على المعسر، وفي مجال الحكم العدل والمساواة وفي مجال أخلاق الأسرة أمر كل فرد

(٩) رواه أبو يعلى والبزار من أحدهما حسن جيد . الترغيب والترهيب ٨٥/٥

(١٧) رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح ٣٦٢/٤

(١٨) راجع:عبدالكريم زيدان (أصول الدعوة) مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠١هـ ص ٨٩

بإصلاح أسرته، وفي مجال أخلاق المجتمع بث الشعور الاجتماعي والتكامل الاجتماعي في نفوس المجتمع. وأما الأخلاق في ظل الحضارة الأوربية المعاصرة، فهي إن وجدت اقتصرت على جوانب معينة من الحياة، وتحكمها في وجودها في تلك الجوانب الأنانية والنفعية، لذلك فصلوا السياسة عن الأخلاق، وليست فضاء السياسيين الأخلاقية التي تحدث على أعلى المستويات، وفي أرقى البلدان كفضيحة «ووترجيت»^(١) أو تزوير الانتخابات إلا أكبر دليل وبرهان.

وفصلوا الأخلاق عن الاقتصاد، فنشأ الاقتصاد القطاعي العالمي فلاستغلال مباح، ونهب الخيرات جائز، وتجميد الأرصدة مشروع، واختلاق الأزمات الخائفة مبرر مادام لأساطين الأنظمة المادية في ذلك نفع، وفصلوا الأخلاق عن الجنس، فالزنا والبغاء العلني، والشذوذ حرية شخصية لاتمس الجانب الخلاقي، فليس في معاقرة الخمر، وتعاطي المخدرات، ومصاحبة الساقطات، مايمس شرفاً أو كرامة لمواطن في ظل الجاهلية المادية الغربية^(٢).

٣- اعتماد الأخلاق الإسلامية على عناصر وقيم ثابتة:

القيم الأخلاقية في الإسلام كالصدق والوفاء والأمانة والعفة والايثار، إلخ كلها قيم ثابتة مهما تطورت الحياة، وتقدم العلم، وارتفعت الحضارة، فلا تتغير ولا تتبدل تبعاً للظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، وهي تقيم الحواجز المتينة ضد الفوضى والظلم والشر. الأخلاق الإسلامية

(١) قضية تجسس على الحزب المعارض وبها سقط الرئيس نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة.

(٢) راجع: د. محمد عقله (النظام الأخلاقي في الإسلام) مكتبة الرسالة عمان ١٤٠٧ ص ٥١

ثابتة لأنها نابعة من الدين. وصالحة لجميع الناس، تبث الطمأنينة في حياة الفرد وفي حياة المجتمع، بخلاف الوجودية التي نادت بنسبية الأخلاق، وعدم ثباتها فبثت الفوضى والقلق والاضطراب واليأس والكآبة^(١).

٤- واقعية الأخلاق الإسلامية:

ما أجمل واقعية الأخلاق الإسلامية، فهي بعيدة كل البعد عن الخيال وبمقدور كل مسلم أن يتحلى بها، وتأصيلها في نفسه بحيث تصبح جزءاً لا يتجزأ من حياته، كما راعت الأخلاق الإسلامية حالة الفرد وحالة المجتمع فاعترفت بالضعف البشري، وبالذواضع البشرية، وأقرت التفاوت الفطري والعمل بين الناس، فليس الناس سواء في قوة الأيمان، وراعت الظروف الإستثنائية فمثلاً حرم الإسلام الكذب من حيث المبدأ، ولكنه أباحه في مواطن تقتضيها الضرورة الدينيه كالحرب، والكذب لإصلاح ذات البين، لأن المصلحة المتوخاة من الكذب تفوق منفعة الصدق^(٢).

٥- إعتدال الأخلاق الإسلامية ووسطيتها:

المطلع على الأخلاق الإسلامية يدرك أنها تأخذ طابعاً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط، فأخلاق الإسلام وسط بين المثالية والخيالية، تعتمد على المعقولية والتعليل، ومخاطبة العقول والإدراك السليم، واستثارة الوجدان النبيل، فالإسلام وهو يأمر بالخير لايجعل ذلك مطلقاً دون تعليل أو ترغيب، ولم ينهنا عن الشر دون تحذير أو ترهيب، ويعمل ما يدعو إليه، وينهى عنه بالحكم والمصالح المترتبة عليها في الدنيا والآخرة تفصيلاً

(١) راجع: د.عبدالله دراز (دستور الأخلاق في القرآن) مؤسسة الرسالة ط ١٤٠٢ ص ٦٨٩

(٢) راجع: د. يوسف القرضاوي (الخصائص العامة للإسلام) مكتبة وهبة القاهرة ط ١٤٠١

تارة وإجمالاً تارة أخرى(١).

ثالثاً - أسس الأخلاق الإسلامية

تقوم الأخلاق الإسلامية على أسس هامة، تبعث على التمسك بها، والعمل

على هدي من مبادئها في سائر شئون الحياة العامة والخاصة. وهى مايلي:

١- الأساس الاعتقادي:

يقوم هذا الأساس على ثلاثة أركان هى:

أ - الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، والذي أحاط بكل شيء علماً.

ب - الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وعرفه بنفسه وبين له طريق الخير وطريق الشر، عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام وخلق في الإنسان القدرة على إدراك الحقائق لذا كلفه باتباع الحق والابتعاد عن الباطل.

ج - الإيمان باليوم الآخر وأن الحياة الآخرة هى الحياة الباقية، وأن الحياة الدنيا هى طريق للحياة الآخرة التي يكافأ فيها الإنسان على ما قدم لهذا أقول إن الإيمان القوي يلد الخلق القوي، كما أن انهيار الأخلاق يرجع إلى ضعف الإيمان أو فقدانه(٢).

٢- الأساس الكوني :

القوانين الأخلاقية، واقعية ثابتة مستمرة ، وقد وضع الإسلام للإنسان إطاراً أخلاقياً على ضوء معرفته بالطبيعة الإنسانية، وأنها مكونة من الروح

(١) المرجع السابق ص ١٢٤-١٢٦

(٢) راجع: مقدار يالجن (الاتجاه الأخلاقي في الإسلام) مكتبة الخانجي ص ١١٩-١٢٢.

والمادة، وأن حياة الإنسان السعيدة لا تتحقق إلا بتلبية حاجاته المادية والروحية على حد سواء حتى لا يكون أسيراً للمادة، ولنوازع الطبيعة البشرية. وفي ظل هذه المعرفة يبرز الارتباط بين الأخلاق والعلوم المختلفة مما يجعل منها أساساً صالحاً للبناء الأخلاقي ومن ذلك:

١- ارتباط الأخلاق بعلم الحياة، ويتجلى ذلك في قانون المحافظة على الحياة، حيث يعتبر الإسلام كل سلوك يحافظ على الحياة الإنسانية ويمنعها الاستمرارية يعتبر سلوكاً أخلاقياً، وما عداه سلوكاً لا أخلاقياً، ومن هنا حرم الإسلام القتل والانتحار، والتهديد وإخافة الناس لأنها أمور لا أخلاقية تعوق الحياة وتهدمها.

ب - ارتباط الأخلاق بالعقل فحرم الإسلام مثلاً شرب الخمر وغيره من المسكرات والمخدرات حفاظاً على الطاقة العقلية من تبدها وضياعها هدرًا.

ج - ارتباط الأخلاق بعلم النفس، فدعا الإسلام إلى مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وبحسب الفروق الفردية بينهم في الذكاء والعلم والظروف والبيئات ودعوته إلى الرحمة بالحالات التي تستدعيها من طفولة وشيخوخة ويتم ومرض.

د - ارتباط الأخلاق بالصحة فدعا الإسلام إلى النظافة كأسلوب وقائي ضد المرض، وحث على عدم الإسراف في الطعام والشراب، ونهى عن الإرهاق

د - ارتباط الأخلاق بالصحة فدعا الإسلام إلى النظافة كأسلوب وقائي ضد المرض، وحث على عدم الإسراف في الطعام والشراب، ونهى عن الإرهاق في العمل بصورة تفضي إلى الإجهاد والمرض^(١).

٣- الأساس الإلزامي:

يعتبر الإلزام من أهم أسس الأخلاق في الإسلام، فالإنسان مكلف في هذه الحياة وله أمانة ورسالة وله حرية الإرادة التي تحكم عمله، وتكون مناط الجزاء، وبناءً على هذا تكمن أهمية الإلزام. والإلزام الأخلاقي عام وشامل، وينطبق على الناس جميعاً ويعتمد الإلزام على المصادر التالية:

أ - الوحي: فالدين يدل الإنسان على الخير والأخلاق الحميدة.

ب - الفطرة: فالإنسان يستدل على الأخلاق بفطرته السليمة.

ج - العقل: فهو الذي يرشد الإنسان إلى الأخلاق الحميدة.

أما رفض الوجودية لقيم الإلزام، فهذا أخطر مقوماتها، وأخطرها معارضتها للفطرة الإنسانية وللدين الحق، وهي حين ترفض الإلزام ترفض كل ما يضبط الشخصية الإنسانية، ويحميها ويرتفع بها ويقيم لها وجودها الحق، وهي بذلك تدفع الإنسان إلى أهوائه لتدمره وإلى مطامحه لتحطمه، وبذلك تتجاوز الوجودية حدود الحرية وضوابط المجتمع إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، والعودة بالإنسان إلى عهد الهمجية

(١) راجع: مقدار يالجن (الإتجاه الأخلاقي في الإسلام)، ص ١٢٤-١٢٥

وشريعة الغاب(١).

٤- المسؤولية:

الشعور بالمسئولية الأخلاقية من الأسس الهامة في نظر الإسلام ومعناها تحمل الإنسان نتائج التزاماته وقراراته واختياراته والإنسان بهذا الإلزام يمتاز عن بقية الكائنات بالمسئولية لأنه عاقل مريد، وهما صفتان لازمتان للوجود الإنساني في حالة كماله، إنه لا يوجد مخلوق في هذا الكون يشبه الإنسان حيث تحمل أكبر مسئولية ناءت بحملها السموات والأرض، والقيام بهذه المسئولية شرف للإنسان، وكلما كانت أكبر نال من عمل بها شرفاً أكبر(٢).

٥- الجزاء:

الجزاء من الأسس الأخلاقية الهامة، فالإنسان حر وهذه الحرية تستلزم المسئولية الكاملة عما يختاره وينفذه، وهذه المسئولية تستلزم الجزاء، إما عاجلاً في الدنيا وإما أجلاً في الآخرة، لهذا فالجزاء هو ما يجب أن يناله الإنسان بحكم عمله الحر الناتج عن إرادة واختيار إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وقد يكون الجزاء مادياً أو معنوياً، مباشراً وغير مباشر، عاجلاً أم أجلاً(٣).

والآن بعد أن تعرفنا على نظرة الوجوديين للأخلاق، ومفهوم الأخلاق في الإسلام، ننتقل إلى الفصل الرابع، (نظرة الوجوديين إلى القلق).

(١) راجع: أنور الجندي (معلمة الإسلام) ص٣٧٢-٣٧٣

(٢) راجع: محمد عبدالله دراز (دستور الأخلاق في القرآن) ص٤٢١-٤٢٢

(٣) راجع: مقداد يالجن (الاتجاه الأخلاقي في الإسلام) ص٢٦٨-٢٦٩.

الفصل الرابع

نظرة الوجوديين إلى القلق

ويشتمل على أربعة مباحث

أولاً مفهوم القلق الوجودي.

ثانياً أقوال الوجوديين في القلق.

ثالثاً مناقشة مفهوم الوجوديين للقلق وأقوالهم.

رابعاً موقف الإسلام من القلق.

الفصل الرابع

نظرة الوجوديين إلى القلق

أولاً - مفهوم القلق الوجودي

للقلق أهمية خاصة في الوجودية، وهو عنصر من عناصرها بل هو أهم المفاهيم الأساسية التي قامت عليها الوجودية، فقد وسع الوجوديون نطاق المسؤولية، فلم يقصروها على الشخص نفسه، بل جعلوا مسؤولية الفرد تتعدى إلى الناس جميعاً فنتج عن ذلك القلق الذي هو حالة نفسية صحية للإنسان الوجودي وله تعريفات عديدة منها:

- ١- حالة نفسية غير سارة من التوتر العصبي تدل على أن المريض يتوقع خطراً في اللاوعي.(١).
- ٢- هو علامة ظاهرة لصراع مستمر في أعماق اللاشعور(٢).
- ٣- صراع ناتج عن فقدان التوازن، من فشل في التكيف(٣).
- ٤- حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يمتلك الإنسان ويسبب له كثيراً من الكدر والضيق(٤).
- ٥- شعور غامض غير سار بالتوقع والخوف والتحفز والتوتر ومصحوبة عادة ببعض

(١) راجع: الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ١٣٩٢

(٢) راجع: د.معمّر خالد (الأمراض النفسية الشائعة) ص ٣٣

(٣) راجع: د.أبو مدين شافعي (القلق) سلسلة القراء.

(٤) راجع: د.عثمان نجاتي (مقدمة كتاب القلق) ص ٣

الاحساسات الجسمية يأتي في نوبات تتكرر من نفس الفرد(١).

ثانياً - أقوال الوجوديين في القلق

١- أقوال كيرك جورد

«القلق هو الرغبة فيما يخشاه المرء، إنه نفور مع تعاطف، القلق هو القوة الغريبة التي تمسك بزمام الفرد، ولا يستطيع منها فكاكاً وهو لا يريد ذلك، لأن الفرد خائف، لكن ما يخشاه الفرد ينجذب نحوه، القلق يجعل الفرد بلا حول ولا قوة»(٢) ويقول أيضاً «القلق هو مواجهة الذات لمستقبلها المليء بالإمكانات المختلفة التي يمكن أن تتحقق من خلال حرية الذات وهي تتخذ القرار»(٣). ويرى كيرك جورد أن الإنسان مادام حراً في عملية الاختيار فإن ذلك يعني قدرته على اختيار الشر، وهذا هو المصدر الأول للقلق - على حد زعمه - أما المصدر الثاني للقلق فهو ينبع من أن هذا الاختيار الذي يقوم الإنسان بممارسته يؤدي إلى مفترق طرق حتى أنه يشعر دائماً أن ماهو في خطر حقيقي هو خلاصنا الأبدي أو هلاكنا الأبدي. والمصدر الثالث. يكمن في صعوبة التفرقة بين الخير والشر(٤).

٢- قال عنه بيرد يائيف

«القلق شوق إلى عالم آخر .. إلى ماهو عبر حدود عالمنا المتناهي إنه يدعو إلى العزلة .. في مواجهة التعالي .. إنه نقطة الصراع الأعظم بين وجودي في هذا العالم

(١) راجع: د. أحمد عكاشة (الطب النفسي المعاصر) ص ٤١

(٢) كيرك جورد (يوميات) ص ٧٩-٨٠

(٣) كيرك جورد (المرض حتى الموت) ص ٢٢٢

(٤) راجع: د. إمام عبدالفتاح إمام (كيرك جورد) ج ٢ ص ٢٣٠

وبين المتعالي، ويستطيع القلق أن ينبه وعي بالله ولكنه يمكن أن يعني هجران الله لي، إنه يتدخل بين المتعالي وبين هوة اللاوجود هوة العدم. أما الخوف والضجر فيقصران على الوجود الأرضي، الخوف دليل على الخطر الآتي من العالم الأدنى، والضجر يشير إلى تفاهة هذا العالم وخوائه، وما من شيء أدعى إلى القنوط واليأس من الفراغ المتعب الممل للحياة، والقلق يسمح بالأمل»^(١).

٣- ويقول هيدجر:

«قد ألقى بنا في العالم عزلة لا مأوى وبلا أمل في الاتصال»^(٢) «إننا نوجد ولا ندري سبباً لوجودنا ومن ثم نحن وجود بلا ماهية»^(٣) «إذ نشعر بأننا نحن وكل الأشياء والأحياء قد انزلقنا في هاوية غامضة غير محددة، فتبدو لي غريبة لاهتم بها، إنها لاتنعدم ولكنها فقدت كل معنى وأضحت خلواً من كل معنى يثير الاهتمام»^(٤) «والقلق من الموت هو مايشعرنني بالفردية إلى الحد الأعلى من الشعور»^(٥).

٤- ويقول سارتر:

«إن الوجود ليعلن صراحة أن الإنسان يحيا في قلق ويكابد القلق»^(٦) «إن القلق شيء إنساني يمليه على الإنسان وجوده كذات تعي مصيرها في الحياة وتتحمل

(١) بيرد يائيف (الحلم والواقع) نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) لطلعت غنام ص ٦٩

(٢) هيدجر نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الوهم الإنساني) د محمد الفيومي ص ١١٠-١١١

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(٤) هيدجر نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) طلعت غنام ص ٧٧

(٥) هيدجر نقلاً من كتاب (دراسات في الوجودية) عبدالرحمن بدوي ص ٧٩-٨٩

(٦) سارتر (الوجودية مذهب إنساني) ص ١٨

مسؤولية هذا المصير وعليه فإن الإنسان سيثابر على النشاط والإقدام في حياته ليتوصل إلى الأهداف التي يروم تحقيقها وهذا بدوره يقوده إلى الإبداع في شتى المجالات» (١) «ولأن الإنسان محكوم عليه بالحرية والحرية تقتضي الاختيار والاختيار يقتضي المسؤولية عما يختاره، وفي نفس الوقت لا يختار هذا الإنسان ولديه أي مبدأ للاختيار، فهو يختار دون معيار يستطيع بمقتضاه أن يتحقق ما إذا كان قد أحسن الاختيار أم لا؟ ومن ثم يشعر الإنسان بالقلق على اختياره» (٢) «وباختياره لنفسه فهو يخلق المثل، أو النموذج للإنسان كما يبدع القيم لنفسه فقط، بل للجميع أيضاً، فهو يشرع للإنسانية وبالتالي يتحمل مسؤولية الجنس البشري كله فكيف لا يشعر بالقلق والفرع حيال تبعه هذا الحد من العظمة والكمال» (٣).

ثالثاً - مناقشة مفهوم الوجوديين للقلق وأتوالمهم

١- إن ادعاء الوجوديين بأن قلقهم أمر طبيعي وذلك بسبب اختيار الإنسان له ولغيره ادعاء لامبرر له وغير معقول إذا السبب الحقيقي والذي لامناص منه أن قلقهم كان بسبب إنكارهم خالقهم وجحدهم للأديان، وعدم إيمانهم بالأمور الغيبية، وقصر نظرتهم على المادة فقط ونظرتهم التشاؤمية إلى الحياة وفكرتهم عن العدم ومنح أنفسهم الحرية المطلقة التي مضمونها الانغماس في الشهوات بلا حساب،

(١) سارتر نقلاً من كتاب (الوجودية فلسفة الواقع الإنساني) غازي الأحمد ص ٤٦

(٢) سارتر (الابواب المقفلة) ص ٩

(٣) سارتر نقلاً من كتاب (هذه هي الوجودية) بول فولكيه ص ٩١-٩٢

والانطلاق وراء المتع الحسية بلا حياء، والتحلل من عُرى الفضائل والأخلاق والقيم العليا، فأولدت بهذا المضمون خسارة جسيمة على البشرية وهزيمة منكرة للمعاني الإنسانية التي بها صار الإنسان إنساناً.

٢- مما يدل على فوضى الوجوديين وتناقضهم وحيرتهم أنه مادام الإنسان هو الذي يختار بحريته المطلقة فلماذا يقلق؟ ولماذا يخشى أن يسيء الاختيار مادام أنه لا توجد سلطة تفرض عليه اختياراً معيناً؟ وفوق ذلك مادام هذا الاختيار لا يتناول إلا اللحظة الراهنة، ويمكن زواله في نفس اللحظة فلماذا القلق والارتباب؟ إنه التناقض واللامعقول! يقول الأستاذ محمد غلاب:

«ومهما يكن من أمر فإن النتيجة العملية لهذا كله هي أن الإنسان منعزل في صحراء هذه الحرية، وبالتالي لا يستطيع أن يأمل في أي عون أو سند يعتمد عليه في هذه الحياة، بل إنه تجاه المستقبل الغامض يلقي بنفسه في حالة هجر تكبله بأغلال القلق الدائم، ولا غرابة فالقلق الدائم المضني هو النهاية المطبقة للوجودية الملحدة، ومما هو جدير بالاشفاق أن يفر الشباب من قلق الارتبابية والحيرة ليهوي في قلق الوجودية فيكون (كالمستجير من الرمضاء بالنار).»^(١).

٣- إن المتمعن في أفكار الوجوديين يقطع قطعاً جازماً أن هذا القلق والاضطراب والشك الذي يتقلب على جمره الوجوديون المنكرون وجود الله وحكمته وعدله ورحمته، وجزاءه في الآخرة ووحيه إلى رسله هذا الشك ليس بالأمر الهين إنه عذاب

(١) راجع: د. محمد غلاب (الوجودية المؤمنة والملحدة) الدار القومية ١٩٦٦ ص ٥٤-٥٥.

اليم، وكوة من النار، تلفحهم بها، وتشوي قلوبهم بحميها، وكلما خف لهيبها هبت عليهم عواصف الشك من جديد فاشتعلت النار ليزوقوا العذاب. إن هذا القلق أمر لامناص منه، إنه سيحرمهم سكون النفس، وهدوء الضمير، سيقض عليهم مضاجعهم، وينغص عليهم حياتهم، ويؤرق عليهم ليلهم، ويكدر عليهم نهارهم^(١) إنهم يعيشون كما قال الله تعالى ﴿معيشة ضنكاً﴾^(٢) ومع ذلك يتجاهلون هذا العذاب ويعلون أنفسهم بأن هذا القلق صفة لازمة للإنسان الوجودي.

رابعاً - موقف الإسلام من القلق

يعد القلق في الإسلام من الأمور العادية^(٣) التي تمر على الإنسان في السراء والضراء والخير والشر. قال تعالى ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾^(٤) وإن المؤمن بالله تعالى، المتبع لأوامره والمجتنب لنواهيه قد سلم من الشك والقلق، واستراح من البلبلة والحيرة الذهنية والنفسية التي يتجرعها الوجوديون. فإذا عرف الإنسان المؤمن مبدأه ومصيره وغايته ومهمته، بل عرف مبدأ الوجود كله ومنتهاه انحلت عقد الشك من نفسه وزالت علامات الاستفهام من حياته فإذا عرف ان له رباً - هو رب كل شيء - هو الذي خلقه فسواه وكرمه وفضله، وجعله في الأرض خليفة،

(١) راجع: د. يوسف القرضاوي (الإيمان والحياة) ص ١١٢-١١٥

(٢) سورة طه آية ١٢٤

(٣) الإسلام يعد القلق الارتياحي حاله مرضيه لايسلم منها إلا المؤمن. قال تعالى ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ وفي قراءه ﴿يهدأ قلبه﴾

(٤) سورة المعارج آية ١٩-٢٣

وكفل له رزقه، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وعرف أن هذه الحياة القصيرة التي يعيشها الإنسان ممزوجة الخير بالشر، والعدل بالظلم، والحق بالباطل، ليست هي الغاية، ولا إليها المنتهى، إنما هي مزرعة لحياة أخرى هي خير وأبقى، وعرف أيضاً أنه لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدى، فبعث الله إليه رسله بالبينات هداة ومعلمين، مبشرين ومنذرين ليهتدي الناس إلى الحق، فهذه المكاسب الهائلة التي غنمها المؤمن، واجتني ثمارها، وقطوفها الدانية، لا يقدرها حق قدرها من حرمها، أو تأمل بعين بصيرته حال من حرمها، فالجاحدون بالله وبلقائه يوم الحساب يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى، حياة كلها قلق وحيرة، كلها علامات استفهام، كلها أسئلة لا تجد لها عندهم جواباً^(١). هذا وقد أبان القرآن الكريم العلاج الحاسم في هذا الشأن وهو الالتجاء إلى الله والتقرب إليه، والاتصال به بالدعاء والصلاة، فالله سبحانه وتعالى هو المرجع والملاذ حين تضطرب الأنفس وينتابها القلق، فلا ملجأ إلا إليه سبحانه وتعالى للشعور بالأمن والراحة والاطمئنان. وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(٢) والواقع أن الحرمان من طمأنينة النفس وراحة القلب، وضيق الصدر والهم والغم كلها عقوبات نفسية نازلة بالوجوديين لا محالة، وهي نتائج لازمة بالكفر بالله واليوم الآخر، تقتضيها سنة الله

(١) راجع: د. محمد إبراهيم الفيومي (القلق الإنساني: مصادره - تياراته - علاج الدين له) مكتبة الانجلو

المصرية ص ٤٣٦-٤٤٥

(٢) سورة الرعد آية ٢٨

في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً. قال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾^(١) وقال تعالى ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾^(٢).

(١) سورة الانعام آية ١٢٥

(٢) سورة الحج آية ٣١

الفصل الخامس

الإنسان بين الوجودية والإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث

أولاً مفهوم الإنسان عند الوجوديين .

ثانياً اقوال الوجوديين في الإنسان .

ثالثاً مناقشة مفهوم الوجوديين للإنسان واقوالهم .

رابعاً مكانة الإنسان في الإسلام .

الفصل الخامس

الإنسان بين الوجودية والإسلام

أولاً - مفهوم الإنسان عند الوجوديين:

الإنسان عند الوجوديين إنه في منظورهم قبضة من تراب هذه الأرض، ومن الأرض نشأ وعليها يمشي، ومنها يأكل وإليها يعود!! هو كتلة من اللحم والدم والعظام والأعصاب، والأجهزة والغدد والخلايا، وما العقل والتفكير إلا مادة يفرزها المخ، كما تفرز الكبد الصفراء، أو كما تفرز الكلية البول^(١) فحصروا الإنسان في الوجود المادي فقط، وادعوا أنهم كرموه حينما جعلوا وجوده سابقاً على ماهيته، والعدم هو النهاية المقررة لهذا الإنسان فعليه استغلال حريته المطلقة بالانطلاق وراء المتع والشهوات.

ثانياً - أقوال الوجوديين في الإنسان:

١- قال عنه كيرك جورد:

«الإنسان مركب من المتناهي واللامتناهي، من النفس والجسد، من الزمان الأزلي من الضرورة والامكان. باختصار الإنسان مركب، والمركب علاقة بين

(١) راجع: د. إمام عبدالفتاح إمام (كيرك جورد رائد الوجودية) ج ٢ ص ٦٩

عاملين والإنسان بهذا المعنى ليس ذاتا بعد» (١).

«الإنسان روح لكن ما الروح؟ الروح هي الذات لكن ما الذات؟ الذات علاقة تربط نفسها بذاتها، لكن الذات ليست هي العلاقة وإنما تعتمد على أن تلك العلاقة تربط نفسها بذاتها الخاصة الإنسان مركب من المتناهي واللامتناهي من الزماني والأزلي، من الحرية والضرورة، باختصار الإنسان مركب والمركب علاقة بين عاملين، وإذا نظرنا إلى الإنسان على هذا النحو قلنا إنه ليس ذاتا بعد، وفي العلاقة بين عاملين تكون هذه العلاقة هي الحد الثالث، بوصفها وحدة سالبة والحدان يربطان نفسها بالعلاقة، وفي العلاقة، وبواسطة العلاقة، ومثل هذه العلاقة هي العلاقة القائمة بين النفس والجسد عندما ينظر إلى الإنسان على أنه روح، وإذا ما كانت العلاقة على العكس تربط نفسها بذاتها الخاصة، فإن العلاقة عندئذ تكون حداً ثالثاً إيجابياً وتلك هي الذات» (٢).

٢- ويقول كارل يسبرز:

«إن الإنسان هو المكان الذي فيه ومن خلاله يوجد كل شيء واقع بالنسبة لنا، وأن نقصر لأي أن نكون بشراً معناه أن تنزلق إلى العدم» (٣) «نعني الإنسان وحده في المحل الأول، وليس الإنسان وحده منفصلة مكثفية بذاتها،

(١) كيرك جورد (المرض حتى الموت) ترجمة إمام عبدالفتاح ص ٥

(٢) كيرك جورد (المرض حتى الموت) ص ١٤٦

(٣) كارل يسبرز (في الحقيقة) المجلد الأول من المنطق الفلسفي، ١٩٤٨، دار الثقافة، ص ١٢٠-١٢٣.

لكنه يتكون من الأشياء التي يجعلها ملكاً له، وهو في كل شكل من أشكال وجوده يحال إلى شيء ما خلاف نفسه، كموجود بالنسبة لعالمه، أو كوعي بالنسبة للأشياء، أو كالروح بالنسبة للفكرة أو كما هيه بالنسبة للتعالي. والإنسان يصبح دائماً إنساناً بأن يخلص نفسه حتى النهاية ولا يصير واقعاً بالنسبة لنفسه إلا من خلال ذوبانه في عالم الوجود ومن المكان اللانهائي للأشياء، وفي الأفكار وفي العلو»^(١) «الإنسان في اعتقادي أهم مخلوق في العالم، ونحن كبشر نريد أن نعرف حقيقتنا وماذا يمكن أن نكونه لكننا لو وجهنا اهتماماً أكثر من اللازم بالإنسان، كان اهتمامنا المستمر هذا محرراً لأن هذا الاهتمام أكثر من اللازم، يبدو فيه واضحاً أن الشيء الجوهرى في الإنسان قد تناسينا»^(٢).

٣- ويقول عنه بيرد يائيف:

«الإنسان ليس جزءاً من الطبيعة كما يزعم الطبيعيون بل كل ومحور لأنه على صورة الله وغاية بذاته لا واسطة»^(٣) «العالم كله مستقر داخل الإنسان، متشخص به ولا ينبغي اعتبار أي شيء خارجاً عنه، غير أن العالم الظاهري التجريبي كما يتبدى في الواقع أمامي ليس عالمي الخاص بل على العكس يفرض نفسه علي من الخارج، ويحرص على تحطيمي، ولست الكون المصغر

(١) كارل يسبرز (في الحقيقة) المجلد الأول من المنطق الفلسفي، ص ١٢٠-١٢٣.

(٢) كارل يسبرز نقلاً من كتاب (معنى الوجودية) عبدالمعتم الحفني ص ١٧٥-١٧٦.

(٣) بيرد يائيف نقلاً من كتاب (الصراع في الوجود) بولس سلامة ص ٤٢٣-٤٢٥.

الذي ينبغي أن أكونه، وحالة الإنسان الفعلية هي على نحو يجعل من شدة وعيه بنفسه مقياساً لعبوديته لعالم غريب عليه، وهو يثور على هذا العالم حتى يوقف مد ضغوطه المدمرة، وأنا لأملك في الواقع العالم والطبيعة والمجتمع التي تقف في مواجهتي، وما أملكه ضئيل غير ملموس بالقياس إليها ضئيل إلى حد أنه يفلت تماماً من ادعاءات الطبيعة والمجتمع والعالم بصورتها الإجمالية، ولا أوفق على الخضوع أو الاندماج إلا مع الطبيعة أو المجتمع الذي يستطيع أن ينفذ إلى نفسي ويصبح ملكي الخاص»^(١).

٤- ويقول عنه لويس لافل:

«يظهر الإنسان بدياً كأنه كائن مادي، ولكن الحياة المادية ليست وسيلة لنا نحصل بها على الحياة الروحية، ونحن لانلقي في الجسم مظهر الحياة إلا لإمكان اعطائنا الحياة أو الموت بهيئة حقيقية»^(٢) «الإنسان كائن منغمس في المادة التي تشخصه وتفصله، وهو مدعو إلى التغلب على هذا الحاجز لكي يرتفع نقاه الروحي الذي هو بمعونة أفعال ارادية يدع الإنسان نفسه على أنه روح في كينونته الخاصة والفردية»^(٣).

(١) بيرد ياثيف (الحلم والواقع) ترجمة فؤاد كامل مراجعة علي أدهم. توزيع المنشورات الجامعية طرابلس ص٣٠٦.

(٢) لويس لافل: عن الفعل ص١٥٦ نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) ص١٢٩.

(٣) لويس لافل: كتاب عن الفعل، ص١٥٦-١٥٧، نقلاً من كتاب (الوجودية بين اليأس والعدم) للدكتور طلعت غنام ص١٢٩-١٣٠.

٥- ويقول هيدجر:

«إن الموجود الذي يوجد على هيئة الوجود الماهوي هو الإنسان والإنسان وحده يوجد وجوداً ماهوياً، الصخر موجود لكنه لا يوجد وجوداً ماهوياً، الشجرة موجودة لكنها لا توجد وجوداً ماهوياً الفرس موجود لكنه لا يوجد وجوداً ماهوياً...الخ»^(١).

٦- ويقول سارتر:

«إن الإنسان يوجد أولاً، ثم يتعرف إلى نفسه ويحتك بالعالم الخارجي فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم يكن شيئاً وهو لن يكون شيئاً إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه وهكذا لا يكون للإنسانية شيء اسمه الطبيعة البشرية، لأنه لا يوجد الرب الذي تمثل وجود هذه الطبيعة، وحققتها لكل فرد طبقاً للفكرة المسبقة التي لديه عن كل، فأنت تكفي نفسك بنفسك حتى ليخيل إلى من يدانيك أنك خلقت نفسك دون معين»^(٢) «إن الإنسان يولد بلا سبب ويحيا عن ضعف ويموت بالمصادفة بل إن كل شيء موجود لامبرر له، موجود دون أن نعرف له سبباً ودون ضرورة تقتضيه أو تفسير يبرر ظهوره فكل شيء صار عفواً هذه الحديقة وهذه

(١) هيدجر (ما الفلسفة) ترجمة محمود رجب ص ٨٧

(٢) سارتر (الجدار) ص ٢١

المدينة وأنا نفسي»^(١) «إذا يبدو أن الإنسان هو الكائن الذي فتح باب العدم في العالم من حيث إنه من أجل هذه الغاية يتخذ صفة اللاوجود إنه الكائن الذي بواسطته يجيء العدم إلى العالم»^(٢).

ثالثاً - مناقشة مفهوم الوجوديين للإنسان وأقوالهم

١- إن ادعاء الوجوديين أن الإنسان موجود حسيًا موضوعيًا قائمًا على الأرض يملأ العالم المشاهد فقط ادعاء باطل لامبرر له، وحط من قيمة الإنسان، وقد أحسن الإسلام حين جعل الإنسان أشرف المخلوقات وأسمائها تحت حكم الله، وأن الله قد خلقه ونفخ فيه من روحه، وهو مزيج من روح ومادة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾^(٣) والفصل بين الروح والمادة من أخطر ما قدمته الوجودية من مفهومات عن الإنسان، بينما يقرر الإسلام تكاملها واتصالها دون متناقضات أو صراعات، فالقيم المادية وحدها لا تؤدي إلى تدين الإنسان لأنها تقتل خاصية أساسية فيه هي روحه ونفسه، ومن هنا كانت مأساة الإنسان الوجودي، هو عجزه عن أن يتوحد مع ذاته فتسحقه المتناقضات - كما يدعي الوجوديون -

(١) راجع: سارتر (الغثيان) ص ١٦٧-١٩٣

(٢) سارتر (الوجود والعدم) ص ٦٠

(٣) سورة السجدة آية ٦-٩

لقد وازن الإسلام بين القيم الروحية والقيم المادية التي بدونها لا يتوحد الإنسان مع ذاته أو يحقق وجوده، أو يتخلص من عذاب التمزق والازدواج، وما تزال الوجودية تضل الناس عن الحقيقة وتدفعهم إلى آتون التمزق في الدنيا بينما يهديهم الإسلام إلى الأمن^(١).

٢- حصر الوجوديون الإنسان في مرحلة واحدة وهي مرحلة الضعف، وهذا دليل آخر على الحط من قيمة وقدر الإنسان وإلا فالإنسان يمر بثلاث مراحل في حياته وهي:

أ - مرحلة الضعف مصداقاً لقوله تعالى ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(٢) فالله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان من أصل ضعيف وهو النطفة، ويجعله يتقلب في أطوارها وهي أطوار في غاية الضعف.

ب - مرحلة القوة وتتوخذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾^(٣) أي جعل الله من بعد ضعف الطفولة في الإنسان قوة الشباب.

ج - مرحلة الضعف مرة أخرى مصداقاً لقوله عز وجل «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً»^(٤) فجعل الله من بعد قوة الشباب في الإنسان ضعف الشيخوخة. وهذه المراحل التي يمر بها الإنسان مشاهدة في الواقع فعلاً ولا ينكرها إلا مجادل بالباطل كالوجوديين.

(١) راجع: أنور الجندي (معلمة الإسلام) ص ٢٠٨

(٢) سورة الروم آية ٥٤

(٣) نفس الآية السابقة.

(٤) نفس السورة السابقة.

٣- ادعى الوجوديون أن الإنسان نهايته العدم ويموت بمحض المصادفة، فهذه دعوى باطلة يدحضها الواقع إذ لو كان الموت يلحق الإنسان بطريق الصدفة لأصاب إنساناً وترك آخر، كما قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنَّ﴾ (١) وقال تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢) ولن يستطيع إنسان أن يهرب من الموت ولو بطريق الصدفة. قال تعالى ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ (٣) ولذلك جعل الله عز وجل ملكاً مختصاً بهذا الأمر ووكله إليه قال تعالى ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (٤).

أما اعتقاد الوجوديين أن الموت نهاية الإنسان فهذا غير صحيح وهذا الادعاء نابع من انكارهم الأمور الغيبية والتي من أهمها البعث ، فما من آية ذكر فيها الموت على أنه نهاية هذه الحياة إلا واتبع بذكر البعث الذي هو حياة ثانية للإنسان. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٧) وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨) ولو كان

(١) سورة الرحمن آية ٢٦

(٢) سورة القصص آية ٨٨

(٣) سورة النساء آية ٧٨

(٤) سورة السجدة آية ١١

(٥) سورة المؤمنون آية ١٥-١٦

(٦) سورة العنكبوت آية ٥٧

(٧) سورة الأنبياء آية ٣٥

الموت هو نهاية الإنسان لما كان للابتلاء والاختبار المستلزم للجزاء العادل معنى، فاقترضى المنطق واقتضى العدل أن يرجع كل إنسان إلى الله لاستيفاء الجزاء من ثواب على الطاعة أو عقاب على المعصية قال تعالى: ﴿فاحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ (١) وقال تعالى: ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ (٢).

٤- الإنسان لدى الوجوديين متعال مغرور، غرته الحضاره الماديه المعاصره فأخذ يمارس شهواته ولذاته ، ويعيش حسب هواه وشرعته. قال تعالى ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى الله﴾ (٥) ولذلك كان أمر الله العلي القدير لنا بقوله ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ (٦).

٥- ادعى الوجوديون أنهم بمقولاتهم السابقة يهدفون إلى تحقيق الوجود الفردي الذاتي للإنسان، ومعنى هذا أن يكون الإنسان مستقلاً في كل شيء منقطعاً عن غيره في كل شيء طالباً لنفسه كل شيء يريد دون أن يقيم

(٨) سورة القصص آية ٨٨

(٩) سورة المؤمنون آية ١٥٥-١١٦

(١٠) سورة آل عمران آية ١٨٥

(١١) سورة الفرقان - آية - ٤٣

(١٢) سورة الاعراف - آية - ١٧٦

(١٣) سورة القصص - آية - ٥٠

(١٤) سورة الكهف - آية - ٢٨

اعتباراً لسواه مع العلم أن الرغبات في الأفراد مختلفة، وأحياناً تتعارض وتتصادم، والذوات متعددة والأهواء متضاربة الاتجاهات، فما يحدث إذا تعارض تحقيق الوجود للإنسان مع تحقيق الوجود للإنسان آخر؟ أيتعارضان فيسقطان ويزهقان معاً وهذا طريق الفناء، أم يدحر أحدهما الآخر وفي هذا ظلم واعتداء؟ - إلا ساء ما يحكمون - وأما الإسلام فإنه يعطي الإنسان حقوقاً ويطلبه بواجبات ويهيء له ما يصلحه وينفعه، ويحول بينه وبين ما يضره سواه، فيتحقق الوجود السليم للإنسان من جهة ولا تتصادم الأهواء أو تتعارض الرغبات من جهة ثانية فالحمد لله الذي من علينا بنعمة الإسلام.

رابعاً - مكانة الإنسان في الإسلام

الإنسان في الإسلام مخلوق مكرم فريد مسؤول، لا يقوم وحده في هذا العالم كما زعم الملحدون، بل يقوم بإرادة رب أوجده وقدره، إله خلقه في أحسن تقويم، وعلمه البيان ووهب له السمع والبصر والفؤاد، ليس الإنسان عبداً ولا مقهوراً لشيء في هذا الكون إلا أنه عبد لله وحده.

وتبرز مظاهر تكريم الله للإنسان في النقاط الآتية:

١- استخلافه في الأرض:

أطلق بعض الباحثين على الإنسان عبارة أنه خليفة الله في أرضه وهذا التعبير غير صحيح من جهة معناه، لأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء المالك له ولم يغب عن خلقه ومملكه، حتى يتخذ خليفة عنه في أرضه، وإنما يجعل

الله بعض الناس خلفاء لبعض في الأرض، فكلما هلك فرد أو جماعة أو أمة جعل غيرها خليفة يخلفها في عمارة الأرض كما قال تعالى ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم ﴾ وقال تعالى ﴿ قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ أي نوعاً من الخلق يخلف من كان قبلهم من مخلوقاته .

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعليقا على جعل الإنسان خليفة لله «وكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله وعليه فإن وصف الإنسان بأنه خليفة عن الله غلط من وجوه:

١- أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ولم يقل خليفة عني فمن قال إن الإنسان خليفة عن الله فعليه الدليل ونصوص القرآن تدل على أن البشر يخلف بعضهم بعضا.

٢- هناك نصوص تدل على أن الله سبحانه يخلف العبد كقوله ﷺ عن الدجال (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيح نفسه والله خليفتي على كل مسلم) أخرجه الإمام مسلم من حديث النواس بن سميان رضي الله عنه. وصح عنه ﷺ في دعاء السفر قوله (اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل).

٣- وصف الإنسان بأنه خليفة عن الله فيه شيء من الإيهام حيث يشعر بأن

الله سبحانه وتعالى محتاج لخليفة يقوم بأمره والله سبحانه وتعالى غني عن العالمين.

٤- أنّ العبادة التي يقوم بها الإنسان في الأرض ليست استخلاقاً عن الله بل هي وظيفة الإنسان الأساسية قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ولهذا لما قيل لأبي بكر رضى الله عنه (ياخليفة الله) أنكر ذلك وقال بل (خليفة رسول الله) مسند الإمام-١٠- راجع مجموع الفتاوي ٤٢/٣٥-٤٥. ومنهاج السنة النبوية ٣٥٢/٧-٣٥٣.

٢- خلقه في أحسن تقويم:

فقد كرمه الله فأحسن صورته وخلقته قال تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾^(١) وقال تعالى ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾^(٢).

٣- تميزه بالعنصر الروحي:

فقد كرم الله الإنسان بهذه النفخة وهذا أكبر دليل على أن الإنسان نوع متفرد متميز عن سائر الحيوانات فهي تخالفه ويخالفها في التكوين إذ لم يكرمها الله بما كرمه به من الروح والعقل.

٤- تسخير الكون لخدمة الإنسان:

سخر الله سبحانه وتعالى العوالم الكونية كلها السماء والأرض، الشمس والقمر، النجوم والليل والنهار، الماء واليابس، والبحار والأنهار، والنبات

(١) سورة التين آية ٤

(٢) سورة التغابن آية ٣

والحيوان والجماد لمصلحة الإنسان وسعادته كرامة منه ونعمة. قال تعالى ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١) وقال تعالى ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٢). وقال تعالى ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾^(٣) ويتضمن التسخير معنيين هما:

أ- أن هذه العوالم الكونية مهياة ومبذولة للإنسان فعليه استخدامها فيما يعود بالخير والسعادة.

ب - إنه لا يجوز للإنسان ولا لغيره أن يؤله شيئاً في هذا العالم أو يتعبد له رغياً ورهباً، والذين عبدوا الأشياء أو المظاهر حولوا الإنسان عما أراده الله له من سيد سخر له الكون إلى عبد ذليل. قال الإمام بن القيم رحمه الله «اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن

(١) سورة لقمان آية ٣٠

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٢-٣٤.

(٣) سورة الجاثية آية ٣٢-٣٤

كرمه وفضله وشرفه وخلقه لنفسه، وخلق له كل شيء وخصه من معرفته ومحبه وقربه واکرامه بمالم يعطه غيره وسخر له ما في سمواته وأرضه وما بينهما حتى ملائکته - الذين هم أهل قربه - استخدمهم له وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته وطمعنه واقامته، وأنزل إليه وعليه كتبه وأرسله وأرسل إليه رسله وخاطبه وكلمه منه وإليه فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات^(١) وبعد أن أكرم الله الإنسان بأنواع كثيرة - كما مر سابقاً - نجد أن الله سبحانه وتعالى:

- ١ - أمره بعبادته وحده والتقرب إليه بأنواع الطاعات من صلاة وصيام وصدقة وزكاة وحج وعمرة إلى غير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة
- ب - أمر بالسعي في الأرض والمشى في مناكبها والأكل من طيباتها والاستمتاع بزينة الله التي أخرج لعباده فيها ونهاه عن المسكرات والمخدرات
- ج - أمره بالتفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وفي مصائر الأمم وأمره بطلب العلم، والتماس الحكمة وأنكر عليه الجمود والتقليد - كل ذلك -

د - أباح له التمتع بالنظر إلى جمال الكون أرضه وسماؤه ونباته وحيوانه، وما

(١) ابن القيم (مدارج السالكين) مطبعة السنة المحمدية ج ١ ص ٢١٠

فيها من مظاهر الحسن والبهجة وترويح النفس دفعاً للسآمة عنها^(١) هذا هو الإنسان في نظر الإسلام مخلوق مكرم خلقه الله في أحسن تقويم • وصوره فأحسن صورته، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة وجعله خليفة في الأرض، ومحور النشاط في الكون، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة فكل ما في الكون له ولخدمته. وكما قيل بالضد تتميز الأضداد، فالإنسان لدى الوجوديين يدور حول نفسه فقط، أي حول هواه وشهوته، حول جسده ومتطلباته، حول الجزء الحيواني فيه، وبذلك ينمو ويتضخم الجانب الحيواني المادي في الإنسان على حساب الجوانب الأخرى التي تضر وتتكشم أو تذبل وتموت.

يسعى الإنسان الوجودي بدون هدف يتطلع إليه غير نفسه وهواها فقط والآخرين هم الجحيم كما مر سابقاً وقد قال أحد الكتاب الغربيين في وصف الوجوديين الذين تدور فلسفتهم حول تحقيق الإنسان وجوده وذاته فحسب: «إن الوجودي مثله كمثل الكلب الذي يجري دائماً حول نفسه ليمسك بذنبه فلا هو يدرك ذنبه ولا هو يقف عن الجري وهي لعبة يلعبها الكلاب حينما يجدون الفراغ فيلهون بما «لا نتيجة له» وهذا التشبيه يذكرنا بالمثل الذي

(١) راجع: د. يوسف القرضاوي (الخصائص العامة للإسلام) مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ ص ٧٤-٨٢

ضربه القرآن لكل من انسلخ من آيات الله وأخذ إلى الأرض واتبع هواه (١)
قال تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاويين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآيتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلاً القوم الذين كذبوا
بآيتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ (٢).

(١) راجع: د. يوسف القرضاوي (الإيمان والحياة) مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ ص ٨٢

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٥-١٧٧

الفصل السادس

استغلال الوجوديين مجالات الأدب والتربية لنشر أفكارهم

ويشتمل على بحثين

أولاً الأدب.

ثانياً التربية.

الفصل السادس

استغلال الوجوديين مجالات الأدب والتربية لنشر أفكارهم

أولاً : الأدب

استغل الوجوديون الأدب لترويج ونشر مبادئ ومفاهيم الوجودية لأنه أفضل الأدوات الفكرية والفنية للوصول إلى الناس والتأثير على أفكارهم ومعتقداتهم، وهو خير أداة قادرة على تجسيد انفعالات الناس، بل إن هذه الانفعالات هي المادة الوحيدة التي يشكل الأدب أشكاله المتعددة. وتعتبر القصة أبرز ما استحدث من فنون الأدب بعد الحرب العالمية الأولى، وخلال مدة وجيزة طغت على سائر فنون الأدب حتى أخملت الشعر أو كادت، ورحبت بها الصحف على اختلاف ألوانها، حتى أن بعض الصحف وضع لها صفحة كاملة من صفحاتها الثابتة استجابة لرغبات القراء، الذين أقبلوا عليها إقبالا شديداً، وساعد على رواجها بروز المسرح، ثم ظهور السينما وتقدم صناعتها، وأعان على ذلك سهولة تذوق القصة وهي مع ذلك أكثر ملاءمة للشباب، لأنها أقدر على توفير الأجواء الحاملة التي تلائم سن المراهقة خاصة، مما يجعلها أقوى الفنون الأدبية تأثيراً عليه وأخطرها في توجيهه. وبذلك أصبحت القصة معرضاً للنماذج المنحرفة الشاذة المثيرة لأخط الغرائز، وتعبيراً عن أمراض النفوس، وانعكاس المعايير والتنفيس عن الشهوات.

وقد اعتمد سارتر وكامي على القصة لترويج معتقدات الوجودية ونشر الأفكار الإلحادية ولأنها أخطر الأدوات الأدبية تأثيراً في المجتمع مما يدل على مكرهما وخبثهما.

وقد سمي الأدب الوجودي (أدب الالتزام)^(١) أي الالتزام بعرض أفكار ومفاهيم الوجودية وخدمتها، وبناء على ذلك فرقوا بين النثر والشعر من حيث إن النثر أكثر قدرة على الالتزام من الشعر لأنه ينتزع الكاتب من حدود ذاته الضيقة ويربطه بالعالم الخارجي، بينما يلتزم الشعر بانعكاس الصورة الذاتية للشاعر، ولذلك من الصعب أن يكون الشاعر ملتزماً يقول الدكتور محمد حسين «إن أكثر ما يذاع من هذا الأدب الهدام إن جاز لنا أن نسميه أدباً يتستر تحت اسم مذاهب هدامة، أو دراسات علمية فباسم الرومانتيكية^(٢) والوجودية كتبت ألوان من الأدب - شعره ونثره - يطبعها طابع الأنانية والانطواء على النفس الذي يورث الهم القاتل لكل همة حيناً - فتجد النفوس السقيمة لذتها في الشكوى والبكاء، وأن تحيا كالبوم والخفافيش في الظلام، أو العكوف على الشهوات الصارف عن كل خير حيناً آخر وباسم الواقعية وباسم التحليل النفسي ظهرت ألوان من الأدب ومن القصص الخاصة تخوض في أحوال الرذيلة، وتعرض خفايا العورات وتجرح كثيراً من الفضائل بزعم

(١) راجع: د. نبيل راغب (المذاهب الأدبية) مكتبة مصر ص ١٢٨-١٣٠.

(٢) تيار أدبي استحوذ على فنون الأدب الغربي في القرن الثامن عشر وهو مضاد للكلاسيكية. راجع:

د. كمال العيد (فلسفة الأدب والفن) الدار العربية للكتاب ص ١٥٨.

أنها تورث الكبت وتبرر كثيراً من الرذائل باسم التنفيس، وتسقط التبعية في كثير من الجرائم بزعم أن أصحابها مصابون بأمراض نفسية، وباسم التحرر واستغلال الشخصية شاعت دعوة إلى إعادة النظر في كل مواريتنا الخلقية ومعاييرنا الاجتماعية، وإلى الخروج على كل ثابت مقرر مما توفره التقاليد، ويقدمه الدين، وإلى أن يبني كل فرد لنفسه عالماً مستقلاً من القيم، تصبح معه مقاييس الخير والشر فردية، فلا يكون هناك خير هو خير عند كل الناس، ولا يكون هناك شر هو عند كل الناس شر، وعندئذ لا يصبح هناك مجتمع، لأن الروح الجماعية هي أساس كل تماسك اجتماعي، لا يكون هناك إلا الفوضى والخراب»(١).

أسباب ذبوع وإنتشار الأدب الوجودي:

□ راج الأدب الوجودي وذاع وانتشر للأسباب التالية(٢):

(١) الأدب له قابلية وقدرة فائقة على الانتشار والانتقال من أمة إلى أخرى، دون اعتبار لطبيعة العلاقات بينهما، فقد حصل تأثر وتأثير بين الأدبين الانجليزي والفرنسي وبين الألماني والاطالي مثلاً، وكانت العلاقة بينهما ممتازة وينتقل أيضاً في حالة توتر العلاقات والحروب المستمرة، فعندما جهزت أوربا الحملات الصليبية إلى الشرق الإسلامي، وشحنتها بمشاعر الحقد والغضب هيأت - من حيث لاتدرى - فرصة لانتقال آثار

(١) راجع: د. محمد محمد حسين (اتجاهات هدامة في الفكر الغربي المعاصر) ص ١١٦.

(٢) راجع: د. عبدالباسط بدر (مذاهب الادب الغربي) شركة الشعاع بالكويت ص ١٢٧-١٤٢.

كثيرة من الأدب العربي الإسلامي إلى آداب الشعوب الأوروبية.

(٢) طبيعة الأدب. لأنه ملتصق بالأمّة التي تنتجها بحمل خصائصها وعقائدها، وعند الانتقال فلا شك أنه سيحمل معه الخصائص والعقائد، وإذا استوطن في مجتمع جديد أسكنها معه في نفوس متذوقيه والمعجبين به، فالقصة الوجودية تدخر تصورات الوجودي الغربي وتحمل غربته، وتمزقه وإلحاده، لأنها حصيلة ظروفه العقائدية والاجتماعية والسياسية، وعندما يكتبها ويترجمها قصاص عربي فسوف تتلون قصصه - لامحالة - بالظروف والمواقف العقائدية السابقة.

(٣) الظروف المناسبة لانتشار القيم الفكرية، والمذاهب الجديدة فالوجودية انتشرت بعد الحربين العالميتين فالآثار خطيرة والنتائج ضخمة، ولم يعد بيت في أوربا بدون قتل ولا جريح، ومن ثم علت الصيحة إلى الفرع من الخطر الذي فرضه صراع الدول على المجتمعات الأمانة بما هدد حياتها، وجعل أهلها يعيشون في خطر الحرب الدائم، وهواجس القنابل الذرية فاستجاشت النفس الغربية بالكتابة والدعوة عن طريق الأدب إلى تأكيد الذات وتحريرها، واشباع رغباتها مادام أنه ليست للحياة غاية واضحة إلا هذا المتاع السريع الذي قد يزول ويتلاشى في أي لحظة بسبب الحروب والقنابل الذرية.

(٤) وجود أدباء يعتنقون هذه الفلسفة ويستمدون تصوراتهم منها، وينتجون

أدباً يتأثر بها - فمثلاً - سارتر أحد أقطاب الفكر الوجودي استطاع بث أفكاره عن طريق الأدب.

(٥) ترجمة المسرحيات والقصص الفرنسية الاباحية، وتقديمها بأسعار زهيدة، والقاؤها بين أيدي الشباب والفتيات، وقد حفلت هذه الكتابات بالاستخفاف بالقيم الأخلاقية، والسخرية بالعقائد الدينية والفضائل والبطولات، والدعوة إلى الانطلاق بدون حرج، والجرأة على المقدسات. والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١ - مسرحية الذباب (لسارتر) والتي ترجمها دمحمد القصاص وفؤاد كامل وتهدف إلى انكار الإله، وإبرازه كخرافة ضارة أخذت الإنسانية - في زعمه - تتخلص منه وقد استقى (سارتر) موضوعها من الأساطير اليونانية القديمة، وقد ورد فيها:

جوبيتر: إن لم أكن إلهك أيتها الدودة المنكودة. فمن الذي خلقك؟

أورست: أنت ولكن كان يجب الاتخلفني حراً.

جوبيتر: لقد وهبتك الحرية لكي تعبدني.

أورست: قد يكون هذا ممكناً ولكنها ردت إلى نحرك فلا أنت تستطيع

أن تصلح ماكان ولا أنا بمستطيعه.

جوبيتر: وأخيراً فهذا هو عذرك.

أورست: إنني لا أعتذر.

جوبيتر: حقاً الا تعلم أن هذه الحرية التي أصبحت لها عبداً تشبه كثيراً
أن تكون عذراً.

أورست: إنني لست عبداً ولست سيذاً أى جوبيتر وإنما أنا حرיתי وما
أن خلقتني حتى أصبحت لا أنتسب إليك في شيء....

ويقول أورست أيضاً لجوبيتر (ماشأني بك؟ كلانا ينزلق بجانب الآخر
دون أن نتلامس وكأننا سفينتان... أنت إله وأنا حر .. أنت في
وحدتك وأنا الآخر في وحدتي .. وكلانا له من القلق مالآخر^(١)).

ب - مسرحية (الغثيان) التي ألفها سارتر سنة ١٩٣٨ فقد ترجمها إلى
العربية الدكتور سهيل إدريس وتدور أحداثها حول إحدى مقولات
الوجوديين (الوجود السابق على الماهية)^(٢).

ج - مسرحية (الأيدي القذرة) فقد ألفها سارتر سنة ١٩٤٨ وترجمها إلى
العربية كل من الأستاذ سهيل إدريس والأستاذ أميل شويري وهي
تصوير لشخصيات مختلفة منها على سبيل المثال شخصيتا
«هودرر» و «هوجو» أما الأول فيمثل الشخصية الوجودية التي
تحررت تحراً كاملاً ثم تحملت مسؤوليتها كاملة نحو نفسها ونحو
المجتمع البشري الذي تريد اسعاده - على حد زعمه - بينما لا يزال
هوجو الشخصية الثانية مستعبداً للقيم التي يلقيها له الحزب

(١) مسرحية (الذباب) لسارتر ترجمة فؤاد كامل. الدار القومية العدد ١٥١ ص ٨٧.

(٢) راجع: مسرحية (الغثيان) لسارتر ترجمة سهيل إدريس ص ٥٢.

الشيوعي برياسة «لويس» والذي يمثل (هوجو) كالألة الصماء في يد (لويس) الذي يحرضه على اغتيال (هودرر) ولكنه لما كان (هوجو) لا يصدر عن حريته الكاملة ولا يلتزم بوحي هذه الحرية، وإنما يتلقى الأوامر من الخارج فإنه يبدو شخصية ضعيفة مترددة لأنها منقادة، بينما يفوز (هودرر) بكل اعجاب لأنه شخصية وجودية متحررة لا تلتزم إلا بوحي من نفسها^(١).... إلخ.

د - مسرحية (الجحيم) التي ألفها سارتر سنة ١٩٤٥ وترجمها هاشم الحسيني وتدور أحداثها على علاقة الإنسان بالغير، فيدخل رجل اسمه (غارسين) الجحيم ويصبح في آخر المسرحية «لا حاجة إلى التعذيب بالنار فالجحيم هم الآخرون»^(٢).

هـ - مسرحية (الجدار) التي ألفها سارتر سنة ١٩٣٨ وترجمها إلى العربية الدكتور سهيل إدريس وهاشم الحسيني. وتحكي قصة ثلاثة أشخاص (جوان) (ستيوك) (إياتا) ينتظرون ساعة إعدامهم رمياً بالرصاص صبيحة الغد، يحلل فيها سارتر مشاعر كل منهم، فهم - على حد زعمه - حيال خطر واحد يحيط بهم ولكن لكل منهم موقفه الخاص يواجهه من زاوية بيئته وثقافته ونوعية

(١) راجع: مسرحية (الأيدي القذرة) تأليف سارتر ترجمة سهيل إدريس، إميل شويري. دار مكتبة الحياة بيروت.

(٢) راجع: مسرحية (الجحيم) لسارتر ترجمة هاشم الحسيني. دار مكتبة الحياة.

تفكيره (١).

(٦) أدب (كامي) الذي يعبر عن وجودية العبث، وعنده أن الإنسان في هذه الدنيا شبيه ببطل الأسطورة الإغريقية (سيسفوس) أو (سيزيف) وهو رجل عصى مشيئة الأرباب - على حد زعمه - فالتمس منهم العودة إلى الدنيا لكي يؤدب زوجته على خيانتها، فسمحوا له بالعودة إلى أجل محدود فجاوز الأجل المحدد غير مكترث بنذير القضاء فحكّموا عليه بأن يتردى إلى الجحيم مسخراً في عمل لا طائل تحته وليس له انتهاء وهو أن يقوم برفع صخرة عظيمة من أسفل الجبل إلى قمته العليا، ثم تنحدر الصخرة فيعود إلى رفعها مرة بعد مرة إلى غير نهاية معلومة ولغير هدف معروف، فعلى تصوره هذا كل إنسان في هذه الحياة هو سيسفوس مسخر في مثل هذا الجهد الضائع والعبث العقيم - كما يدعي - يقول كامي: «إن التمرد هو الحل الوحيد لكل ما في الوجود من لامعقولية، ويترتب على التمرد كحل للتجربة العبثية رفض كل التصورات الميتافيزيقية - ماوراء الطبيعة أو الغيب - خاصة فيما يتصل بقضية الحرية» (٢).

وتعكس مسرحيات (البير كامي) (الغريب) (الطاعون) (الحصار) إلخ

(١) راجع: مسرحية (الجدار) لسارتر ترجمة سهيل إدريس وهاشم الحسيني. دار مكتبة الحياة. بيروت سنة ١٩٧٥.

(٢) البيركامي (السقطة) ترجمة أنيس زكي حسن بيروت ١٩٧١ ص ٣٠-٣١.

مفاهيم الوجودية من الاحساس بالعدم والسأم والقلق والعبث واللا معقول ... فنجد البطل في رواية (الغريب) يعيش وحدة وغربة ويحس بالانفصال حتى عن أمه التي ماتت فلم تدمع له عين، ويقتل شخصاً بالمصادفة فيزج به في السجن، ويحكم عليه بالاعدام، إنن الغريب في هذه الرواية هو الإنسان الوجودي أو الإنسان المعاصر في الغرب، ويصور كامى أيضاً في مسرحيته (كاليجولا) الإنسان الوجودي إنسان هذا العصر - على حد زعمه - الذي يحس بالفراغ والضياع والوحدة وشبح الموت الرهيب - كما يزعم قائلاً - «آه ياعزيزي إن عبء الأيام مخيف بالنسبة لمن هو وحيد بدون إله - نعوذ بالله - بدون سيد ولهذا يجب على المرء أن يختار سيدياً. إلهاً بدون مميزاتة المألوفة ثم إن تلك الكلمة قد فقدت معناها ولم تعد تستحق أن يجازف المرء بصدمة أحد بها»^(١).

بعد هذا العرض الموجز للأدب الوجودي أرى أن الفت النظر إلى بعض الملاحظات الهامة.

نقد مجالات الأدب الوجودي:

يؤخذ على مجالات الأدب الوجودي مأخذ كثيرة منها:

(١) شخصيات المسرحيات الوجودية هي نتاج خيالي لاواقعي هي أفكار

(١) ألبيركامي (السقطه)، ص ١٠٨-١٠٩.

مشخصة أكثر مما هي وقائع فعلية فتحول الأبطال - كما يدعون - إلى صفات مجردة بلا روابط واقعية.

(٢) أبطال المسرحيات الوجودية لا يعرفون شيئاً سوى قرفهم وسأمهم ورؤيتهم واحساسهم لزوجة الأشياء، وهم دائماً في فراغ قاتل، لا يصادفون مطلقاً حماسة تحررهم، الحب عندهم فشل، علاقتهم بغيرهم مخيبة للآمال، وجهنم هم الآخرون وحينما يلتقون. ماذا يريدون لاشيء سوى أن يشربوا أنفسهم دون عطش.

(٣) الشخصيات الوجودية في كثير من الأعمال المسرحية تتشابه (هورر) في «الأيدي القذرة» لا يختلف كثيراً عن (جان) في «الدوامة» كلاهما يريدان الهدف نفسه لكن الظروف ليست مثالية فيضطران للقيام باجراءات مريبة وتقديم تنازلات تبدو في معيار معارضيتهم خيانة، ولا حل (لفرنسوا) في نهاية «الدوامة» إلا «أعطني كأساً من الويسكي، وتتابع الشراب» كما تنتهي (الغثيان) بينما (روكنتان) على أبواب عمل ينوي انجازه، أو كما تنتهي «الأبواب المقفلة» مع «غارسان». «هوجر» قتل «هودر» في (الأيدي القذرة). «جان» يقتل «لوسيان» في (الدوامة). ماهى الأسباب؟ الاجابة غير معروفة. مجرد اثاره قضايا ومشاكل دون

تقديم حلول لها^(١).

(٤) فقدان المذهب العام الشامل، الذي يمكن الرجوع إليه والاحتكام إليه من خلال المسرحيات الوجودية، ولهذا نجد سارتر مثلاً في مسرحية (الأيدي القذرة) يتقمص شخصية «هودرر» الشيوعي المتحرر الثائر على مجتمع القيم التقليدية المتوارثة - كما يزعم -.

(٥) أبطال المسرحيات الوجودية مصابون بمرض الانفصام وليسوا أناساً أسوياء بدليل استباحتهم الاجرام، والشذوذ أو التبذل والخيانة^(٢)، ولذلك سمي أدبهم بأدب الانحلال والضياع.

(٦) الشخصيات الوجودية في المسرحيات فردية ضد المجتمع تتحكم بها العزلة، تخاف من الجماعة أياً كان عددها أو حجمها أو اسمها، بينها علاقات قمع مستمرة يعجز الفرد عن تبديلها ولو حاول الحزب في (الدوامة) و (الأيدي القذرة) ضد «جان» و «هوغر» وأهل آرغوس في (الذباب) ضد «أورست» وليست الجماعة فحسب بل إن كل آخر هو خارجي ضدي، الآخر هو جهنم. هذا هو الاعتقاد السارتري الذي يجد شكله الأفضل في (الأبواب المقفلة) حيث «غارسان» و «آستيل» و «دانيتيز» سجناء الآخر. ومع ذلك يستمرون في تعذيب واحد منهم للآخر كقول سارتر «إن احترام حرية الغير كلمة باطلة كل موقف

(١) راجع: د. عبدالقادر محمود. (الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة) الهيئة المصرية للكتاب. ص ٢١٤-٢٣٣.

(٢) راجع الأستاذ: علي لبن (الغزو الفكري في المناهج الدراسية) ص ٨١.

تجاه الآخر سيكون إغتصاباً لهذه الحرية التي تزعم أننا نحترمها»^(١).

(٧) ركز الأدب الوجودي على قضية الاغتراب والتي تعني أن الاغتراب متعلق بانفصال الإنسان عن الله أي (الخطيئة) يقول الدكتور مجاهد عبدالمنعم مجاهد «يغتربون يفقدون ذواتهم ينفصلون، لكنهم لا يظنون في اغترابهم.. لا يصبحون خوارج بل يكتسبون ذواتاً جديدة .. يرتدون إلى ذواتهم بعمق في ضوء جديد، ويكتسبون نفساً أصيلة كلية توصف بأنها النفس المطمئنة من خلالهم يتحقق وجود جديد .. إنهم مثل زرداشت نيتشة بعد صعودهم إلى الجبل وتطهرهم النفسي يعودون ليقوموا عالماً أكثر جمالاً»^(٢) وقضية الانفصال عن الله يرفضها الإسلام شكلاً وموضوعاً، وهذا المفهوم بعيد عن المسلم، لأن المسلم ليس بينه وبين الله واسطة، ويتصل به مباشرة عبر العبادة.

(٨) ركز الأدب الوجودي على قضايا: الحرية - المسؤولية - الالتزام على حد تعبير الوجوديين لها ومفهومهم عنها فنتج عن هذه القضايا نتائج أو مشاعر خطيرة يحسها الفرد في سلوكه عبر الحياة، وهذه المشاعر لم يغفل عنها ساتر بل واجهها كعادته في الغي والضلال والمكر والخداع، وبلورها في ثلاثة هي: القلق والهجران واليأس. أما القلق فليس هناك غرابة أن يستشعره الوجودي ما دام لا يريد أن يستند في حياته وتصرفاته وأحكامه إلى إله أو قضاء أو قدر، ويأبى إلا أن يعتبر نفسه

(١) سارتر (الوجود والعدم) ص ١٩٤٢.

(٢) مجاهد عبدالمنعم مجاهد (المغتربون) هيدجر. دار الثقافة للنشر. القاهرة ص ٥٠.

حراً حرية مطلقة ولما كانت هذه الحرية تستتبع - بالضرورة - المسؤولية عند الوجودي، فإنه لا بد أن يستشعر القلق من هذه المسؤولية، وما يستتبعه من التزام وتخير لما يريد أن يلتزم به، ونفس هذه الحرية، والتخلص من كافة القيم المتوارثة هي التي تولد أيضاً في نفس الوجودي الشعور بالهجران، أي الشعور بأنه مهجور لاعون له ولا سند خارج نفسه التي تتحمل بحكم حرمتها أفدح المسؤوليات، وبعد ذلك يستشعر الوجودي اليأس - نعوز بالله - ويزيد اغتراباً والحاداً واجراماً. نسأل الله العافية.

وقد بينت في الموضوعات السابقة كيف عالج الإسلام الحرية والمسؤولية والالتزام؟ فحين نرى الحرية التي يدعو إليها الأدب الوجودي تبدأ بالانسلاخ من العقيدة، فإن الحرية في الإسلام ترتكز على العقيدة، وتبدأ من فهم الإنسان لموقفه من الله أولاً، وأما المسؤولية لدى الوجوديين فهي مرتبطة بمفهوم الحرية، وعند الإسلام هي مسؤولية - الأمانة في الأرض - وفق التشريعات الربانية، يحاسب عليها أمام الله أولاً وأخيراً.

وأما الالتزام في الأدب الوجودي فهو الالتزام بمفاهيم ومبادئ الوجودية في حين نرى الالتزام في الأدب الإسلامي يختلف مضمونه، لأن الأدب الإسلامي يدعو إلى الالتزام بالدعوة إلى الله، والالتزام أيضاً بالوسيلة الأدبية المناسبة. قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (١).

وبهذا يؤكد أنه قد حصل اتفاق بين الأدب الوجودي والأدب الإسلامي في العناوين، ولكن الاختلاف في المضمون والدلالة والهدف كبير، لأن الوجودية تبدأ بالكفر وقطع الإنسان عن خالقه، والإسلام يبدأ بالإيمان وصلة الإنسان بخالقه. وليس هناك أي التقاء بينهما في أي من القضايا السابقة ولو اتفقت الأسماء.

(٩) إن القضايا التي يزرعها المذهب الأدبي الوجودي مرفوضة إسلامياً لأنها تستمد مبادئها من التصور النصراني المحرف، وهو تصور يصف الإنسان ويجعله حاملاً للخطيئة الأبدية، زاعماً أن آدم أورث أبناءه خطيئة فقد اعتقدت الكنيسة أن المسيح عليه السلام قد صلب ومات، ثم قام بعد موته ويعلمون واقعة صلبه بأنه كفارة لبني الإنسان عن الخطيئة الموروثة التي ورثها بنو آدم عن أبيهم آدم الذي خالف أمر ربه وأكل من الشجرة المحرمة (شجرة المعرفة) كما يدعون.

وللمسيحين عدة تصورات خاطئة حيال ذلك وهي (٢)

(١) سورة النحل آية ١٢٥.

(٢) القرآن الكريم يحض شبهات المسيحيين وفندها كالتالي:

(١) يحض شبهة البنوة الإلهية بقوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ البقرة ١١٦-١١٧. وقوله تعالى ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ سورة الاخلاص.

(٢) يحض شبهة التثليث بقوله تعالى ﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم﴾ سورة النساء ١٧١. وقوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ المائدة ٧٣.

(٣) يحض شبهة الخطيئة الأصلية بقوله: ﴿ولا تزد وازدة وذر أخرى﴾ الإسراء ١٥.

(٤) يحض شبهة الصلب بقوله: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه﴾

أن المسيح عليه السلام حين أخطأ ظلت خطيئته في عنقه وفي أعناق ذريته إلى أن وقع التكفير بصلب المسيح كما يدعون.

(٢) أن المسيح عليه السلام قد صلب فعلاً وهو ابن الله على حد زعمهم.

(٣) أن الله قدم ابنه (الوحيد على زعمهم) للصلب محبة منه لعباده وليكفر عنهم خطيئتهم الموروثة.

أما الإسلام فله موقف محدد من هذه التصورات الخاطئة يفندها بشكل قاطع فقد صرح القرآن الكريم في أكثر من موضع بأن آدم عليه السلام قد وقع منه ما أخذه الله عليه وعده معصية حيث نهى الله سبحانه وتعالى آدم وحواء عن الأكل من الشجرة المعينة والمحددة لهما عن طريق الإشارة الحسية الواضحة. قال تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (١) ثم تحايل الشيطان - نعوذ بالله منه - فزين لهما الأكل منها قال تعالى ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ (٢) وانطلت هذه الحيلة على آدم فوقع في المحذور. قال تعالى: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى﴾ (٣). هذه هي معصية آدم عليه السلام، ومن المعلوم أن المعاصي أنماط ودرجات، فليست على درجة واحدة، ولكنها متفاوتة منها الصغيرة،

وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا أتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴿ النساء ١٥٧-١٥٨

(١) سورة البقرة آية ٣٥.

(٢) سورة طه آية ١٢٠.

(٣) سورة طه آية ١٢١.

أنماط ودرجات، فليست على درجة واحدة، ولكنها متفاوتة منها الصغيرة، ومنها الكبيرة، ومنها ما يقع عن قصد ووعي تام وتعمد وعزم، ومنها ما يقع على سبيل السهو والنسيان، ومنها ما يقع عن طريق الاكراه. لذلك نقول نحن أي نوع كانت معصية آدم عليه السلام؟ يجيب على هذا السؤال القرآن الكريم نفسه. قال تعالى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً﴾^(١) وبهذا حدد القرآن الكريم نوع معصية آدم عليه السلام لربه تحديداً دقيقاً كل الدقة، واضحاً كل الوضوح، فبين أنها معصية وقعت بسبب النسيان والسهو والغفلة، فليست هي مقصودة قصداً ولا متعمدة عمداً، إن آدم عليه السلام قد نسي عهد ربه فأكل من الشجرة المحرمة، ولو فطن لذلك وتذكر لقاوم اغراء الشيطان، ومع ذلك فهي معصية ليست مؤبدة عليه، بل لم تصاحبه حين أنجب باكورة بنيه، فقد غفرها الله له وتاب عليه وهداه، وبراه منها بمنه وفضله وكرمه. قال الله تعالى: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي﴾^(٢) ولهذا لم يتحدث القرآن الكريم عن أية معصية وقعت من آدم بعد هبوطه إلى الأرض، وبعد أن اجتباه ربه وتاب عليه وهداه، وحين أنجب آدم كان طاهراً مطهراً متوباً عليه مهدياً للعمل الصالح. إذن فكيف يورث آدم بنيه خطيئة كان هو قد برىء منها؟ وإذا كان قد غفر لآدم وهو الجاني الحقيقي للمعصية، فكيف يؤخذ عليها بنوه، وهم لم يجنوا تلك المعصية، ولا كانوا موجودين ساعة وقوعها، وإنما كانوا ذرية من بعده؟ وعقيدة الخطيئة الموروثة كانت معول هدم في

(١) سورة طه آية ١١٥.

(٢) سورة طه آية ١٢٢.

صرح الكنيسة وقت عصر التنوير في أوروبا (النصف الثاني من القرن الثامن عشر) فصارت منفذاً واسعاً للطعن في سلطان الكنيسة والتمرد عليها، وانصرف الناس عنها.

ولدحض هذه الفرية أعود إلى كتاب الله العظيم الذي يقرر الحق المتسق والمناسب مع العدل والعقل والفطرة، وهي سنة الله التي لن تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً. قال تعالى: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (١) وقال الله تعالى ﴿لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (٥) وبنظرة ثاقبة لما تدل عليه هذه الآيات الكريمة نجد أنها دلت على مبادئ تشريعية محددة، منها أن الذي يعمل عمل صالحاً فثمره عمله له دون غيره، وأن الذي يقترف اثماً أو جرماً فعلى عاتقه هو تقع المسؤولية ولن يسأل بريء عن ذنب عاص أو مجرم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً﴾ (٧) هذا هو العدل والحق والانصاف وهذا هو المبدأ الإسلامي العادل،

(١) سورة الأنعام آية ١٦٠.

(٢) سورة النور آية ١١.

(٣) سورة المدثر آية ٣٨.

(٤) سورة النجم آية ٣٩.

(٥) سورة فصلت آية ٤٦.

(٦) سورة البقرة آية ١٤١.

والذي قرره قبل اربعة عشر قرناً هو الذي تأخذ به كل نظم العالم مسلمين وغير مسلمين، فإذا أجرم أب فلا يعاقب معه بنوه بهذا تقضي كل محاكم العالم ونظمه وقوانينه على اختلاف منازعها وأحوالها، وهو ما قررته وأخذت به لجنة حقوق الإنسان، حيث جعلت من حق الإنسان الا يساء إليه بسبب عمل ارتكبه غيره، وإذا حدث وأضير إنسان بذنب لم يجنه هو بل جناه غيره عد هذا خروجاً عن العدالة واعتداء على بريء. وهذا المبدأ الذي قرره الإسلام من المبادئ والقيم التي صار بها عالمياً صالحاً لقيادة كل البشر واطلالهم بظله الوارف. وبهذا تصبح عقيدة الخطيئة الموروثة - كما يدعون - واقعة شاذة كل الشذوذ، وليس لها سند أيضاً من الفطرة ولا من الواقع. وليس هناك خطيئة موروثة في الحقيقة والواقع، ولكن الخطيئة الموروثة الجديدة هي بدعة القول بهذه الخطيئة الموروثة^(١). نحض شبهة الإله المتجسد بقوله تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ المائدة ١٧. وقال تعالى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ (٢)

(٧) سورة لقمان آية ٢٣.

(٨) راجع: د. عبدالعظيم المطعني (الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة) مكتبة وهبة ص ٤٢-٤٧.

(٩) المائدة ايه - ٧٢

ثانياً : مجالات التربية

بنى الوجوديون نظامهم التربوي على الأسس والمفاهيم الوجودية ومن

أهم أهداف المنهج التربوي لديهم مايلي:

(١) الإيمان بالذاتية

(٢) الرفض التام للمباديء والقيم الخلقية.

(٣) التركيز على العلوم الإنسانية كالأدب والفلسفة والفن، فهي برأيهم

مصادر هامة تبرز حالات الاختيار، وتكشف عن طبيعة الإنسان وصراعه

مع الحياة. وتعبر عن ذاته وتجسد عواطفه ومشاعره.

(٤) المنهج الوجودي لايفضل الدراسة المهنية لأنها - بزعمهم - تهدف إلى

خلق شخص محدد ومصبوب صباً في قالب معين^(١) وإذا كان لا بد من

مزاولة الدراسة المهنية فلتكن المهنة وسيلة لاغاية، وسيلة لممارسة

الحرية وصنع الذات الفردية. وبناء على ذلك ظهرت النزعة الفردية في

التربية الوجودية في الغرب، واصطبغ التعليم بهذه الصبغة، وأصبحت

مهمة التربية غرس التفكيرالذاتي في أذهان التلاميذ والدعوة إلى

الاباحية التي لاتعترف بشيء غير شهوات الفرد ودوافع الأثرة والأناية

فأدت إلى وجود إباحية جنسية لدى الشباب في الغرب بعيدة كل البعد

عن قيم الخير والجمال. يقول الأستاذ كمال أحمد عون: «ومن المؤسف

حقاً أن يكون ما يشيع بين بعض شباب الجامعة المخدوع بكل

جديد، هو هذا اللون الأخير بما فيه من سوءات، ولقد استفاضت

(١) راجع: د. محروس سيد مرسي (التربية والطبيعة الإنسانية) دار المعارف. مصر ص ٢٠٩-٢١٨.

العبرة الماثورة كتابة عن الطالب الجامعي وفيها يتبجح بأنه سينشيء ولده بلطجياً إن كان، وبنته عاهرة إن شاءت، وقريب من ذلك عن زميلات له وزملاء. ثم هذه كتابات أولئك الاباحيين، تحمل وزرها، وتتولى كبرها صحافة متعددة الألوان والأسماء، تقدم سمومها جرعة بعد جرعة لتسري بطيئة خبيثة في الأوصال مع ما فيها من تناقض واسفاف وبذاءة. ومن خبت منهج هذه الكتابات، أنها لاتحمل طابع الجحود الصريح دائماً، وإن دلفت إليه في دروب ومنعطفات، فقد تعدد إلى الرواية عن آخرين، تهرباً من عهدة ماتقول من كفر وضلال مبين، وقد تلجأ إلى الأفاصيص الماجنة التي تغري الناشئة بالانطلاق في الشهوات والانتقاض على ماتعارف عليه الناس من عرف وأخلاق، أو المقالات التي تجنح إلى الشك والتشكيك فيما يتصل بالدين من عقائد وفضائل و«آداب»^(١) والآن بعد أن عرفنا اعتقادات الوجوديين وكيف استغلوا الأدب والتربية في الترويج لهذه المعتقدات نرى آثار هذه المعتقدات على المجتمعات الغربية على الفرد والمجتمع.

(١) كمال أحمد عون (قبس من الايمان وحساب للملاحدة والوجوديين) دار العلوم للطباعة والنشر ط٢ ١٩٨٣ ص٤٧.

الباب الثالث

آثار الوجودية على الفرد والمجتمع وموقف الإسلام منها

ويتضمن ثلاثة فصول

الفصل الأول الآثار العقيدية والفكرية.

الفصل الثاني الآثار النفسية والجسدية.

الفصل الثالث الآثار الأخلاقية والاجتماعية.

الفصل الأول

الآثار العقدية والفكرية

ويشتمل على خمسة مباحث

أولاً الكفران بالعقائد.

ثانياً التنكر للحقائق.

ثالثاً فتح الباب للشيعوية.

رابعاً واجهة من واجهات الصهيونية.

خامساً فتح باب الإلحاد على مصراعيه.

الفصل الأول

الأثار العقيدية والفكرية

للوجودية آثار عقيدية وفكرية على الفرد والمجتمع تتمثل بمايلي:

أولا : العمران بالعقائد

مر بنا أن الوجودية تقوم على فرية رئيسية هي (الوجود أسبق من الماهية). ويهدف الوجوديون بهذه الفكرة القضاء على القيم الروحية، وإلغاء الدين ومبادئه، والانطلاق في الشهوات دون مبالاة، وبلا وازع، وهذه الأهداف مبنية على نظرتهم التشاؤمية، حيث يرون أن الحياة مجرد فخ أو شرك وقع فيه الإنسان، فلا عون ولاسند له سوى نفسه. فالإنسان في هذه الحياة هو الماء والطين والجسد، وليس وراء ذلك من شئ. والواقع ليس فيه سوى الهموم والقلق والضيق واليأس^(١). وقد أدت هذه الأهداف السيئة والدعاوى الباطلة إلى الكفران بالمعتقدات الحقّة التي تنزل بها الوحي وحملها رسل الله الذين توافدوا إلى هذه الدنيا لتربط البشرية الحائرة بربها، فتصلها برب غفور رحيم لطيف كريم.

لقد أعلنت الوجودية أن الله غير موجود، ومع أنه لا يجوز توجيه النفي إلا إلى الموجود، فقد زعم بعض رجالها الملاحدة أن الله - تعالى الله عما

(١) راجع: د. عبدالمقصود عبدالغني، (الاتجاهات المعاصرة في الفكر الإسلامي)، ص ٤٠٦.

يقولون علواً كبيراً - قد مات، وبناءً على إنكارها وجودها - رب العزة والجلال والكبرياء - كفرت بالأنبياء والرسل والكتب المنزلة، كما كفرت بالإيمان بالقدر الذي خطته الإرادة العليا ليكون السبيل الذي لا سبيل سواه في رسم ما كان وما هو كائن وما سيكون. كما كفرت بعقيدة (البعث)، فأنكرت قيام الناس لرب العالمين في يوم يجتمع فيه الناس في ساحة الحق والعدل، للسؤال والحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار. وهي بهذا أحد التيارات التي تكفر كفوفاً بيناً بكل ما تحمل الرسالات من عقائد إيمانية، فحين نأت بالإنسان أن يكون عبداً لكائن في الأرض أو لعنصر في السماء، فحررته من العبودية لله رب العالمين، فإذا بها تجعله عبداً ذليلاً لشهواته ورغباته مضطرباً خائفاً من نفسه، وولده، وزوجته، ومن الرقم ١٣، ومن القطة السوداء.

لقد قطعت الوجودية صلتها بالله سبحانه وتعالى، وذلك بكفرها به وبالعقائد السماوية، فأصبح الإنسان الوجودي يمشي بغير هدف، ويمضي لغير غاية، لأن العالم كله خداع، وأن الإنسان موجود بلا سبب، والحياة بهذا المفهوم وهم كبير، وظلام أكبر، فعاش الإنسان الوجودي مرارة اليأس والظلام ومدافعة المصير المحتوم، والجري وراء متاع الدنيا ومفاتها،

والاستسلام لعواصف القلق والحيرة والشك والوساوس والهموم^(١).

لقد عزلت الوجودية الإنسان عن كل ركيزة يمكن أن تحميه أو تملأه بالثقة. هذه الركيزة لا تأتي إلا من مصدر واحد هو الدين. ومن ثم كان إنكار الدين وما جاء به منطلقاً للعدمية التي تفجر كل أنواع الخوف والرعب، وهذا هو مصير جميع النظريات المهمومة التي تتحرك من فراغ، ولا تجري في دائرة التوحيد والإيمان بالله، والتماس منهجه في الحياة والعبادة، وأنها لاتصل بالإنسان إلا إلى مزيد من القلق والاضطراب لأنها لم تجد طريقها الصحيح.

□ موقف الإسلام:

بعد أن عرفنا أثر الكفران بالعقائد، نشير إلى أن الدين الإسلامي قد جعل للوجود الإنساني رسالة وغاية وهدفاً وأمانة ومسئولية، وأن الحياة ليست عبثاً، وليست لعبة، وليست مصادفة بحال.

فالإيمان بالله الواحد الخالق المدبر الذي يرجع إليه الأمر كله هو المصدر الوحيد للأمن والسكينة، وسوف تفشل كل الحلول التي تستمد مصادرها من فلسفات باطنية أو غيرها. فالدين الإسلامي يجعل الإنسان، يسلم وجهه لله أولاً، ويعتقد بأنه الخالق، وبأنه صاحب الإرادة العليا، وأنه خلق الإنسان لغاية، ورسم له منهجاً، فإذا ما التمس الإنسان غايته ومنهجه

(١) راجع: الاستاذ/علي لبن، (الغزو الفكري في المناهج الدراسية)، دار الوفاء بالمنصورة، ص ٨١.

طابت نفسه واستقرت، وإذا ادعى الإنسان أنه سيد نفسه، وأنه القادر على إدارة الحياة ساخراً من المنهج الرباني فإنه سوف يلقى هذا الألم الذي يسحق نفسه سحقاً دون أن يقر له قرار.

إن الإيمان بالله إذا حل في النفس، حلت معه الثقة والتفاؤل، فالإيمان بالله قوة دافعة تعطي الأمل، وتحول دون اليأس، وتبعث الثقة، وتحدد الهدف من هذه الحياة، والرسالة الحقة التي جاء إلى هذه الأرض من أجلها، ولذلك دعا الإسلام إلى النظر في ملكوت السموات والأرض، ذاكراً عظيمة صنع الله وجلال قدرته، وهذه وحدها هي القوة التي تملأ النفس باليقين.

إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى سلوك كامل في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان، يرضي بها الله، ويبتعد بها عن محرماته. والإيمان بالله لا يتجزأ، فهو الإيمان بالحق كله، الإيمان بوجود الله خالق هذا العالم، وبكل ماله من صفات الكمال من الوحدانية، والخلق والتدبير والرحمة. هو عالم الغيب، والإيمان بالرسالات الإلهية، وبجميع الرسل والأنبياء، وجميع ما أنزل إليهم، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وبالتدبير الإلهي المحيط بكل شيء. ومن شأن هذا الإيمان أن تتحقق معه محبة الله والخشوع

لجلاله، والعمل بحسب أوامره ومراقبته^(١).

وسنرى في الباب القادم (إن شاء الله) أثر العقيدة في نهوض الفرد

والأمة.

ثانياً : التنكر للحقائق

لقد أُرجمت الوجودية في العالم بأسره بأباطيل أرادوا بها تغيير ميزان الحق الذي قامت عليه الأرض والسماء، يوم أن روجت لأباطيل كاذبة، وأوهام ساذجة، وُزعمت أنها السبيل الأقوم في هذه الحياة، ودعت أتباعها إليها، ومن ذلك تنكرها للحقائق التي اصطلح عليها عقلاء الناس، فأصبحت ميزاناً توزن به تحركاتهم، من ذلك:

❶ دعواهم إلى أن الوجود أسبق من الماهية. وهذه فرية انفردوا بها في عصرهم مجارة لأسلاف لهم شاركوهم نفس القول، وأشاعوا مثل هذا القول في عصر ما قبل سقراط. وهذه الفرية تنكر لحقيقة لايجادل فيها إلا مكابر، وهي أن للإنسان وجوداً قبل هذا الوجود، وهو وجوده في عالم الذر يوم جمع الله الإنسانية في هذا العالم الغيبي، وأشهدها على أنفسها بأنه ربها، فشهدت بذلك، كما أنها تنكر أن وجود الإنسان المادي غير مسبوق بهذا الوجود الذي خط للإنسان مسيره في هذه الحياة، وبين أجله ورزقه وشقاوته

(١) راجع: أنور الجندي، (معلمة الإسلام)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص ٣٦٩-٤١٠.

وسعادته.

❏ إنكار القيم والعادات والتقاليد التي أتى بها الدين، واصطاح عليها عقلاء الناس، فقد تنكرت الوجودية لكثير من القيم والمبادئ الإنسانية التي أقرها المجتمع الإنساني، وعد الخروج عليها خروجاً على المؤلف المتعارف بين الناس، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

(١) دعواهم أن قيم الإنسان صنعة نفسه، فليس على الإنسان ضير في مخالفة ما التزم به المجتمع، ويعتبرون ذلك تحقيقاً للوجود الإنساني، فلإنسان أن يفعل مايشاء ويترك مايشاء، رائده في ذلك نفسه، وإن أنكر عليه المجتمع فعله، فالحسن هو مايراه الإنسان الوجودي حسناً، وإن استقبحه العالم بأسره، ولقد سبقهم إلى ذلك (السوفسطائيون)^(١) فأشاعوا الفساد والضلال في هذا المجتمع بفريتهم الأثمة حين روجوا في البلاد أن الإنسان مقياس الخير والشر في نفسه، فأنشأوا بهذا الهراء جيلاً عم به الظلام في بلاد اليونان، كما أفقدوا المعايير الخلقية هويتها.

(ب) دعوتهم أن التمسك بالقيم حجر على الحرية المطلقة التي نادوا بها، فاعتبروا أن التمسك بالقيم سجن لحياة يلاحقها الموت في أية لحظة،

(١) جماعة ظهرت في القرن الخامس وأوائل الرابع قبل الميلاد، ويعدون من الحكماء، وهم المكشوف عنهم الغيب - بزعمهم- أصحاب الرؤى والدعاوى - على حد زعمهم - فشن أفلاطون وأرسطو حرباً ضدهم فأصبح السوفسطائي عنواناً على المغالطة والجدل العقيم وإخفاء الحقيقة. راجع: موسوعة الفلسفة، د.عبدالمنعم الحفني، ص٢٤٩.

حتى وصل بهم القنوط واليأس من هذه الحياة إلى رؤيتهم أن الحياة ستنتهي بقنبلة ذرية في أية لحظة، وبناء على ذلك فقد دعوا إلى الاستمتاع بالحياة بأية صورة وعلى أي شكل، وبالتالي فلا مكان لقيم عامة يلتزمون بها.

وهذه دعوة ماجنة يبرأ منها الذوق والعقل، ولا يستقيم بها أمر الحياة، إذ أن الإنسان لبنة في بناء المجتمع، تحكمه شريعة صالحة لكل زمان، وبكل مكان، ولا يشك من في قلبه ذرة من إيمان وعقل أن دعوى الوجودية هذه قد قامت على الكفر والإلحاد، وعدم الاعتراف بوجود الله (استغفر الله العظيم)، في حين أننا نجد ديننا الإسلامي يقوم أساساً على الإيمان بوجود الله ومعرفته، واحداً أحداً، فرداً صمداً، منزهاً عن الشريك والولد. ولقد فطر الله عز وجل الإنسان على ذلك - كما بينت سابقاً - بل إنه أشهد كل إنسان على نفسه، أنه ربه وخالقه حتى يسد الطريق على الوجوديين وأمثالهم يوم القيامة، حيث يتنكروا للحقائق ويقولون كما حكى الله عن أمثالهم : قال تعالى:

﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾^(١).

(١) سورة الاعراف، آية ١٧٢.

ثالثاً : فتح الباب للشيوعية (١)

الشيوعية مذهب مادي لا يعترف إلا بكل ماهو مادي محسوس، ويجحد كل ما وراء المادة، فلا يؤمن بالوحي، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يؤمن بأي نوع من أنواع الغيب، وبهذا ينكر الأديان جملة وتفصيلاً، ويعتبرها خرافة من بقايا عصور الجهل والانحطاط والاستغلال. وفي هذا قال مؤسس الشيوعية (كارل ماركس) كلمته المعروفة «الدين أفيون الشعوب»^(٢)، وقد مر بنا سابقاً أن الوجوديين يؤمنون إيماناً مطلقاً بأفكار الشيوعية السالفة الذكر، ويتفقون معها في الدعوة إلى الانحلال الفكري، وما يترتب عليه من تفكك الأواصر، وانعدام الثقة، واختلال الأمن، وفي دعوة الشباب أيضاً بأن يعيش في حيرة وقلق واضطراب، وفي الدعوة أيضاً إلى إطلاق عنان الشهوة وروح المغامرة. ولا يخفى أن الصلة وثيقة بين الشيوعية والوجودية، فالشيوعية تبتدئ من نقطة الإباحة والثورة على الأديان، والانطلاق من كل القيود الخلقية، ويقرر الوجوديون أن الأديان ليست إلا اتفاقات اجتماعية لتقييد الإنسان، والأخلاق ليست إلا اعترافات وهمية لهدم الحرية الإنسانية، فإذا وصل الوجوديون إلى تثبيت هذه الحقائق في الشباب، وفرغت نفوسهم من الحقائق الدينية والضوابط الخلقية، أصبحت محتاجة إلى ما يملأ هذا الفراغ وهو الشيوعية.

(١) الوجودية أسبق من الشيوعية في غالب رأي الباحثين، حيث إن جذورها تمتد إلى سقراط (٤٧٠-٣٨٩ ق.م)، أما الشيوعية فتمتد جذورها إلى مزدك (٤٨٧-٥٢٣ م). راجع الموسوعة الفلسفية، د. عبدالمنعم الحفني ص ٢٤٤، ص ٤٣٨.

(٢) راجع: د. عبدالرحمن عميرة، (المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها)، ص ١٤٤.

ورغم أن الشيوعية - قد انهارت في عقر دارها - ولله الحمد والمنة، إلا أنني أقول إن من أهم الطرق لمحاربة الشيوعية هو هدم الوجودية ومنعها من البقاء. فهي حين أوجدت فراغاً في الدين والأخلاق، فتحت الباب للشيوعية لملء الفراغ النفسي الذي يشعر به معتقوها.

ولا خلاص من هذه المبادئ الهدامة، إلا بالعودة إلى حبل الإسلام المتين، مصداقاً لقول الرسول ﷺ: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وسنتي)^(١). فالاعتصام بالإسلام وتنفيذ تعاليمه هو الطريق الوحيد للقضاء على هذه المبادئ الهدامة، أعازنا الله من البلاء إنه سميع مجيب.

رابعاً : الوجودية واجمة من واجمات الصهيونية

تسعى الصهيونية العالمية للسيطرة على النظم الدينية والأخلاقية، وذلك لهدف كبير هو السيادة على العالم، والسيطرة عليه وتسخيره. وقد اتخذت الصهيونية طرقاً كثيرة لتحقيق مآربها، وتنفيذ أهدافها من أهمها^(٢):

(١) محاربة الأديان جميعاً.

(٢) زرع الجمعيات السرية.

(١) أخرجه مالك في الموطأ. كتاب القدر (٤٦) باب (١) النهي عن القول بالقدر ص ٥٦٠ حديث (٣)،

وقال كتاب الله وستة نبيه. وأخرجه مسلم: فضائل الصحابة (٤٤) باب (٤) من فضائل علي

١٨٧٣/٤ حديث (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم، وفيه كتاب الله وأهل بيتي.. الخ. وأخرجه الترمذي

(المناقب) باب (٣٢) مناقب أهل البيت ٦٦٣/٥ حديث (٣٧٨٨) مثل مسلم.

(٢) لمزيد من الايضاح راجع كتاب العقاد (الصهيونية العالمية).

(٣) بث روح الإلحاد في العالم.

(٤) السيطرة على مجالات العلوم والفكر.

(٥) تدمير القيم الأخلاقية، واحتواء الفكر الغربي والسيطرة عليه.

(٦) الدعوة إلى سيطرة الفكر اليهودي والادعاء بأنه سيد العالم وسيسيطر عليه ويحكمه.

(٧) إختلاق فلسفات التشكيك والإلحاد واحتضانها والترويج لها كفلسفة دارون وفرويد ونييتشه وسارتر.. الخ.

(٨) عزل الدين عن كل عناصر الفكر والحياة.

يقول الأستاذ/ عباس العقاد في مقال عن الوجودية: «لن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لاشك فيها وهي أن أصبعا من أصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم، وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان. فاليهودي (كارل ماركس) وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان، واليهودي (دور كايم)^(١) وراء علم الاجتماع الذي يلحق الأسرة بالأوضاع المصطنعة، ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب. واليهودي - او نصف اليهودي - (سارتر) وراء الوجودية التي نشأت معززة لكرامة الفرد فجئح بها إلى

(١) أميل دور كايم (١٨٥٨ - ١٩١٧م) يهودي فرنسي يعد واضع علم الاجتماع. راجع: الموسوعة

الفلسفية، د. عبد المنعم الحفني، ص ١٨٣.

حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال»(١).

إن الوجودية واجهة من واجهات الصهيونية، واكبر شاهد على ذلك هو زعيم الوجودية (سارتر) الذي زار إسرائيل سنة ١٩٦٧م ومنحته شهادة الدكتوراة الفخرية، وكتب سارتر المسألة اليهودية، وشارك في المظاهرات، ووقع البيانات المؤيدة لإسرائيل، وبهذا اتضح لنا أحد الآثار السيئة لهذا الفكر الوجودي.

وصهاينة هذا العصر هم اليهود، الذين عرف عنهم العهر والفجور والفسق والدعارة وإباحة كافة اشكال الانحلال وتشجيعه، كما عرف عنهم قتل الأبرياء والغش والسرقة والطمع والحقد والغدر والمكر والنفاق ونكران الجميل والاستغلال والكذب والاعتداد بالجنسية، وعدم الاندماج مع الغير لأنهم كما يدعون (شعب الله المختار). قال تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾(٢)، وقال جل شأنه: ﴿وإذ تأذن ربك لبيعنن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾(٣).

□ موقف الإسلام من الصهاينة اليهود :

الصهاينة اليهود هم أعداء الإسلام، بالأمس واليوم، وقد سجل الله سبحانه

(١) العقاد، الصهيونية العالمية، مجلد ١٤، دار الكتاب اللبناني، ص ١٤١.

(٢) آل عمران، آية ١١٢.

(٣) الاعراف، آية ١٦٧.

وتعالى عداوتهم للمؤمنين في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١)، والأمثلة على ذلك في التاريخ كثيرة. فعندما انتصر المسلمون في معركة بدر الكبرى، أكل الحقد قلوب اليهود، فاتجهوا إلى سلاحهم التقليدي، وعمدوا إلى التفرقة بين صفوف المسلمين بالمدينة، وأخذوا يحيكون المؤامرات والذسائس، ويعملون على إيقاد نار العداوة والبغضاء بين قبيلتي الأوس والخزرج. فقد مر أحد زعمائهم على شباب من الأوس والخزرج، قد جمع الإسلام شتاتهم، ووجد تحت راية التوحيد صفوفهم، فأصبحوا بنعمة الله إخوانا، بعد حروب مريرة وطويلة دارت رحاها بينهم في الجاهلية، سفكت فيها الدماء، وقتل فيها من قتل، فغاضه ذلك فأرسل إليهم من شباب اليهود من نكروهم بالحروب التي دارت رحاها بينهم وبخاصة موقعة (بعث) التي انتصرت فيها قبيلة الأوس على الخزرج، فحميت نفوس القوم، وعلم الرسول ﷺ بأمر هذه الفتنة، فذهب إليهم وأمرهم بإلقاء السلاح وعانق بعضهم بعضا، وأيقنوا أنها كيد من عدوهم، ونزغة من الشيطان، وانصرفوا مع النبي ﷺ سامعين مطيعين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) المائدة، آية ٨٢.

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً^(١).

ومن أجل هذه المؤامرات، أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة، فأجلى بني قينقاع إلى الشام، وأجلى بني النضير إلى خيبر، وذهب بعضهم إلى الشام، وقبائل بني قريظة جزاء غدرهم وخيانتهم ونقضهم العهد مع الرسول ﷺ وانضمامهم سراً إلى الأعداء في غزوة الأحزاب. ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلى بني النضير عن خيبر وطهر جزيرة العرب من شرهم ورجسهم. فهم قتلة الأنبياء، وأكلة السحت، وعبداء العجل، وإخوان القردة والخنازير.

أما عداؤهم للدعوة الإسلامية، فقد تجلى في أمور كثيرة منها:

(أ) إنكارهم أن تكون هناك رسالة في غير بني إسرائيل، ولا ينبغي أن يكون الرسول من الأميين (والأمميون هم من عداهم).

(ب) إنكارهم البشارة بالنبي الأمي محمد ﷺ في التوراة، بعد أن غيروا صفاته الموجودة عندهم بالتوراة، والتي تنطبق عليه تمام الانطباق، فحرفوا وبدلوا.

(ج) ظهر عداؤهم للنبي ﷺ والمسلمين في صور شتى، ومظاهر متعددة في

(١) آل عمران، آيات ١٠٠ - ١٠٣.

الاستهزاء. قال تعالى: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾^(١). وتجلى هذا العداء في أبشع مظاهره في محاولتهم اغتيال النبي ﷺ وهو في ديارهم بإلقاء الحجر عليه، أو دس السم له، وعدم تعاونهم مع المسلمين في تنفيذ المعاهدة التي أبرمها الرسول معهم بعد الهجرة، وفي نقضهم للعهد، وتحرشهم بإحدى نساء الأنصار في السوق، وفي إيذاء المسلمين اقتصادياً باحتكار السلع والثروة، وفي تأمرهم مع المشركين الذي أدى إلى غزوة أحد، وفي تأليبهم الأحزاب حتى حاصروا المدينة في غزوة الأحزاب، وفي حرصهم على إنشاء جبهة ثالثة لمحاربة المسلمين، وهي جبهة المنافقين بقيادة عبدالله بن أبي سلول^(٢).

هذا وقد حرص اليهود على العمل بكتابهم (التلمود) الذي وضعه حاخامتهم بدلاً من (التوراة) المنزلة، وزعموا أنه أفضل من التوراة لأن ماجاء فيه من تعاليم تحقق أغراضهم التوسعية التي تستهدف في النهاية الاستيلاء على العالم كله، تحت تاج ملك واحد من نسل داود، كما قرروا ذلك في أول مؤتمر للصهيونية عقد في شهر أغسطس ١٨٩٧م في مدينة (بال) بسويسرا، وحضره ثلاثمائة ممثلون خمسين جمعية يهودية من أغنى عتاة الصهيونية العالمية، برئاسة الصحفي النمساوي الملقب بنبي الصهيونية (تيودور هرتزل).

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٦.

(٢) راجع: بسيوني رسلان، محاضرات في الثقافة الإسلامية، مطابع الأنوار بالرياض، ص ٤٥ - ٤٧.

خامساً : فتح باب الإلحاد على مصراعيه

بعد أن كفرت الوجودية بالعقائد الإيمانية، عشعش الإلحاد في القارة الأوربية، وانتشر بين الشباب والشيوخ، وأقبلوا على كل دعوة وفلسفة، ضاربين بالإنسانية، وبالقيم الروحية وبالآديان، متحررين من كل قيمة وقيد، متبجحين بإنكار وجود الله سبحانه وتعالى، ونفي أن الله سبحانه هو الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه خالق الكون ومدبره.

والباحث عن أسباب الإلحاد قديماً وحديثاً يدرك أن السبب الرئيسي للإلحاد في كل عصر هو تأليه المحسوس، ونفي وجود الله سبحانه وتعالى. إلا أن كون الإلحاد ظاهرة خطيرة غير عادية في حياة البشر مما نتج عنه قوه الضعف والغفلة والقصور والفراغ النفسي الذي يحيط بالمجتمع، وتجعل الباحث أيضاً يبحث عن أسباب أخرى للإلحاد في أوروبا منها(١):

١ تحريف الكنيسة الأوربية لدين النصارى المنزل من عند الله:

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى (الإنجيل) على سيدنا عيسى عليه السلام، وأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى، وبين لهم الشرائع التي ينبغي أن تسودهم ويحتكمون إليها بأمر من عند الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة

(١) راجع: الشيخ/ محمد أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، ص ١٩٠-٢٤٠.

ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئناكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون﴾ (٢). فقامت الكنيسة بالتحريف والتشوية بتعاليم الدين الإلهي من ناحيتين:

(١) في العقيدة حيث ألهمت المسيح عليه السلام، وجعلت الله ثلاثة بدلاً من واحد، باسم الأب والابن وروح القدس. قال الله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم... الآية﴾، وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم﴾ (٣)

(ب) في الشريعة حيث أبطلت الكنيسة الحكم بما أنزل الله إلا بعض الأحوال الشخصية، أما بقية أمور الحياة فقد سادتها قوانين رومانية. قال تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (٤).

٢ وقوف الكنيسة ضد الحركة العلمية:

وقفت الكنيسة موقفاً ظالماً ضد الحركة العلمية التي بدأت تنشأ في

(١) سورة المائدة - آية - ٧٢

(٢) سورة آل عمران، آية ٥٠.

(٣) سورة المائدة، آية ٧٢-٧٣.

(٤) سورة المائدة، آية ٤٧.

أوروبا بعد احتكاكهم بالمسلمين في الأندلس وأفريقيا وصقلية وجنوب إيطاليا الإسلامي، وذلك يرجع لأمرين^(١) هما:

(١) خوف الكنيسة على مكانتها المقدسة في نفوس الجماهير، فقد كانت الكنيسة قائمة على تعاليم وخرافات مفادها أن هناك أموراً لا يدركها إلا رجال الدين، ومن ثم على الناس الخضوع والانصياع لهم، فهم كفيلون بتقريبهم إلى الله ليغفر لهم ذنوبهم، ومن هذا المنطلق خشيت الكنيسة على مكانتها تلك بعد انتشار العلم وتفتح الناس.

(ب) خوف الكنيسة من انتشار الإسلام في أوروبا، فعندما أرسل الأوربيون أبناءهم إلى المدارس والجامعات الإسلامية، قاموا بنقل العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى القيم والمبادئ الإسلامية، فخشيت من انتشار الإسلام فقامت بمحاربة العلماء الأوربيين الذين تأثروا بعلوم المسلمين، حتى وصل بهم الأمر إلى التهديد بالقتل والتعذيب بالإحراق بالنار حتى الموت إذا لم يتراجعوا عن الأفكار الإسلامية. وهذا في حد ذاته انحراف خطير بالغ الأثر في الحياة الأوربية حيث نتج عنه ظهور (العلمانية)، التي من أهم أسبابها فصل العلم عن الدين، وإيجاد عداوة بين الدين والعلم،

(١) راجع: د.توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ط٢، مكتبة مصر، ١٩٥٨م، ص٢٦٧ - ٢٧٥.

وبين المتعلمين ورجال الدين.

٣ تسلط الكنيسة ورجالها:

طغت الكنيسة على أرواح الناس وعقولهم وأموالهم وأجسادهم، ففرضت عليهم احتكار الوساطة بين الناس وبين الله، وزعمت أن زعيم البابا يضمن المغفرة للناس عند الله مقابل دفع مبلغ من المال، ويصدر صكوكاً سماها (صكوك الغفران) وفرضت عليهم العشور في أموالهم لتقديمها لرجال الدين، وفرضت عليهم السخرة، وهو العمل في فلاحه الأرض المملوكة للكنيسة يوماً واحداً في الأسبوع دون مقابل، كما فرضت عليهم الخضوع المنزل لرجال الدين. وكان لهذا كله الأثر البالغ في تغيير الناس من الكنيسة، وبالتالي من الدين.

٤ دور الصهيونية في إفساد الحياة الأوربية:

رغم ما قامت به الكنيسة من دور بالغ في الإفساد والانحراف، إلا أن اليهود كان لهم الدور الأكبر في دفع الفساد إلى الأمام. قال تعالى: ﴿ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾^(١). ولا يخفى الدور الكامل الذي قام به اليهود في إفساد الحياة الأوربية توطئة وامتداداً لإفساد الحياة البشرية جمعاء، فقد كانوا خلف كل نظرية ومذهب ومبدأ يدعو إلى التحلل من الدين والأخلاق والتقاليد. وهم الذين نشروا الربا، وأغروا المرأة بالعمل بجانب الرجل في المصانع، ونشروا المبادئ التي تحطم كيان الأسر والمجتمعات،

(١) سورة المائدة، آية ٦٤.

تحت شعارات زائفة كالحرية والإخاء والمساواة. وانتشرت الجماعات الشاذة كجماعة الهبيز والخنافس.. الخ من المفاسد والرذائل التي صاغها وأوجدها صهاينة العصر الحاضر.

هذه هي بعض الأسباب المؤدية للإلحاد في أوروبا، والوجودية إحدى الحركات الهدامة التي نشأت فيها، وتنكرت للحقائق، وكفرت بالعقائد الإلهية، وبالقيم الإنسانية، ففتحت بذلك الباب على مصراعيه للإلحاد الذي هو ضرب من الانحراف الفكري والميل عن الطريق المستقيم في العقائد والشرائع الإلهية. وقد فعلتها الوجودية، فقالت في الله قولاً آثماً كافراً فاجراً، كما افترت على العقائد الإلهية التي تنزل بها وحي الله تعالى فأنكرتها وتنكرت لها، وقد وضحت ذلك سلفاً بما لا يدع مجالاً للتكرار الثقيل على النفس.

ولهذا نؤكد أن من أهم آثار الوجودية الفكرية فتحها للإلحاد على مصراعيه، مما أثر هذا الإلحاد في نفوس الوجوديين تأثيراً سلبياً، حولهم إلى قطع من السائمة لاهم لهم إلا إرضاء شهواتهم، ولا أمل لهم في يوم أو غير، كما أفقد الإلحاد الإنسان الوجودي حصنه وملأه: فإذا كان الإيمان حصن المؤمن فإنه لاحصن لوجودي لأنه لا إيمان له. أما الإسلام فإنه قد دعا أمته إلى البعد عن الكفر والإلحاد، وأقام حياتها على الإيمان بالله حصناً وملأه، فإذا أصاب المسلم ضراء لاذ بحمى الله فوجد فيه أمنه وطمأنينته، وحارب الأوهام والخرافات، وشعر الإنسان المؤمن بمسئوليته أمام الله ليندفع إلى

اشرف الأعمال وانبلها.

إن الوجوديين الذين فتحوا باب الإلحاد هم من المجرمين الشهوانيين، والمستكبرين المغرورين، ذلك أنه قد تطفى على الإنسان شهواته وملذاته وأنانيته، فيحاول الهروب من بعض الحقائق التي يشعر بها في قرارة نفسه، إرضاء لغرائزه وشهواته التي أخذت صبغة الانحراف والشذوذ، أو إرضاء لأنانيته في كبره واستعلائه وحبه للسيطرة والإجرام، لأن الإلحاد بالله وإنكار وجوده بعد وضوح الدلائل ليس إلا تهريباً من الفضيلة والحق والخير والجمال، لتبرير أعمال الرذيلة والظلم والقبح وقلب الحقائق، وإرضاء للنزوات والغرائز والشهوات الجانحة الجامعة.

إن الملحد ليلحد بالله الحق، ثم تراه يجري وراء أوهام تافهة لا حقيقة لها في الواقع، على توهم أن لديها بعض اللذائذ والشهوات النفسية، أو بعض الإصلاح الفردي أو الجماعي. إنني أتساءل ما هو شعوره، أي وجودي ملحد إذا تراكبت عليه الهموم والأحزان والمصائب، وصدمة المخاطر من كل جهة، فلم جد سبباً مادياً ينقذه؟.

إن هذه المخاطر والمصائب التي تحصل على الوجوديين الملحدين، والتي لا يجدون لها سبباً مادياً، هي من أعظم التجارب التي تكشف عن فطرتهم الأولى السليمة الصافية، والتي دخل إليها - فيما بعد - دخيل الفساد والشذوذ والإجرام.

إن هذه التجارب لتكشف عن فطرتهم، فيعلنون - من حيث يشعرون أو لايشعرون - أن الله ورائهم محبط، هو الواحد العليم، القادر المرید، المتصرف بكل شئ. إنهم ينادون الله بعد إلحاد، ويلتمسون إنقاذه وعونه بعد كفر، ثم إن الله تعالى - كدليل على وجوده وقدرته واستجابته لدعوة المضطر إذا دعاه، ينقذهم وينجيهم، حتى إذا وصلوا إلى شاطئ السلامة، ووضعوا أقدامهم على البر الأمن في نظرهم، إذا هم يكفرون، ويعودون إلى سيرتهم الأولى.

تلك هي نفوسهم المجرمة، التي لم تلحد بالله لأنها لم تجد الدليل على وجوده، ولكنها أحدثت به لترضي استكبارها وشهواتها، فهي لاتدعن إلى الله إلا في الشدائد والمآزق، فإذا أنعم عليها وأنجاها أحدثت به.

وقد صور الله حال الكافرين في قوله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ (١) ، وفي قوله تعالى: ﴿وإذا أنقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا، قل الله أسرع مكرا، إن رسلنا يكتبون ماتمكرون. هو الذي يسيركم في البر والبحر، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من

(١) سورة الإسراء، آية ٦٧.

الشاكرين. فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق. يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا، ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون^(١).

وحيث يلحد الوجوديون، ويفتحون باب الإلحاد فإنهم لن يضرروا الله شيئاً، ولكنهم يخسرون أنفسهم، ويخسرون سعادتهم، ويخسرون مجدهم وعزتهم وقوتهم في الحياة الدنيا، وهذا ما اعترف به عقلاء الشعوب التي كفرت بربها.

هذه أهم الآثار العقيدية والفكرية لهذا الفكر الهدام، ومنتقل الآن إلى الآثار النفسية والجسدية.

(١) سورة يونس، آية ٢١-٢٣.

الفصل الثاني

الآثار النفسية والجسدية

ويشتمل على خمسة مباحث

أولاً اشاعتها الفلق .

ثانياً اشاعتها الخوف .

ثالثاً اشاعتها الفوضى .

رابعاً دعوتها الى الانتحار .

خامساً انتشار الأمراض الفتاكة .

الفصل الثاني

الآثار النفسية والجسدية

للوجودية آثار نفسية وجسدية مدمرة، فهي مرض خطير ينتاب الإنسانية، عليها أن تحاول الخلاص منه، وهي ذات مضار لا يقتصر مداها على الفرد وحده، بل يمتد إليه وإلى المجتمع من حوله. كما لا يقتصر أثرها على المجتمع المعتقد لمبادئها الهدامة، بل إنه ليمتد إلى المجتمعات التي يشاع فيها إفكها. وهذه إشارة موجزة لبعض آثار الوجودية النفسية والجسدية.

أولاً : اشاعتها القلق

لقد دعت الوجودية إلى القلق، واعتبرته حالة طبيعية في الإنسان، فالذي لا يقلق لا يعتبر - في منظورهم - طبيعي الوجود أو مستقيم الخلقة. ومن أهم نتائج قلقهم التوهم النفسي أو الجسمي، والاستهتار بالحياة، وكلها - على حد زعمهم - أمور طبيعية^(١). والمتمعن في منشأ هذه الدعوة عندهم يدرك أنه راجع إلى:

١ إنكارهم الإله:

إذ أن الإيمان بالله تعالى يربط على القلوب المؤمنة، فيودع في سويدائها يقيناً يبعدها عن القلق والحيرة والاضطراب، حتى لو لم يتبين

(١) راجع: د. خليل أحمد خليل، السارترية تهافت الاخلاق والسياسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٤٠٢، ص ٤٣.

المؤمن الحكمة مما دعاه ربه إليها، كأمر (موسى) عليه السلام التي أمرها ربه - متى خافت على وليدها - أن تلقي به في اليم حين ربط الإيمان على قلبها. قال تعالى: ﴿وَأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾^(١)، بعد أن ربط الله على قلبها فكانت من المؤمنين بحفظ الله تعالى ونصره وتأييده. قال تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾^(٢). وهكذا يفعل الإيمان في نفوس المسلمين فيغرس فيها الطمأنينة واليقين والثقة، بل إن الإنسان إذا ذكر ربه وهو في أحلك الأوقات رشح ذلك عليه اطمئناناً و يقيناً. قال تعالى: ﴿إلا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(٣).

❏ ٢ عدم إيمانهم بالأمر الغيبية:

عدم إيمانهم بالأمر الغيبية، وفصلهم الحياة المادية عن الحياة الروحية، فقد أقرت الوجودية عالم الحس والمشاهدة، لأنهما واقعان ملموسان، وتنكرت وجحدت عالم الغيب، فأوردها ذلك قلقاً وحيرة واضطراباً، ذلك لأن الإيمان بالغيب يؤدي إلى الثقة والاطمئنان والرضى بما قسم الله في هذه الحياة، حتى وإن كان نذراً يسيراً، فإن الإنسان إن لم ينل حظه كاملاً في الدنيا فأجره

(١) سورة القصص، آية ٧.

(٢) سورة القصص، آية ١٠.

(٣) سورة الرعد، آية ٤٨.

موفور في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وهذا على نقيض الإسلام تماماً الذي دعا أمته إلى الإيمان بالغيب فأورثهم أمنا واطمئناناً وقناعة بعدت عن القلق والحيرة والاضطراب.

والإيمان بالغيب يشمل كل ما كان غائباً عن الحواس ومن أهمها:

(أ) الإيمان بالملائكة. قال تعالى: ﴿أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه

والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ (١).

(ب) الإيمان بالجن قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (٢).

(ج) الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به من حقائق الموت، واشراط

الساعة، ويوم القيامة وأحداثه.

ثانياً : اشاعته الخوف

الخوف هو اضطراب النفس من شيء معين، وهو يخالف القلق الذي هو

اضطراب النفس من كل شيء.

وإذا كان الإيمان هو الأمان، فإن نفي الإيمان نفي للأمان، ونفي الأمان

يؤدي إلى الخوف. والوجودية بنزعتها الإلحادية قد أعلنت أنها ضد الإيمان

بكل صورته وأشكاله، مما أشاع الخوف، ونشره بين الناس المنتسبين إليها.

فإنسان الوجودية يخاف من نفسه، ومن يومه، ومن غده لأن الأمر كما يقول

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٥.

(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦.

الشاعر : محمد اقبال :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينه

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها بديلا

إن المؤمن قد سد أبواب الخوف كلها، فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم لأنهم لا يملكون له ضرا ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا. ولنا بقصة إبراهيم عليه السلام الدرس الكبير والموعظة الحسنة والقذوة الصالحة، حيث دعا إلى توحيد الله وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التي دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجباً: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً، فأبي الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون﴾^(١)، وقد حكم الله بين الفريقين بقوله: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾^(٢). والظلم هو الشرك، كما قال الله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾^(٣). وبذلك يكون الجحود بالله أو الشرك فيه أو الشرك به أعظم أسبابه إشاعة الخوف والاضطراب والرعب، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم

(١) سورة الانعام، آية ٨١.

(٢) سورة الانعام، آية ٨٢.

(٣) سورة لقمان، آية ١٣.

ينزل به سلطاناً^(١). والوجوديون الملحدون أكثر الناس خوفاً وإن أبدوا خلاف ذلك، فهم يخافون الزمن والكوارث والفقر والمرض والناس.

ثالثاً : اشاعتها الفوضى

الوجودية مذهب يعني بعدم وضع الضوابط والأنظمة التي تهذب مسار الإنسان في الحياة، كما أنها مذهب يتنافى تماماً مع وجود قيم عامة يلتزم بها أفراد البشرية جمعاء، واعتبار كل فرد أمة بذاته هو الفوضى بذاتها، التي تؤدي إلى الهلاك والاضطراب. يقول الأستاذ العقاد: «أما الوجودية فالاضطراب في قواعدها أشد من الاضطراب في قواعد الفوضوية، لأنها وجوديات كثيرة، لا وجودية واحدة، وربما تناقض الفيلسوفان الوجوديان في العصر الواحد والبلد الواحد، كما يتناقض الإيمان العميق والإلحاد السافر، أو كما يتناقض الزهد والإباحية، ولعل الكثيرين لا يفهمون منها إلا اللفظ عن الإباحية الأخلاقية المنطلقة من جميع القيود، فيقبلون عليها لأنها سند فلسفي يسوغون به ضعفهم وانحلالهم وهم يخجلون - أو ينبغي أن يخجلوا - من الضعف والانحلال بغير سند منسوب إلى الفكر والفلسفة»^(٢).

والإسلام ضد الفوضى والاضطراب تماماً، فقد جاء بتشريع حكيم انتظم سلوك الفرد والمجتمع، وتساوى أمامه الوزير والخادم، فسرى حكمه عليهم جميعاً على بساط المساواة. ولنا برسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثل الرائع حيث قال: (والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت

(١) سورة آل عمران، آية ١٥١.

(٢) عباس العقاد، كتاب أفيون الشعوب، دار الكتاب اللبناني، ص ٣٩٥.

لقطعت يدها^(١). بل إن الإسلام ليدعو القاضي المسلم إلى إشاعة الحق حتى لو كان الحق في جانب عدو لدود للقاضي. قال تعالى: ﴿... ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾^(٢)، فأدى ذلك بالأمة المسلمة إلى وجود نظام متكامل امتد خيره وبره، فنظم حياة المسلم الفرد في تعامله مع خالقه، وفي تعامله مع دينه، وفي تعامله مع مجتمعه، وفي تعامله مع أخيه الفرد المسلم، وفي تعامله مع غير المسلم من معاهد وزمي ومستأمن ومحارب.

رابعاً : دعوتها إلى الانتحار

من أعظم آثار الوجودية النفسية والجسدية المدمرة دعوتها إلى التخلص من الحياة بالانتحار، ولذلك يعد الانتحار ظاهرة منتشرة في المجتمعات الأوربية، فالنظر نحو المادية المفرطة، وتفكك الروابط الأسرية، والعلاقات الاجتماعية، وانتشار الأمراض الفتاكة، أوجد إحساساً بالضيق، وانهاياراً نفسياً ينتهي بالانتحار، والهروب من جحيم تلك الحضارة وويلاتها. والوجودية الوجه الاجتماعي الغربي برغم أنها تدعو ابناءها إلى أنه لاجية لهم سوى هذه الحياة، وأن عليهم أن يعيشوها كما يحلو لهم أن يعيشوها، إلا أنها دفعتهم بمنهجها المعتل إلى اليأس والقنوط والقلق، ثم دعوتهم في النهاية إلى التخلص منها بالانتحار. يقول (كامي) احد زعماء الوجودية:

(١) أخرجه البخاري: الحدود(٨٦) باب(١٢) كراهية الشفاعة في الحد ١٦/٨ عن عائشة. ومسلم:

الحدود(٢٩) باب(٢) قطع السارق الشريف ١٣١٥/٣ حديث(١٦٨٨).

(٢) سورة المائدة، آية ٨.

«ليس ثمة إلا قصة واحدة تتمتع حقاً بصفة الجد وهي قصة الانتحار»^(١). ويقول عبدالرحمن بدوي: «... هذه الشخصيات الغربية الشائقة بأقوالها وأفعالها، وبخاصة فعلها النهائي الحاسم الذي قضت به على حياتها، فكانت فعلة وجودية من الطراز الأول، لابد أن تكون قد قامت على أسس وجودية، ونعني بذلك انتحاره بقطعه أحد شرايينه، وهو عمل إرادي واع لنفسه لا نكاد نجد له مثيلاً في تاريخ الفكر العربي»^(٢). وخير شاهد على ماقلته أيضاً مسرحيات سارتر وكامي اللاتي تنهيا به حياة أبطالها بالانتحار تارة، وبالقتل تارة أخرى.

وإذا كانت المسرحيات أقوم الطرق لدى الوجوديين لنشر أفكارهم، تؤكد استدلالى بالمسرحيات على دعوة الوجودية إلى الانتحار أو القتل تخلصاً من هذه الحياة. ولعل الذي دفع الوجودية إلى ذلك هو الهم واليأس والقنوط، وما قيمة حياة هكذا شأنها، إن الموت أفضل منها - في نظر الوجودية - التي تدعو إلى العدم الذي يتزعم الدعوة إليه (مارتن هيدجر) أحد أعمدة الوجوديين، وليس ذلك بمستغرب على الوجودية التي جعلت العدم من مقولاتها الرئيسية، والتي تتناقض مع نفسها في كل شئ؛ إذ كان المتبادر إلى الذهن أن الوجودية تدعو إنسانها إلى التكالب على الحياة التي لاحياة له سواها - بزعمها - والتي بمغادرتها يتحول إلى رماد تذروه الرياح، ويفقد ذاته وأناه كما يشيعون، ولكنها تناقضت مع نفسها فأنت بما لا تشتهي السفن. وللتعرف على ماتعيشه الشعوب الغربية من قلق واضطراب نفسيين

(١) كامى، نقلاً من كتاب (الدعوات الهدامة) أنور الجندي، هامش ص ١٩٤.

(٢) عبدالرحمن بدوي، الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص ١٠٣.

وخواء روحي، وضيق أفق نتيجة البعد عن منهج الله، والنظرة المادية القاصرة للكون والحياة، أنشر ماكتبته إحدى المجلات الأمريكية. «فقد أجرت مجلة (المراهق الأمريكية) مسحا بين عينة من الصبية والفتيات في فئة السن بين ١٥ و ١٩ عاماً لاستطلاع مشاعرهم تجاه ظاهرة الانتحار المتزايد في المجتمع الغربي. ... المسح الذي شارك فيه أكثر من ٥٠٠ صبي وفتاه جاء بنتائج مفرعة تقول: إن الثلث ممن وجهت إليهم الأسئلة حاولوا فعلاً التخلص من حياتهم بعد أن استسلموا لليأس والقنوط. ... وينتهي المسح أيضاً إلى أن ٧٣٪ من الشباب والمراهقين فكروا في الإقدام على الانتحار مرة أو أكثر خلال حياتهم. ويشير الاستطلاع إلى ظاهرة خطيرة أخرى، ... وهي أن غالبية من حاول الانتحار من الفتيات في أخطر مراحل العمر وأخرجها إلى الجو النفسي الأسري. ... وفي اليابان حيث التقدم الصناعي والقفزات المادية السريعة، أفاد تقرير رسمي نشر بتاريخ ١٢/٢/١٩٨٧م أن ٨٠٢ من الشباب الياباني المراهق قد انتحروا في العام الماضي مما يشكل زيادة بواقع ٤٤٪ عن العام الذي سبقه. وقال تقرير وكالة الشرطة القومية أن ٢٩٩ فتاة قد انتحرت خلال عام ١٩٨٦م وذلك بزيادة ٦٩٪ سجلت أعلى رقم قياسي. وذكر التقرير أن مشاكل المدارس كانت حافزاً لانتحار ٢٠٧ شاب، تليها المشاكل العائلية التي أودت بحياة ١٠٧ أشخاص، والمشاكل الغرامية التي ذهب ضحيتها أكثر من ٩٠

شخصاً»(١).

□ موقف الإسلام من الانتحار:

قرر الإسلام أنه ليس للإنسان أن يقدم على الانتحار، أو يتسبب في قطع أحد أعضائه، لأن نفس الإنسان في الإسلام ليست ملكاً له، بل هي ملك لله أودعها فيه أمانة لاستخدامها إلى أجل مسمى، وما أوتيتها الإنسان ليعبث بها أو يقضي عليها بيده. كما بين الإسلام أن للإنسان أجلاً لا يعدوه، وأن الذي يملك حياته هو الذي يملك موته، ويقدر أجله، وبذلك حرم الإسلام على الإنسان قتل نفسه، لأنه لا يملكها وهو تصرف فيما لا يملكه، فكانت النار عقوبة له. قال تعالى في الحديث القدسي: (بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)(٢).

والإسلام حفظ لأهله الدين والنفس والعقل والنسل والمال، لذا جعل حرمة دم المسلم أشد من حرمة الكعبة. قال ﷺ: (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا... الخ الحديث)(٣). كما رصد القتل عقوبة زاجرة لردع من تسول له نفسه بجريمة القتل، ليستبقي الحياة التي تدعو الوجودية إلى إنهاؤها بالانتحار. قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾(٤). كما رصد الإسلام حد الحرابة لمن تسول له نفسه إحداث الفوضى وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، وإهلاك الحرث

(١) مجلة البيان التي تصدر عن المنتدى الإسلامي (لندن، العدد الثامن من صفر ١٤٠٨هـ، ص ٩٦-٩٧).

(٢) البخاري: الانبياء(٦٠) باب(٥٠) ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٦/٤ عن جندب بن عبدالله.

(٣) البخاري: العلم(٣) باب(٩) قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع ٢٤/١ عن أبي بكره.

ومسلم: القسامة(٢٨) باب(٩) تغليظ تحريم الدماء ١٣٠٦/٣، (١٦٧٩) عن أبي بكره.

(٤) سورة البقرة، آية ١٧٩.

والنسل. قال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم، إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾^(١).

بهذه السبل وبغيرها مما غفلت عن ذكره مخافة الإطالة، ومما لا يخفى على ذي بصيرة، حافظ الإسلام على النفس وحرم سفك الدماء إلا بحق الله، ودعا أمته إلى عمارة الكون والبعد عن تمني الموت لضر يصيب المؤمن. لكنها الوجودية التي وصلت إلى أعلى درجات اليأس والقنوط بدعوتها إنهاء الحياة متى استبطن الموت بهذه الطريقة الفجة المجرمة.

خامساً : انتشار الأمراض الفتاكة

من آثار الوجودية النفسية والجسدية إنتشار الأمراض الفتاكة التي لم نسمع عنها إلا في بلاد هي المرتع الخصب للوجوديين أو من نحا نحوهم. فقد انتشر مرض (الأيدز) الذي أدى إلى تدمير خلايا الجسد بعد فقد مناعتها تدميراً كاملاً، والذي هو نتيجة واضحة للعلاقة الجسدية المشبوهة.

لقد أصبح هذا المرض الشغل الشاغل لأجهزة الإعلام الغربية، وأصبح يمثل الرعب الجديد الذي ساد حضارة القرن العشرين. وأصبح اسم (الأيدز) مماثلاً لاسم (الطاعون) الأسود في القرن الثامن عشر الميلادي والقرون التي قبله، عندما كان الطاعون يقضي على عشرات الملايين من البشر. وفيما يلي

(١) سورة المائدة، آية ٣٣ - ٣٤.

إحصائية توضح مدى انتشار هذا المرض، حيث أكدت تقارير منظمة الصحة العالمية أن هناك ٧٥ قطراً ظهرت فيها حالات الأيدز^(١). يقول الدكتور/ محمد علي البار: «وفي عام ١٩٨٢م بلغ عدد الإصابات ٨٨٣ وفي نهاية عام ١٩٨٣م كان الرقم قد قفز إلى ٣٠٨٣ حالة، وفي العام التالي ١٩٨٤م كان الرقم وصل إلى ٦٦٢٠ حالة، وبنهاية عام ١٩٨٢م وصل الرقم إلى ١٧٠٥٠ حالة»^(٢).

ونتيجة لهذه الزيادة المضطربة على هيئة متواليات هندسية في حالات الأيدز، فإن الهلع والرعب أخذ يدب في أوصال المجتمعات الغربية، وأخذت الصحف والمجلات تنشر مظاهرات الشاذين جنسياً وهم يطالبون حكوماتهم بأن تحميهم من الطاعون الجديد (الأيدز)^(٣). ولقد أصيب الشاذون جنسياً بالهلع لأنهم يتوقعون أن يهجم عليهم الأيدز في أي لحظة، وقد اختلفت ردود فعلهم نحو هذا المرض الذي يفتك بهم بصورة خاصة، فأصيب الكثير منهم بالكآبة، بل وأقدم بعضهم على الانتحار، وأصيب بعضهم باليأس والإحباط وغيرها من الأمراض النفسية. كما انتشرت الأمراض الاجتماعية التي لا علاج لها كظهور (جماعات الهيبز) الذين سيكونون - بمشيئة الله - مصدر دمار الغرب، لنشرها مبادئ هدامة لا يستقيم معها دولا العمل في هذه الحياة أبداً، ولا تنهض بها مجتمعات، ولا يظل بها صالح على صلاحه.

(١) راجع: د. محمد علي البار (الأمراض الجنسية)، دار المنار، جدة، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٥، نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط في ١٩٨٦/١/٤٧م نقلاً عن منظمة الصحة العالمية.

(٣) بلغ عدد الذين توفوا بسبب الأيدز في عام ١٩٩٠م، ٢٤١٢٠ شخص بزيادة ٢٠٣٨ من الذين توفوا في عام ١٩٨٩م بسبب هذا المرض والذين بلغ عددهم ٢٢٠٨٢ شخصاً. أعلنت ذلك وزارة الصحة الأمريكية. راجع: جريدة عكاظ، العدد ٩٣٠١ في ١٤١٢/٧/٥هـ.

□ موقف الإسلام من انتشار الأمراض:

عالج الإسلام مسألة انتشار الأمراض علاجاً حاسماً حكيماً يتمثل

بمايلي: (١)-

١ أمر بالإحصان. قال الله تعالى: ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم، وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة، إن الله كان عليماً حكيماً، ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، والله أعلم بإيمانكم، بعضكم من بعض، فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف، محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان، فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾ (٣). وللإحصان وسائل أهمها:

(١) الإسلام والإيمان، فإذا ما دخل المرء دائرة الإسلام والإيمان، فقد تحصن أول حصونه وأهمها ضد الشيطان، وانتقل المؤمن من عبادة الشيطان إلى عبادة الرحمن، وإذا ما تقوى إيمانه آتاه الله التقوى، وهي أن يتقي محارم الله، ويتجنب سخطه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(١) المرجع السابق، ص ٤٠٧ - ٤١٢.

(٢) سورة النساء، آية ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة التحريم، آية ١٢.

(ب) الزواج، وقد حث الإسلام على الزواج ورجب فيه أيما ترغيب، ونهى عن كل طريق غير طريق الزواج. قال الله تعالى: ﴿وَانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾^(٢)، وقال ﷺ: (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه اغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء)^(٣)، وقال ﷺ: (النكاح سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني)^(٤). فالزواج حصن حصين ضد هذه الأمراض الجنسية المنتشرة في عالم اليوم.

(ج) العفة. ومرجعها تقوى الله وخوفه ومراقبته، وإفراغ القلب من وسواس الشهوة إذا هاجت بوضعها في موضعها الصحيح، وذلك بإتيان أهله، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: (إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله)^(٥). كذلك منع الاختلاط بين الرجال والنساء، وغض البصر وعدم التبرج، وعدم الخضوع بالقول، وقفل باب دواعي الزنا ووسائل الإعلام الفاجرة.

(١) سورة النور، آية ٣١.

(٢) سورة النساء، آية ٣.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم. البخاري: كتاب الصوم ص ١٠١ على فتح الباري. وصحيح مسلم: ٨٠٦/٢ كتاب الصيام.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح، باب ماجاء في فضل النكاح، م ١ ص ٥٩٢ ح ١٨٤٦، وقد صححه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بشواهد رقم ٢٢٨٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتى امرأته أو جاريته فيواقعها، م ١٤٠٣ ح ٢ ص ١٠٢١ بنحوه.

٣ حارب الإسلام انتشار الأمراض فأوجب مكافحتها، ونهى عن الفواحش الظاهرة والباطنة. قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: (لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)^(٤). ومنع سبحانه وتعالى كل ما يؤدي إلى الفاحشة أو الترويج لها. قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾^(٥) . وفرض سبحانه وتعالى عقوبة شديدة على الزناة. قال تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾^(٦)، هذا إذا كانا غير محصنين. أما المحصن فعقوبته الرجم.

هذه أهم الآثار النفسية والجسدية المدمرة التي أحدثتها الوجودية في المجتمعات الغربية، والآن ننتقل إلى الفصل الأخير وهو الآثار الأخلاقية والاجتماعية.

(١) سورة الأنعام، آية ١٥١.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٢.

(٣) سورة النور، آية ٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه: الفتن (٣٦) باب (٢٢) العقوبات ١٣٣٢/٢ ح (٤٠١٩) عن ابن عمر.

(٥) سورة النور، آية ١٩.

(٦) سورة النور، آية ٢.

الفصل الثالث

الآثار الأخلاقية والاجتماعية

ويشتمل على أربعة مباحث

أولاً تدمير الأخلاق.

ثانياً الصراع بين الفرد والمجتمع.

ثالثاً زرعها الأنانية المفرطة في الإنسان.

رابعاً تفكك الأسرة.

الفصل الثالث

آثار الأخلاقية والاجتماعية

للوجودية آثار أخلاقية واجتماعية مدمرة تتمثل بما يلي:

المبحث الأول: تدمير الأخلاق:

لقد دعت الوجودية إلى الفساد والانحلال الخلقي، فأباحت الجنس، وأشاعت الزنا، وقد تمثل ذلك في أفكارهم وسلوكهم، والذي مارسه رائد الوجودية (سارتر) عملياً مع عشيقته (سيمون دي بوفوار) اللذين عاشا تحت سقف واحد سنوات عديدة دون زواج أو أي ارتباط شرعي أو قانوني، بل أعلننا - نعوذ بالله - اتصالهما الجنسي مع رفضهما الزواج والعقد الشرعي^(١). وكلمة (العيب) ليس لها حساب أو تقدير عند الوجودي لأنه لم يفعل إلا مادعته إليه نفسه، وهو على استعداد لاحتمال نتائج ذلك بلا حرج، وعليك أنت أن تسمى هذا عيباً أو أثماً أو اتباعاً للهوى، فأنت حر، كما أنه أيضاً حر وله شأنه في انطلاقه الذي يراه، فالوجودي قد وجد ما يأسر لبه، ويثير شهيته لممارسة ماتستنكره الفضائل لأنه وجد في الوجوديه صكاً يبارك له نزواته . يقول سارتر: « إن خير الانسانيه هو ما يراه الانسان أنه خيرها، فإذا رأى أن الخير الانساني يكمن في الانضمام الى الكاثوليكيه فهو صحيح من

(١) راجع: د.علي جريشه، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة.

الناحية الوجودية المنطقية، وإذا رأى العكس فهو صحيح كذلك، إن كل ماطلبه منا الأخلاق الوجودية هو أن نقرر فحسب» (١).

إن الأخلاق الوجودية، اباحية شيطانية لأن الشيطان قد تعهد بتزيتها وترويجها، فتتحم قلوب الشباب المتفسخ المتمزق بلا استئذان ومن غير عسر وحر ج حيث الجاذبية في الشهوات والملذات أقوى منها في أي شيء آخر، فهو سيقع تحت سيطرة الغرائز والهوى، لأنه قد ضرب عرض الحائط بالدين والقوده والفضيله.

لقد قال سارتر في كتاب الوجود والعدم مامعناه أن الانسان يبرر كل فعل يقدم عليه، أو يحجم عنه فإذا أراد الانتحار صاغ كلاماً منسقاً يحتمه ويوجبه، ونفس الشيء اذا حرص على حياته، وقد يدمن الخمر والقمار فيخلق لنفسه الأعذار، فإذا اقلع عنهما جمع عشرات الأدله على خير ماصنع، وإذا عاد إليهما كما كان وزياده ألبس الأدله ثوباً جديداً يبرر العوده والأوبه !!

ومن هذا المنطلق نقول إن الأخلاق الوجودية ضلال وخيال لا أصل لها في الواقع ولا أساس ومن العجيب الذي هو أوضح والأمثله على تدمير الوجوديين للأخلاق أنهم يرون أن (زليخا) امرأة العزيز التي راودت فتاها يوسف هي مخلوقه وجوديه بدرجه كامله لأنها بمنتهى الحريه والصراحه - حسب زعمهم - عبرت عن ذاتها بمحاولة ممارسة أحاسيس وجودها - أما

(١) سارتر نقلا من كتاب (فلسفه الاخلاق في الإسلام) محمد جواد مغنيه، دار الجواد بيروت ص ٣٨

يوسف فليس وجوديا على الإطلاق لأنه لجأ إلى الفرار من نفسه مستنجداً
ومستغيثاً بقوه خارجية منقذه بالله سبحانه وتعالى.

هكذا وقع الإنسان الوجودي في سقوط خلقى فقد معها طعم حياته ولذة
وجوده، فغاض ماء الحياة من وجهه فاصبح عريبداء، فاحشاً متفحشاً، وغار
معين الكرامة الأدمية فيه فصار لاغيرة له ولاشهامة ولا كرامة ولا مروءة،
ألف الغدر والخيانة، وتعود الجريمة، ومرد على التضليل والخداع، فساءت
المجتمعات البشرية، وهبطت فيها الحياة إلى أبعد حدود الهبوط والسقوط.
كما أن الأخلاق عندهم نسبية تختلف من شخص لآخر، ومن مجتمع لآخر،
فليس لها ضوابط ثابتة، ولا حدود مرسومة. فللإنسان أن يتخلق بما يراه
خلقاً له حتى وإن كانت رذائل الأخلاق كالكذب والنفاق والزنا والفساد، وقد
لايوافقه عليها غيره، لكنها في نظره على صواب، وفي أمثالهم يقول الحق
تبارك وتعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما
يصنعون﴾^(١). كما أنه لا مصدر للأخلاق عندهم من عرف أو دين أو قانون.
فمصدر أخلاق الفرد هو الفرد نفسه، ومصدر أخلاق الأمة هي الأمة نفسها،
ومن هنا تضاربت أخلاق الوجوديين، وتعددت اتجاهاتهم بتعدد المنتسبين
إليها، لكن يجمعها كلها الفجور والفسق والعصيان، كما يشهد بذلك اختلاف

(١) سورة فاطر، آية ٨.

أخلاق رواد الوجودية قديماً وحديثاً، ودعوتهم إلى التحلل من القواعد الأخلاقية.

ولقد أثر هذا الاتجاه المعوج للوجودية الكثير في حياة الفرد الوجودي، وفي مجتمعه كذلك، وكلها - بلا شك - آثار سلبية تؤدي إلى فساد الحياة وتدميرها. من ذلك مايلي:

١ انحلال المجتمع:

فقد أدت دعوات الوجودية إلى رذائل الأخلاق إلى انحلال الفرد والمجتمع، وأكبر شاهد على ذلك ماعليه أوروبا الآن، تلكم القارة التي تزعم لنفسها أنها خير قارات العالم الست، بل إنها تترفع بنفسها أن تكون من الطينة التي خلق الله (تعالى) العالم منها. هذه القارة هي التي تصدر الفساد الخلفي بشتى صوره إلى العالم بأسره، فمنها انطلقت دعوات الإباحية المفرطة، والأنانية البغيضة، واستباححت أموال الآخرين وأنفسهم وأعراضهم، وبسلوكها المعوج انتشرت فيها الأمراض الفتاكة التي لم يعرف العالم بها إلا حين نشرت بؤرتها الخلفية الفاسدة.

٢ الإباحية المطلقة:

لقد دعت الوجودية إلى إشاعة الجنس بين الناس، وبلغ من فجورها أنها أقامت دوراً للسينما متخصصة في عرض أفلام الجنس، ثم شجعت نشر مسرحيات عليه استباححت ممارسة الجنس أمام الجماهير، فهتكت بذلك

الأستار، وقضت على العفة والطهر، وانحطت بفعلتها هذه بالعلاقة الزوجية إلى درك منحط تحولت معه الإنسانية إلى حيوانات بهيمية لاعقل لها ولا فكر.

يقول الأستاذ/ محمد قطب: «ولكن الذي لا يمكن الجدل فيه هو الوقائع التي تنشرها الكتب والصحف في ذلك الغرب الذي يستعبد الأرواح والقلوب... تقول صحف أمريكا - أرحب بلاد العالم صدراً بالحرية الجنسية - إن هناك مشكلة اجتماعية خطيرة يتزايد خطرها كل يوم حتى أصبحت تقلق بال المسئولين، فيفزعون إلى المختصين من علماء الاجتماع، يسألونهم العون في هذه المشكلة التي تنذر بالويل والثبور. تلك هي مشكلة الاختطاف، فكل يوم تأتي الأخبار المزعجة بأن بعض الفتيان قد اختطفوا فتيات في سياراتهم فقصوا منهن وطهرهم، وتركوهن بعيداً عن منازلهن بمسافات شاسعة، لايتيسر لهن الرجوع منها إلا بعد أمد طويل! ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال: فيم الاختطاف والحرية مباحة للجميع إباحة كاملة لا قيد فيها ولا حدود؟ والسؤال على عجبه مردود ببساطة. فلا مناص حين يباح للجميع يصنعون مايشاءون، أن تتعارض الأهواء وتتصدم الرغبات، فيحدث أن يعشق فتاة لاتحبه، وإنما تميل بمشاعرها إلى غيره، ومادامت النوازع والشهوات قد أطلقت من عقالها، ولم يضبطها ضابط خوف من تقييد الحرية، فإن هذا العاشق المتهوس لن يضبط عواطفه - استغفر الله - بل شهوته إلى تلك الفتاة بعينها فلا يجد سبيلاً إلا استدراجها واختطافها!!

وهكذا يحدث هذا الأمر الشنيع في البلد الذي اباح كل شيء للجميع، بل يحدث نتيجة لهذه الإباحية التي لاتقف عند حد. هذا خطر تعترف به أمريكا وتنذر به الصحف، وتطلب تدخل المسؤولين، وإن تزايد لينذر بأنه مقدمة لما هو أخطر منه في الحياة الاجتماعية الغربية، أي أنه العوارض الأولى للانحلال الذي أشرنا إليه من قبل، والذي ينكره المستعبدون هنا لأنهم ملكيون أكثر من الملك كما يقال.

وقد ينظر إليها بعض قصار النظر هنا أو هناك على أنها حوادث فردية، ولكن دلالتها واضحة لكل من أوتي حظاً من التقدير السليم، فهي اليوم تبدأ بالمسألة الجنسية، وغداً تشمل ميادين أخرى غيرها، كما أثبتت حوادث التاريخ في كل شعب على ظهر الأرض»^(١).

□ موقف الإسلام من تدمير الوجودية للأخلاق:

عرفنا الآثار المدمرة لأخلاق الفرد والمجتمع التي قررتها الوجودية ضمن مافررته من قواعد باطلة، ومبادئ هدامة. وأنه ليبدو لكل ذي عينين موقف الإسلام الجلي الواضح حيال تفادي هذه الآثار حيث حث على التمسك بالأخلاق والقيم الصالحة لكل زمان ولكل فرد ومجتمع، والتي جاءنا بها ديننا الحنيف الذي دعانا إلى العفة والطهر والصدق مع النفس والناس، وعدم التكالب على شهوات الحياة، فأنشأ بهذه الأخلاق أمة جاءت في أوانها

(١) محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، ص ١٤٥ - ١٤٦.

لتصحيح موازين القوى في العالم، وتقذف بالحق في وجه المبطلين فتدمغهم. فالإسلام قرر مبادئ وقواعد تحفظ للبيوت حرمتها، وللأعراض صيانتها، وللأخلاق عفتها. وهكذا، إنه تنزيل من حكيم حميد، ومنها:

١ أهمية الضمير في البناء الأخلاقي الإسلامي^(١)، فالقرآن الكريم يعتمد في بنائه الأخلاقي على تنشئة الضمير الحي، الذي يراقب الله ويحاذره، وهذا الضمير هو النفس اللوامة التي أقسم بها رب العزة والجلال حين قال: ﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾^(٢). ووظيفة هذا الضمير حراسة الإنسان من داخله، بحيث يحول بين النفس الأمارة وشهواتها كلما حاولت أن ترتكب مخالفة، أو تقع على محذور، وهذا الضمير لا يعتمد على قانون وضعي، وإنما على رقابة الله الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو عليم بذات الصدور. والأخلاق التي لم ينشئها هذا الضمير المعتمد على الله هي أخلاق ثابتة تلازم صاحبها في كل وقت. فالصدق - مثلاً - صدق في كل لحظة، حتى في الشدائد والأزمات عكس ما يزعم الوجوديون. هذا إلى جانب أن الضمير يضع تماسكاً أخلاقياً بحيث تصدر عنه كل الفضائل كوحدة رصينه لانفصام بينها، فلا يصدق الإنسان ثم يسرق، ولا يخلص لأسرته ويغش الآخرين.

(١) راجع أنور الجندي (قضايا العصر ومشكلات الفكر)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١١٨ - ١٢٨.

(٢) سورة القيامة، آية ١ - ٢.

أهمية قانون الواجب الأخلاقي الإسلامي وخصائصه^(١)، فإذا نظرنا إلى هذا القانون نجد أنه يتميز بطابع الشمول والضرورة والتدرج في الواجبات الأخلاقية، ويتجلى طابع الشمول في أن مجموع أوامره تتجه في جملتها إلى الإنسانية جمعاء. فالعدالة مثلا أو الفضيلة يجب أن تتم على نسق واحد سواء طبقها الفرد على نفسه أم على الآخرين، وسواء كان هذا التطبيق على أقربائه أم البعداء، على الأغنياء أم على الفقراء، وسواء أكان على الأصدقاء أم على الأعداء. فيظل هذا الواجب الأخلاقي ضروريا فلا ينحني أمام حالتنا الذاتية، ولا أمام مصالحنا الشخصية. فمن الارتياح أو مرض القلوب إلا ندعن للقانون إلا حين الاستفادة منه، على حين يخضع له المؤمنون دون قيد أو شرط. قال تعالى: ﴿وَإِذَا دَعُو إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَنْ يُقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢). وأما فيما يتعلق بالتدرج في الواجبات الأخلاقية، فمن المعروف أن لدى الناس أختلافاً في استعدادهم الفطري

(١) راجع: د. محمد عبدالله دراز (دستور الاخلاق في القرآن)، ترجمة د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٣هـ، ص ٢٥ - ٤٥.

(٢) سورة النور، آية ٤٨ - ٥٠.

والمكتسب، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(١)، ويقول: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(٢). ولنا برسول الله ﷺ القدوة الحسنة، فهو حين يأمرنا في نطاق الأشياء المادية أن نقنع أنفسنا بما قسم الله لنا ناظرين إلى من هم أدنى منا من إخواننا، وعلى نفس المنوال يوصينا في النطاق الأخلاقي بعكس ذلك. وفي ذلك يقول ﷺ: (خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكن فيه لم يكتبه الله لاشاكراً ولا صابراً. من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاتته منهما لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً)^(٣).

٣ أهمية العبادات في البناء الأخلاقي^(٤)، فالعبادات شرعت لتهديب النفوس، ومن المعروف أن العبادة التي لا تحقق هذا الهدف لا يقبلها الله، وذلك لأن الهدف من العقائد والشعائر والعبادات جميعاً هو بناء الأخلاق، ولو أمعنا النظر في القرآن الكريم نجد أنه لم ترد عبارة إلا وهي مرتبطة بهدفها الأخلاقي في واقعية واضحة.

(١) سورة البقرة، آية ٢٨٦.

(٢) سورة التغابن، آية ١٦.

(٣) الترمذي: كتاب صفة القيامة (٣٨) باب (٥٨) ٦٦٥/٤ حديث (٢٥١٢) عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وقال حسن غريب.

(٤) راجع: د. أحمد عمر هاشم، منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق، دار المنار، القاهرة، ص ٥٩ - ٦٩.

فالصلاة - مثلاً - في قوله تعالى: ﴿واقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾^(١). فالصلاة إذن تنهى عن الفحشاء والمنكر، هذا إلى جانب ماتبته من روح التعاون والترابط والتكافل بين الجماعات المسلمة.

والصوم - مثلاً - يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾^(٢). فالصوم خير وسيلة لبلوغ التقوى، وخير وسيلة للتحرر من عبودية الشهوات، وأما إذا أقدم الفرد على أداء هذه الفريضة وهو لا يدرك بعقله ضرورتها فلا فائدة ترجى من وراء امتناعه عن الطعام والشراب، وحظه الجوع والعطش.

والصدقة أيضاً، يقول المولى سبحانه وتعالى عنها: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾^(٣). فالصدقة إذن ذات أثر مزدوج الفائدة، لأنها تطهر النفس حين تصرفها عن حرصها الزائد على الكسب، ثم هي بعد ذلك أسمى تعبير ومثال للتعاون الاجتماعي الذي يجعل للفقير حقاً معلوماً من مال الغني. قال تعالى: ﴿وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾^(٤). إن هذا الحق المقرر لا يذل الفقير، ولا يجعل الغني يشعر بعزته وقوته. قال تعالى: ﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا

(١) سورة العنكبوت، آية ٤٥.

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٣.

(٣) سورة التوبة، آية ١٠٣.

(٤) سورة الذاريات، آية ١٩.

ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴿١﴾.

أما الحج، فقد قال الله تعالى: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (٢)، فهو موقف تتجسد فيه مبادي الأخلاق والأخوة والمساواة والكرامة. وبهذا ندرك أن كل عبادة مما سبق ترتبط بثمرتها الواقعية من تطهير الخلق، وتزكية النفس، وتقوى الله، وفي قيمتها التي تتمثل في تلك الآثار الواقعية التي تتركها في حياة العابد، وليست في كثرتها. فمن قام بتلك العبادات، وظل بعدها فاسد الخلق، سيئ المعاملة، ضيق الصدر، فلا خير أفي عبادته حتى ولو ملأت الأرض. ولتأكيد مدى العلاقة الوثيقة بين العبادة وحسن الخلق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین، وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (٣). إن المؤمن الحق هو الذي تنعكس عبادته على أخلاقه وسلوكه في المجتمع، فلا غل، ولا حقد، ولا حسد، ولا غضب، ولا بغضاء، ولا شح، ولا قطيعة، ولا جبن، ولا أثره، وفي معاملاتهم لاغش، ولا

(١) سورة الليل، آية ١٧ - ٢٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية ١٧٧.

خديعة، ولا تلبيس، ولا مخاصمة، ولا احتيال على أكل الأموال بالباطل، ولا كذب في الحديث، ولا تشويه للحقائق، ولا خيانة للأمانة. وهكذا نرى الربط الوثيق بين العبادات وآثارها الأخلاقية.

ع اهتم الإسلام بالمساواة والكرامة الإنسانية^(١)، حيث جعلها أحد المبادئ الأساسية التي تشكل الإطار العام للأخلاق الاجتماعية. فالمساواة في القيمة الإنسانية بين البشر والاعتراف بكرامة الإنسان أيًا كان، أهم الأسس الأخلاقية التي تبنى عليها قاعدة التعامل بين البشر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٢). وقد عمل القرآن الكريم على تأكيد معنى المساواة بين البشر ليقر في خلدكم وحدة أصل الإنسان ونشأته، فالجنس من تراب. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ﴾^(٣). والفرد - كل فرد - من ماء مهين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾^(٤). وإن اختلاف الناس شعوباً وقبائل ليس له علاقة بالتفاضل، وإنما هو سبب ودعوة للالتقاء والتعارف، وهي كلها عند الله سواء، لا تتفاضل إلا بالتقوى التي هي جماع الأخلاق والفضائل التي دعا إليها الإسلام. وإلى جانب هذا، كرم الله الإنسان بالاسلام، واختاره للخلافة

(١) راجع: د. يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٨٤ - ٩٦.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) سورة فاطر، آية ١١.

(٤) سورة المرسلات، آية ٢٠.

في الأرض، وسخر له كل ما فيها. قال الله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾^(١).

ولتأكيد الاهتمام بالأخلاق قرر الإسلام واجبات على الفرد تجاه نفسه ليحفظ كرامته الشخصية، ويحافظ عليها من الانحطاط، كما قرر واجبات على الفرد ليعبر عن احترامه للكرامة الإنسانية لدى الآخرين.

٢

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(١) ما يجب على الفرد تجاه نفسه:

قرر الإسلام على الفرد واجبات تجاه ذاته، يؤديها لترتفع بها نفسه وتتشرف، وتصبح خليفة بالتكريم الذي أسبغه الله عليها، وفي الوقت ذاته تكفل له تحقيق السعادة والفلاح. وفي نفس الوقت تحقيقاً للحديث (إن لنفسك عليك حقاً)، فالإنسان مطالب أن يحقق لنفسه طهارة النفس، ونقاء السريرة، وأن يتحلى بالعفة، وأن يتحكم في أهوائه، وأن يصدق في قوله، وأن يتسم بالرفقة والتواضع في سلوكه، متزناً في أحكامه، دمثاً في أخلاقه، معتدلاً في تصرفاته، جاداً في كسب رزقه بالطرق المشروعة، ممتعاً بما خلق الله له في الأرض والسماوات من منافع وخيرات. كما يحثه على التعبير بالحسنى لما له من أثر إيجابي في تفادي النزاع والخصومة بين الناس، ويطالبه بالبر والرحمة والتعاون والإحسان والوفاء، وأداء الأمانة وسلامة القلب، وصدق الطوية، ويحضه على العدل.

كما أن هناك تصرفات أمر بها الإسلام، وحث على الالتزام بها، وهي تعد قمة في الأدب والذوق الاجتماعي، منها الاستئذان قبل الدخول على الغير، حسن الجلسة، خفض الصوت عند التحدث، التحية عند الدخول، ورد التحية بأحسن منها، واستعمال أطيب العبارات عند الحديث، والاستئذان عند الذهاب، والالتزام بآداب الطعام، وآداب

الطريق، واحترام الصغار للكبار.

وكما كانت هذه الأوامر كلها خير للفرد، فلكي يكمل هذا الخير عليه أن يمتنع عما يؤدي إلى الضرر، كتناول الخمر والمسكرات وغيرهما من الأمور المحرمة، أو المكروهة كراهة تحريم، لأن لهذه الأشياء تأثيراً سيئاً في صحة الإنسان وأخلاقه وقواه العقلية والروحية. ومن ذلك أيضاً يمنع الإسلام الفرد أن يخضع لشهواته أو نزواته، وينهى الإسلام عن الكذب والنفاق والرياء والبخل والاحتيال والكبر والحسد والطمع، والتعلق بالدنيا. وينهى أيضاً عن الغيبة والنميمة والبهتان واللمز والإفساد والغدر والخيانة.

(ب) ما يجب على الفرد تجاه المجتمع:

أمر الدين الإسلامي الفرد بالاهتمام والالتزام تجاه مجتمعه، بدءاً من والديه حيث أمر بالإحسان إليهما، وخفض جناح الرحمة لهما، وطاعتهما واحترام الأولاد، وأداء حقوقهم كاملة، ثم أمر الإسلام بصلة الرحم، وإصلاح ذات البين، والتراحم، والإحسان إلى الفقراء، وفك الرقاب، والاهتمام بأموال اليتامى، والعفو ودفن السيئة بالحسنة، والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، ونشر العلم والأخوة والكرم والحب لأخيك ماتحب لنفسك، والعدل والرحمة، وحفظ حق الجار، ومراعاة حرمان الغير، وأداء الأمانات، والوفاء بالعهد، وأداء الشهادة.

كذلك من احترام حقوق الغير النهي عن النهب والسرقة والرشوة والغش والاختلاس، وأكل مال اليتيم، وخيانة الأمانة، والإيذاء والظلم والتواطؤ على الشر، وشهادة الزور وكتمان الحق وقول السوء، وسوء معاملة اليتيم أو الفقير، والسخرية واحتقار الناس، والتجسس والافتراء، والتزوير والغدر وأكل الربا. كذلك حرم على الفرد الفساد في الأرض، وعمل الفواحش لأن هذه الأعمال تفسد الصحة والأخلاق، وتفسد المجتمع في الجانب الآخر، بالإضافة إلى ماتحدثه من الفتنة والأخلال بالعلائق الإنسانية.

كما أمر الإسلام بالتعاون على الخير مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾^(١). وبهذه الأمور وغيرها مما قرره الإسلام احتل ديننا الإسلامي مكان الصدارة بين الديانات التي تدعو إلى الأخلاق والتعاون، وتحارب العزلة والانكماش، وتقوي صلة الفرد بالمحيط الذي يعيش فيه عن طريق العبادة والتربية والتشريع.

المبحث الثاني: الصراع بين الفرد والمجتمع:

من آثار الوجودية الأخلاقية والاجتماعية المدمرة، دعوتها إلى الفردية، مما أدى إلى وجود صراع مرير بين الفرد والمجتمع. وأكبر شاهد على ذلك

(١) سورة المائدة، آية ٢.

مسرحية سارتر (الغثيان)، ومضمونها أن المجتمع بغيض، وأن وجود الناس حولنا هو الجحيم، وأن الأخلاق والمثل والتقاليد سخافات يتلهى بها السطحيون، وأن الحياة خواء فارغ، فلا يستحق الاهتمام فيه إلا الجسد والجنس. فسيطرت بذلك روح الفرد على كيان الجماعة. فكل فرد يعمل لنفسه، ويسعى لثروته وكسبه ومنفعته فقط، والآخرين هم الجحيم، فنشأ الصراع بين الفرد والمجتمع^(١).

□ موقف الإسلام من الصراع بين الفرد والمجتمع:

الإسلام لا يقر ذلك تماماً، حيث قرر ارتباط الفرد بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، ومنح الفرد شخصيته المستقلة، وأعطاه كل ما يتعلق بذاته من حقوق، وفي الوقت نفسه فرض عليه واجبات نحو مجتمعه. قال الله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾^(٣)، وقال جل شأنه: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٤). وانطلاقاً من هذا المعنى دعا الإسلام إلى التعاون والتضامن، والتكافل والعمل المشترك. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالتَّعَدَاوِي﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) راجع: د. السيد محمد نوح، (شخصية المسلم بين الفردية والجماعية)، دار الوفاء. المنصورة، ص ٤٤.

(٢) سورة القيامة، آية ١٤.

(٣) سورة النجم، آية ٣٩.

(٤) سورة الطور، آية ٢١.

(٥) سورة المائدة، آية ٢.

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر^(١)، وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾^(٢)، وقوله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)^(٣)، وقوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)^(٤).

وبهذا ندرك مدى العلاقة المستمرة والمتوازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع. فالفرد في الإسلام يعمل لصالح المجتمع، والمجتمع يكفل للفرد كل شئ في ظل هذا الدين الإسلامي الصالح لكل زمان ومكان الداعي إلى سعادة البشرية جمعاء. يقول الأستاذ/ محمد قطب: «والإسلام يعالج كلتا النزعتين فيغذيهما معاً، ويجعلهما متساندتين بدلاً من أن تكونا متنازعتين!! إنه يحتاج إليهما معاً لأن الفطرة لاتستقيم بإحدهما دون الأخرى، ولذلك لايكبت أياً منهما ولا يزيلها عن الوجود، إن كان في استطاعة أحد أن يزيلها من الوجود»^(٥).

(١) سورة العصر، آية ١ - ٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٣) حديث للنعمان بن بشير، أخرجه البخاري في كتاب الادب ٧٨ باب ٢٧ ج ٢ ص ٧٧، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة (٤٥) باب ٧ ج ٤ ص ١٩٩٩ ح ٢٥٨٦.

(٤) حديث لأبي موسى أخرجه البخاري كتاب الصلاة (٨) باب ٨٨ ج ١ ص ١٢٣، وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة (٤٥) باب ١٧ ج ١ ص ١٩٩٩ ح ٢٥٨٥.

(٥) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج ١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨١م، ص ١٦٤.

المبحث الثالث: زرعها الأنانية المفرطة في الإنسان:

من آثار الوجودية الأخلاقية والاجتماعية زرعها الأنانية المفرطة في الإنسان، والأنانية هي أن تكون أفعال الإنسان وأقواله خاصة له وحده، فلا تتعدى عالمه الخاص به، فطغت الأنانية على الفرد والمجتمع، وأصبحت طاغية على كل شيء. فأنانية الأب تطفى على علاقته مع اولاده، وأنانية الزوج تطفى على علاقته مع زوجته، وأنانية الأمير أو الوزير تطبع كل علاقته مع الجمهور، وأنانية الأغنياء والموسرين واضحة في موقفهم من الفقراء والمساكين، أنانية طغت على كل فئة في المجتمع. فالتاجر لا يفكر إلا في تجارته، والزارع لا يهتم إلا بزراعته، والموظف لا يبالي إلا بوظيفته. هذه الأنانية، دعت الإنسان الوجودي إلى عبادة ذاته فقط، وإلى نبذ الآخرين، فانترعت الثقة بين أفراد المجتمع، وقطعت وشائج الرحم بين ذوي القربى، وضعفت الروابط الإنسانية بين الناس بعضهم مع بعض، حتى تنكر الجار لجاره، والصديق لصديقه. ولعل الذي دفع الوجودية إلى هذه الدعوة المنافية لما تعارفت عليه المجتمعات البشرية مايلي:

(١) نظرتها الفردية المتطرفة التي دفعتها - بكل قوة - إلى عدم التفكير فيما سوى الذات، بقدر ما دفعت الذات إلى التكالب على الحياة، والعبء من

شهواتها دون رادع أو زاجر. فإنسان الوجودية عبد لحياة لا يخدم فيها إلا ذاته (١).

(٢) نظرته إلى الآخرين بأنهم الجحيم، فكيف يعمل لإنسانية هكذا شأنها في رؤيته. إنهم ينفصون عليه حياته التي لا حياة له سواها - بزعمه - ويكونه بنار لا يقوى على احتمال لسعها، وإذا كان الآخرون بهذا الشأن فإنه لا ينبغي للإنسان أن يعمل إلا لنفسه فقط (٢).

(٣) توهم أن الحب الذي هو اسمى الروابط الاجتماعية في الحياة من قبيل سلب المحب لذاتية محبوبه (٢).

وقد أدت أفكارهم الأنفة الذكر إلى قتل الود بين الوجوديين وتفتيت المجتمعات الإنسانية، حتى لا يبقى فيها كتلة مترابطة متماسكة، وإلى تحويل حياتهم إلى مذابة يسودها الفتك والاغتيال، ويفقد فيها الإنسان عون أخيه الإنسان، فلا تراحم ولا تواصل ولا ترابط في المجتمع الوجودي، مما حول دنياهم إلى جحيم لا يطاق، وما بهذا التفتت والتفكك تعمر الدنيا أو يرتقي الكون.

□ موقف الإسلام من الأنانية:

الإسلام، على نقيض هذه الدعوة الهدامة، فقد دعا إلى الخير، وحث على الإيثار، ولو أمعن الإنسان النظر في الإيمان بالله، لوجد أن هذا الإيمان يهون

(١) راجع: د. عبدالرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، دار الجيل، بيروت، ص ٢١٣.

(٢) راجع: مسرحية الغثيان لسارتر.

(٣) راجع: عبدالرحمن حسن حبنكة، كواشف زيوف، دار القلم، دمشق، ص ٣٧٥.

على الإنسان مطالب حياته، وقساوة الدنيا ومصائبها، ويذعن ببذل المال عن طيب خاطر، وبذل الروح عند الضرورة، ويضحى بمصلحته الخاصة في سبيل المصلحة العامة^(١)، ويرحب بالموت في سبيل الله، ويستقبله بارتياح وسرور لأنه مؤمن أن خلفه جنة عرضها السموات والأرض، ورضوان من الله أكبر. كما أن الإيمان بالله يؤدي إلى التواصل والتراحم والتلاحم، وبر الوالدين. وقد سلك الإسلام سبلاً كثيرة للقضاء على الأنانية، فدعا إلى صلة الرحم التي هي القرابة. قال الله تعالى: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾^(٢). وقال الرسول ﷺ: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)^(٣). وقال الرسول ﷺ: (الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله)^(٤). كما دعا إلى التآخي والتعاطف والتواصل بين المسلمين جميعاً، حيث جعلهم كالبنين المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما نعت أصحاب محمد ﷺ بأجمل النعوت حين قال: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(٥)، في حين وصف جماعة اليهود بقوله: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم

(١) راجع: د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ٢٥٩.

(٢) سورة الرعد، آية ٢١.

(٣) رواه البخاري ومسلم. البخاري: الأدب (٧٨) باب (١٢) من بسط له في الرزق بصلة الرحم ٧٢/٧ عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم: البر (٤٥) باب (٦) صلة الرحم ١٩٨٢/٤ حديث (٢٥٥٧) عن أنس بن مالك.

(٤) رواه البخاري ومسلم. البخاري: الأدب (٧٨) باب (١٣) من وصل وصله الله ٧٢/٧ عن أبي هريرة. ومسلم: البر (٤٥) باب (٦) صلة الرحم ١٩٨١/٤ عن أبي هريرة وعائشة ح (٢٥٥٥ - ٢٥٥٦).

(٥) سورة الفتح، آية ٢٩.

شتى ﴿١﴾. كما حث على احترام الجار والإحسان إليه، ومشاركة أماله وآماله، ووضع حق الجار مع حق الله وحق الوالدين والأرحام. والسنة بينت أن جبريل مازال يوصي رسول البشرية جمعاء بحقوق الجار حتى ظن رسول ﷺ أن الله سيجعل الجار وارثاً من شدة التأكيد على حقوقه. قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ (٢). كما حث على الإحسان إلى الفقراء والمساكين، فضرب بذلك أروع الأمثال في التكاتف والتآلف والوحدة. قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (٣)، وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم) (٤). كما وصف الله عباده الذين يعملون الخير لأرغبة في ثناء ولا طمعاً في مكافأة بقوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ (٥). وحث الرسول ﷺ أيضاً على محبة الخير بقوله: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٦). كما حث على نصرة المظلومين والمستضعفين بقوله: (أنصر أخاك

(١) سورة الحشر، آية ١٤.

(٢) سورة النساء، آية ٢٦.

(٣) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٤) البخاري: المظالم (٤٦) باب (٣) لا يظلم المسلم المسلم ٩٨/٣ عن ابن عمر. ومسلم: البر (٤٥) باب (١٥) تحريم الظلم ١٩٩٦/٤ ح (٢٥٨٠) عن ابن عمر.

(٥) سورة الإنسان، آية ٨ - ٩.

(٦) رواه البخاري ومسلم. البخاري: الإيمان (٢) باب (٧) من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٩/١

عن أنس. ومسلم: الإيمان (١) باب (١٧) من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٦٧/١ م (٤٥) عن أنس.

ظالماً أو مظلوماً...)(١). كما حث على العدل المطلق، ونهى عن أي نوع من الظلم. قال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)(٢). ولتأكيد عالمية الدين الإسلامي وأنه دين البشرية جمعاء، جعل الشفاعة الصادرة من كبار القوم وأصحاب المكانة والوجاهة والكلمة زكاة مقبولة عليهم أن يؤدوها لأخوانهم أصحاب الحاجة. قال تعالى: ﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها﴾(٣). كما حث الإسلام على مواساة المصابين وزيارة المرضى حتى يشعر المسلم عند مرضه بروح الأخوة التي قد تخفف آلامه، وتعوضه بعض ما حرمه من القوة والصحة. قال ﷺ: (عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني)(٤). ولو استعرضنا مبادئ الإيثار في عقائدنا، وآثاره في تاريخنا، لطلال بنا المقام، ولكن نضرب بعض الأمثلة التي نستشيق منها روائح الإنسانية الكريمة التي غمرت مطامع الأهواء والشهوات في العصر الحاضر ومنها(٥):

(أ) موقف الأنصار من المهاجرين:

لما هاجر رسول الله ﷺ هو وصحابته من مكة إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، إذ جعل لكل أخ أنصاري أخاً مهاجراً، فكان

(١) رواه البخاري ومسلم. البخاري: المظالم(٤٦) باب(٤) أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ٩٨/٣ عن أنس.

ومسلم: البر(٤٥) باب(١٦) نصر الاخ ظالماً أو مظلوماً ١٩٩٨/٤ عن جابر.

(٢) البخاري: المظالم(٤٦) باب(٣) لا يظلم المسلم المسلم ٩٨/٣ عن ابن عمر. ومسلم: البر(٤٥)

باب(١٥) تحريم الظلم ١٩٩٦/٤ ح(٢٥٨٠) عن ابن عمر.

(٣) سورة النساء، آية ٨٥.

(٤) رواه البخاري: الجهاد(٥٦) باب(١٧١) فكاك الاسير ٣٠/٤ عن أبي موسى الأشعري.

(٥) راجع: د. يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٦٢ - ٢٦٦.

الأنصاري يأتي بأخيه المهاجر إلى بيته فيقسم كل مافيه بينه وبين أخيه، يقسم له ماله وثيابه وطعامه ودوابه، وينزل له من نفسه وأهله منزلة الحبيب من الحبيب، لا يرض عليه بمساعدة، ولا يقصر دونه في نصح أو معونة، حتى نسي المهاجرون غربه الوطن، وفقد الأهل، وفوات الثروة، مما جعل القرآن الكريم يسجل هذه الظاهرة البارزة من الإيثار الكريم ليكون الدرس الباقي للأجيال القادمة. فيقول الله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (١).

(ب) نوم علي رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ:

لما قرر الرسول ﷺ الهجرة من بيته الذي أحاط به المشركون ليقتلوه، وضع مكانه في فراشه ابن عمه علياً رضي الله عنه، وأثر علي أن يكون الفداء لرسول الله، وأن يعرض نفسه لسيوف المشركين تقطع لحمه وتزهق روحه، وبذلك فدى بنفسه رسول الهداية للناس أجمعين. وبهذا المنهج المتكامل أوجد الإسلام أمة يسودها الود وينتشر بين ربوعها المحبة والوفاء والصفاء، والتعاون على البر والتقوى، التي افتقدها الإنسان الوجودي فتحوّلت حياته إلى جحيم لا يطاق.

وبهذا المنهج المستقيم الأركان أقام الإسلام مجتمعاً لا أنانية فيه ولا عزلة ولا فردية، بعكس الوجودية التي دعت إلى الفردية وروجت لها حتى

(١) سورة الحشر، آية ٩.

جعلتها احدى مقولاتها الأساسية.

المبحث الرابع: تفكك الأسرة:

أثرت دعوات الوجودية الخلقية والاجتماعية تأثيراً سنياً في الأسرة، صدع بنيانها القوي، وقضى على مقومات الحياة فيها، حتى أصبحت المخادنة والزنا - نعوذ بالله - أمراً طبيعياً، بل حقاً مكتسباً لكل من الزوجين - بزعمهم - ففقدت بذلك الأسرة أغلى ماتمك وهو التماسك الأسري، فوهى الرباط الزوجي بين الزوج وزوجته، وفقدت محبة الأب لأولاده، وذلك لعدم الثقة في بيوتهم، لضياح العفة والأمانة الزوجية في الأسرة، وضاع حنان الأم وسط ضجيج حياة تبحث فيه عن عشيق أو خدين، ونسي الولد أباه وأمه فلا يراهما متحابين متآلفين^(١)، فأدى ذلك إلى انهيار الأسرة في المجتمعات الأوربية^(٢)، وما بهذا يعمر الكون.

□ موقف الإسلام من تفكك الأسرة:

اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً كبيراً، بما يضمن لها تكوينها وأسباب دوام ترابطها، وأدائها لوظيفتها على خير وجه وإكماله، فما ترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة يكون فيها سعادة الأسرة واستقرارها إلا وبينها وأعطاه من العناية ورعاية الحقوق والحرص على حمايتها من التفكك والانحلال، موضحاً دورها الفعال في بناء المجتمع السليم.

فبالأسرة في نظر الإسلام أصل من اصول الحياة الاجتماعية لا يمكن

(١) ونتيجة لانتشار الخيانة الزوجية تقول الإحصائيات الحديثة أن هناك حالة طلاق بين كل حالتي زواج في بريطانيا. راجع: جريدة المدينة في عددها الصادر بتاريخ ٢٧/٥/١٤٠٠هـ.

(٢) راجع: د.علي جريشه، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص١٤٨.

للمجتمع أن يقوم قياماً صالحاً إلا عليها، فانتظامها واستقرارها مصدر من مصادر الأمن والبهجة والحياة السعيدة.

ويتمثل اهتمام الإسلام بالأسرة بمظاهر كثيرة من أهمها (١):

(١) هدم الأنكحة غير المشروعة التي كانت في الجاهلية قبل الإسلام ككنكاح الخدن (٢)، وكنكاح البدل (٣)، وأبقى على النظام الذي ارتضاه ليكون به استمرار الحياة واستقرارها.

(٢) رغب الإسلام بالزواج بصور متعددة، وجعله سبيلاً إلى الغنى. قال الله تعالى: ﴿وَانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (٤)، وجعله أيضاً عبادة يستكمل به الإنسان نصف دينه.

(٣) اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه، فهي شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده. يقول الرسول ﷺ: (تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) (٥).

(٤) وضع الإسلام حقوقاً للزوجة على زوجها مما يدل على اهتمام الإسلام

(١) راجع: د.عبدالكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ، ص ٢٥٩ - ٢٧٤.

(٢) الخدن: هو الصديق للمرأة يزني بها سراً فنهى الله عن الفواحش ماظهر منها ومابطن.

(٣) نكاح البدل: هو أن يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك.

(٤) سورة النور، آية ٣٢.

(٥) رواه البخاري ومسلم. البخاري: النكاح (٦٧) باب (١٥) الاكفاء في الدين ١٢٣/٦. ومسلم: الرضاع (١٧) باب (١٥) استحباب نكاح ذات الدين ١٠٨٦/٢ حديث (١٤٦٦).

بأمر المرأة ومراعاة ظروفها وأحوالها، وأنها الجانب الأوج إلى العطف والرحمة وحسن الرعاية، وهي مايلي:

(أ) حسن العشرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾^(١)،

وقول الرسول ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) (٢)

(ب) تعليمها ماتحتاجه من أمور دينها، فالرجل راع وكل راع مسئول عن رعيته. فيعلمها ماتحتاجه مما لم تتعلمه من الطهارة والوضوء واحكام الحيض والنفاس والاستحاضة، وامور الصلاة والصيام وقراءة القرآن وذكر الله... الخ مما يجب على الرجل أن يوضحه للمرأة.

(ج) أمر الزوجة بالمعروف، ونهيها عن المنكر إنفاذاً لقوله تعالى: ﴿وامرأهك بالصلاة واصطبر عليها، لانسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى﴾^(٣).

(د) الصداق والنفقة، فالصداق حق خالص للزوجة لا يحل لزوج أو أب أو أخ أن يتحكم فيه أو يأخذ منه شيئاً إلا بإذنها. قال تعالى: ﴿وأتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾^(٤)، وقال تعالى في شأن النفقة: ﴿الرجال قوامون على

(١) سورة النساء، آية ١٩.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، الزوائد، كتاب النكاح (١٧) باب (٣٠) في عشرة النساء، ص ٣١٨

حديث (١٣١٢). وأخرجه الترمذي، المناقب (٥٠) باب (٦٤) فضل أزواج النبي ﷺ ٧٠٩/٥ حديث

٣٨٩٥ عن عائشة وقال حسن صحيح غريب. وأخرجه الدارمي، النكاح باب في حسن معاشره النساء

١٥٩/٢

(٣) سورة طه، آية ١٣٢.

النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴿١﴾.

(هـ) العدل والقسمة بين أكثر من زوجة. قال تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ (٢).

(و) كف الأذى عنها، ومراعاة شعورها فلا يجوز أن يبدر من الرجل أموراً مشينة إلى الزوجة كالسب والشتم والسخرية والاحتقار، فهي أم أبنائه، وسكن نفسه، وشريكة حياته، وحارسة ماله، ومربية أولاده، وملبية رغباته. وهو زوج وحمي وسند وأمل وملأذ لها بعد الله.

(٥) وضع الإسلام حقوقاً للرجل على المرأة تناسب وضعها كامرأة، ووضعه كرجل قيم منها:

(أ) أن تعيش المرأة لزوجها سكناً ورحمة ووداً حتى يجد بجانبها السعادة والاستقرار.

(ب) أن تقوم المرأة بدور الأم مع أولادها حتى تنشئهم أفراداً صالحين يسيرون بالحياة إلى التقدم والازدهار.

(ج) على المرأة الطاعة وحسن العشرة. قال تعالى: ﴿فالصالحات قانتات

(١) سورة النساء، آية ٤.

(٢) سورة النساء، آية ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية ١٢٩.

حافظات للغيب بما حفظ الله^(١). وقال ﷺ: (إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)^(٢).

(د) أن تتزين المرأة لزوجها، فيرى الرجل زوجته متزينة له متعطرة من أجله، من أجله، من نظفة بيتها ودارها، وصدق الرسول ﷺ: (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)^(٣).

(٦) وضع الإسلام حقوقاً للأبناء على الآباء لأنهم ثمره الحياة الزوجية، وأملها المرتجى، وعطرها الفواح، من أهمها:

(١) الأذان في أذن المولود. فعن أبي رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ: (رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة)، يعني بأذان الصلاة^(٤).

(ب) التسمية باسم حسن. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فأحسنوا أسماءكم)^(٥).

(١) سورة النساء، آية ٣٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم. البخاري: النكاح (٦٧) باب (٨٥) إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها ١٥٠/٦. ومسلم: النكاح (١٦) باب (٢٠) تحريم امتناعها من فراش زوجها ١٠٥٩/٢ حديث (١٤٣٦).

(٣) رواه مسلم: الرضاع (١٧) باب (١٧) خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ١٠٩٠/٢ حديث (١٤٦٧).

(٤) رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. الاضاحي (٢٠) باب (١٧) الأذان في أذن المولود ٩٧/٤ حديث (١٥١٤). أبو داود: الادب (٤٠) في الصبي يؤذن في أذنه ٣٢٨/٤ حديث (٥١٠٥). وأحمد: ٩/٦.

(٥) رواه أبو داود في سننه: الادب (٤٠) باب في تغيير الاسماء ٢٨٧/٤ حديث (٤٩٤٨)، وأحمد: ١٩٤/٥.

(ج) العقيقة، (هي ذبح شاة عن المولود الذكر وشاة عن المولود

الانثى) لما روى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ ﴿عن الغلام

شأتان وعن الجارية شاة﴾ رواه أحمد والترمذي وصححه

(د) على الآباء النفقة على الأولاد. قال الرسول ﷺ: (اليد العليا خير

من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) (١).

(هـ) التربية والتعليم. فعلى الآباء مسئولية ذلك. قال تعالى: ﴿يا أيها

الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (٢)،

وقال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (٣).

(و) الرحمة بالأولاد والتلطف معهم، وذلك لينشأوا نشأة سوية خالية

من العقد والكبت والضغط، ولكي يشعروا بالرحمة والسعادة

والاستقرار وهم بين آبائهم وأمهاتهم.

(ز) التسوية والعدل بين الأولاد، لحديث النعمان بن بشير، قال: إن أباه

أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحتت ابني هذا غلاماً كان لي،

فقال رسول الله ﷺ (أكل ولدك نحتته مثل هذا) فقال: لا، فقال

رسول الله ﷺ: (فأرجعه)، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له:

(أفعلت هذا بولدك كلهم؟) قال: لا، قال: (اتقوا الله واعدلوا بين

(١) أخرجه البخاري ومسلم. البخاري: النفقات (٦٩) باب (٢) وجوب النفقة على الأهل والعيال ١٨٩/٦

عن أبي هريرة. مسلم: الزكاة (١٢) باب (٣٢) بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ٧١٧/٢ ح (١٠٣٤) عن حكيم بن حزام.

(٢) سورة التحريم، آية ٦.

(٣) البخاري: الجمعة (١١) باب (١١) الجمعة في القرى والمدن ٢١٥/١ من حديث ابن عمر مرفوعاً.

ومسلم: الإمارة (٣٣) باب (٥) فضيلة الإمام العادل ١٤٥٩/٣ حديث (١٨٢٩).

أولادكم... الخ الحديث(١).

(٧) أوجب الإسلام حقوقاً للآباء على الأبناء كثيرة وكبيرة، فهما سبب وجودك في هذه الحياة، وتحملا العناء والتعب والسهر، فأوجب برهما، وحذر من عقوقهما، ومن أرضاهما أرضى الله، ومن أسخطهما فقد أسخطه، ومن برهما وأحسن إليهما فقد شكر ربه، ومن أساء إليهما فقد كفر بنعمته. وهما الباب الموصل إلى الجنة، فمن بر بهما وصل، ومن عقهما منع. وقد قرن الله سبحانه وتعالى برهما بعبادته وحده. وبهذا ندرك مدى عناية الإسلام بالأسرة عناية خاصة من خلال ما سبق ذكره مما جعلها أساس المجتمع.

والآن وبعد معرفة هذه الآثار المدمرة التي أدت إلى الإلحاد والانحلال النفسي والخلقي، وتدمير الحياة ذاتها، والقلق العصبي، والشذوذ الجنسي، وانفصام الشخصية، واليأس، والقنوط، والصراع والأنانية والانتحار، وكلها أصبحت ظاهرة خطيرة في المجتمعات الغربية، يظهر لنا مدى الحاجة إلى العقيدة الإسلامية لدرء هذه الآثار المدمرة، ويتأكد لنا أن الإسلام هو الحل الوحيد لإنقاذ المجتمعات البشرية، كما سنرى ذلك إن شاء الله في الباب القادم.

(١) متفق عليه. البخاري: الهبة (٥١) باب (١٣) الإشهاد في الهبة ١٣٤/٣ عن النعمان بن بشير. ومسلم: الهبات (٢٤) باب (٣) كراهية تفضل بعض الأولاد في الهبة ١٢٤٣/٣ حديث (١٦٢٣) عن النعمان.

الباب الرابع

الإسلام هو الحل لإنقاذ المجتمعات البشرية

ويتضمن ثلاثة فصول

الفصل الأول أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها.

الفصل الثاني أثر العقيدة في نهوض الفرد والأمة.

الفصل الثالث أثر الشريعة في رقي الفرد والأمة.

الفصل الأول

أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها

ويشتمل على سبعة مباحث

أولاً أهمية العقيدة في مجال السلوك.

ثانياً أهمية العقيدة في مجال الاقتصاد.

ثالثاً أهمية العقيدة في المجالات الاجتماعية.

رابعاً أهمية العقيدة في مجال السياسة.

خامساً أهمية العقيدة في المجالات العلمية.

سادساً أهمية العقيدة في مجال الجسم.

سابعاً أهمية العقيدة في مجال النفس.

الباب الرابع

الإسلام هو الحل لإنقاذ المجتمعات البشرية**مدخل**

المجتمعات البشرية التي انغمست في المتع الحسية، وانصرفت للمادة، وابتعدت عن منهج الله، وانحرفت وراء الشهوات والأهواء وانحرفت وراء الإباحية والإلحاد، وأطلقت عنان الحرية، أصبح الإنسان فيها إنساناً قلقاً معذباً يائساً، مستسلماً لعالم الرعب والموت، عالم المجاعات والفقر، عالم الحروب المدمرة، عالم الأمراض والقهر والحرمان، ولكي تتضح صورة المجتمعات المعاصرة القائمة أكثر أشير لما أصابها، فقد سجلت الإحصائيات والدراسات أرقاماً مفزعة عن حوادث السقوط والانهيال الفردي والجماعي في المجتمعات المادية وجودية وغيرها. ندون منها مايلي:

جريمة كل ثلاثين ثانية في نيويورك، تتعرض تسع فتيات للغصب والاختطاف من أصل كل اثنتي عشرة فتاة في بريطانيا، وأن رجال الأمن تمكنوا من القبض على ١٣٪ من الجناة فقط، الجرائم ارتفعت بنسبة ٨٤٪ خلال سنوات قليلة، بينما إرتفعت جرائم المراهقين إلى خمسة أضعاف خلال النصف الأول من سنة ١٩٧٥. مجموعة من الشباب والفتيات - دون العشرين - يقفون يومياً أمام المحاكم بتهمة ارتكاب أبشع الجرائم، مثل الاعتداء الخلقي والإغتصاب

والنهب والقتل^(١)، ٢٥٪ من السويديين مصابون بالأمراض العصبية والنفسية، ٤٠٪ من الدخل في السويد ينفق على معالجة هذه الأمراض، وذلك سببه الحرية التي نالتها المرأة في السويد بالشكل الذي تمارسه. يقول الإتحاد الأمريكي للخدمات الأسرية، أصبح إنهيار الأسرة والذي وصل الآن درجة وبائية - المشكلة الإجتماعية الأولى - فكل عام يفصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص، والمعدل الحالي هو سبعة أضعاف ما كان قبل مائة سنة، وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨م ويولد سنوياً ٤ ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة الأمريكية، مشكلة جنوح الأحداث والتي ترتبط بمشكلة الطلاق إرتباطاً وثيقاً فقد تضاعفت بدورها ثلاث مرات عما كانت عليه في إحصائية ١٩٤٠م وأغلبية جرائم القتل يرتكبها أصدقاء وأقارب، و١٥٪ من جرائم الأسرة هي حالة قتل أبوين لأبنائهما، وفي إستفتاء جرى مؤخراً تحت إدارة اليونسكو كانت النتيجة أن ٦٠٪ من الزوجات الأمريكيات والزوجات الأوربيات يشعرن بالخيبة والشقاء وعدم الرضا^(٢) وجاء في تقرير الدكتور (لبيريت) وهو طبيب فرنسي أنه يموت في فرنسا ٣٠ ألف نسمة بأمراض الزهري المختلفة في كل عام، ويموت في أمريكا ٤٣٠ ألف طفل بمرض الزهري كل سنة، والجدير بالذكر أن هذا المرض سببه إنتشار

(١) راجع: مجلة المجتمع الكويتية عدد ٢٨٢ ص ٥٠٤ ذي القعد ١٣٩٦.

(٢) راجع كتاب (الإنسان والدين) ص ٩٨-١٠٠ من منشورات دار التوحيد بالكويت.

الزنى^(١) وجاء في تقرير آخر أنه بلغت حالات الطلاق في بريطانيا بسبب الخيانة الزوجية من كلا الزوجين وذلك في عام ١٩٧٣م ١١٥٥٠٤٨ حالة طلاق، والمشكلة الخطيرة في المجتمع الشيوعي الروسي هي أن كل حالتي زواج تحدث حالة طلاق في معظم المدن الروسية الغربية، ففي موسكو تحدث تسعة وأربعون حالة طلاق من كل مائة حالة زواج^(٢).

أرقام مفرزة، حقائق مذهلة، مجتمعات ضائعة، متمزقة إنتحار ومجون وشذوذ^(٣) إذن ماهو الحل لإنقاذ هذه المجتمعات البشرية؟ الحل هو الإسلام، المنقذ الوحيد لأنه:

- ١- الدين الذي يزكي النفس ويطهرها ويقيم في حناياها الوازع القوي الذي يحول دائماً بين الإنسان وبين نوازع السوء والضلال.
- ٢- الدين يبين الشر والفساد والرذيلة ليتقي أتباعه شرها وينتهوا عن إقترافها، كما يبين الخير والإصلاح والفضيلة ليقتفي الناس أثرها، فهو يقيم لأتباعه نظاماً كونياً نظيفاً ويدعوهم إلى إعتناقه، والتمسك به، كما يقيم لهم دستوراً حكيماً يحفظ للإنسان إنسانيته كما يحفظ له نفسه

(١) المرجع السابق ص ١٠٠-١٠١.

(٢) راجع كتاب (الإنسان والدين)، ص ١٠٠-١٠١.

(٣) أثناء طبع الرسالة صدر في جريدة الرياض عدد ٨٦٠٧ في ١٣/٧/١٤١٢هـ آخر تقدير عن الجرائم في أمريكا وبريطانيا مفاده أن عدد جرائم القتل التي ارتكبت على الأراضي الأمريكية في ١٩٩١م بأربعة وعشرين ألفاً وعشرين جريمة أي أكثر بخمسمائة جريمة عن العام ١٩٩٠م وفي بريطانيا أن شخصاً واحداً تقريباً قتل كل ١٢ ساعة خلال عام ١٩٩١م.

وعرضه وماله.

٣- الدين خير معز إن أمت به نوازل الدهر أو أصابه ما يوجب العزاء، كما

أنه طاقة كبرى تدفع إلى الأمل والرجاء.

٤- الدين هو الذي كرم الإنسان وعلمه مالم يكن يعلم.

٥- الدين لم يهمل الدنيا فهي في نظره مزرعة للأخرة لا يصح الإنصراف عنها

قال تعالى ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾^(١) ولم

يهمل العلم والعمل بل دعا إليهما وحث عليهما، ووعد بالأجر والثواب

جزاء لهما.

٦- الدين هو الذي عرف الناس العقيدة الحقة في الله ذاتاً وصفاتاً، وفي الرسل

الكرام وفي الأمور الغيبية، ولولا الدين ما إستطاع الإنسان مهما أوتى

من حدة في الذكاء و إستقامة في التفكير أن يدرك ذلك إدراكاً صحيحاً

وبجلاء ووضوح كما جاء به الدين.

٧- الدين هو الذي عرفنا الشريعة الحقة، العبادات وطرق المعاملات، كما حد

الحدود التي تصون النفس والعرض والمال وأنه لولا الدين لما كان هذا.

٨- الدين هو الذي أقام الحضارات الأولى وأقدها، وباسمه أسست حضارة

(١) سورة الملك آية ١٥.

الإسلام التي كانت أعظم حضارة شهدتها القرون الوسطى^(١).

إنّ الإنسانية بحاجة إلى الدين. والدين عقيدة وشريعة. وسنرى في الفصول

القادمة أهمية العقيدة ومدى الحاجة إليها وأثرها في نهوض الفرد والأمة

كما سنرى أهمية الشريعة وأثرها في رقي الفرد والأمة.

(١) راجع: د.عبدالسلام عبده (العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل) مطبعة الفجر الجديد

مصر ج ١ ص ٥٢-٥٩.

الفصل الأول

أهمية العقيدة الإسلامية ومدى الحاجة إليها

للعقيدة الإسلامية أهمية كبرى ومكانة عظيمة في حياة الإنسان فهي تزكي النفس وتطهرها، وبذلك حملت العقيدة الإسلامية الإنسان على العمل الصالح، والانتفاع من هذا الكون، وهذه الحياة على الوجه المشروع، والارتقاء إلى قمة السعادة والسير في طريق الخير والبناء، كما حاربت العقيدة الإسلامية الأوهام والخرافات، وحررت الإنسان من هذه الخرافات عندما أفهمته أن الإنسان لا يذل ولا يخضع ولا يعبد إلا الله سبحانه وتعالى، فإرتقى التفكير الإنساني من مجال الخرافة والأساطير إلى التأمل العلمي والمشاهدة الصحيحة، وبهذه العبودية والخضوع لله سبحانه وتعالى لبت العقيدة الإسلامية داعي الفطرة؛ ودلت الإنسان على خالقه ورازقه الذي بيده ملكوت كل شيء، فأخرجته بذلك من الإنحراف والتخبط، وأشعرته بمسئوليته أمام الله في الدنيا والآخرة، فإندفع إلى اشرف وأنبل الأعمال، كما أن العقيدة الإسلامية أنقذت الإنسان من إستعباد الإنسان إذ أنها جعلت البشر جميعاً عباداً لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وهم مخلوقون له وحده وهم سواسية

أمامه حاكمين ومحكومين، والله رب العالمين.^(١) وبهذا أستطيع أن أقول إن الإنسان بلا عقيدة هو إنسان ميت القلب والضمير والمشاعر والأحاسيس، وميت العقل والفكر والبصر، ومثل هذا الإنسان لا قيمة له في الوجود بل إن الحيوان أفضل منه، لأن الحيوان لم يخرج عن طبعه ولم يعهد إليه بحمل رسالة، أما الإنسان فهو حامل للأمانة، فإذا لم يؤد الأمانة ولم يرع حق الله فقد خرج عن مهمة وجوده وهي العبادة وأداء الرسالة وانحرف عن سلوكه ورسالته ووظيفته الأساسية في الحياة، وبالتالي خرج عن هذه المهمة العظيمة فصار مثل الحيوان بل إن الحيوان أهدى منه. قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢) وعقيدة تكمن أهميتها في كل هذا نحن بأمس الحاجة لها في جميع أوجه حياتنا وفي جميع المجالات الآتية:

١- في مجال السلوك:

العقيدة الإسلامية تجعل حاملها يتحمل الناس، ويتعامل معهم بسلوك مستقيم، ويبتعد عن الغيبة والنميمة، والتجسس وتتبع الهفوات، ويكبح جماح الشهوة حتى يغنيه الله بالحلال ويصلح بين الناس، ويميط الأذى عن الطريق، ويقوم بهذه الأعمال عن قناعة طاعة لله، وإبتغاء رضوانه ويمتنع عن المخدرات، والمسكرات، والفواحش، التي تجلب لصاحبها أعتى الأمراض،

(١) راجع: د. آمنة محمد نصير (إنسانية الإنسان في الإسلام) دار الشروق القاهرة ص ٣٣-٣٨.

(٢) سورة الفرقان آية ٤٤.

ويبتعد عن الفتن والزلات والمذاهب الهدامة التي تذهب دينه ودنياه.

٢- في مجال الاقتصاد:

العقيدة الإسلامية تدفع حاملها إلى العمل والكسب الشريف وتمنعه من الإعتداء على أموال الناس، وقبول الرشاوي، والمعاملات الربوية، وعن الاحتكار لأنه يعلم أن الله هو الرزاق، كما أن العقيدة تدفع حاملها إلى الحفاظ على الثروات المادية العاملة للدولة.

٣- في المجالات الاجتماعية:

العقيدة الإسلامية تلزم المؤمن بها بكل الإيجابيات التي تخدم وحدة المجتمع، وتكافله من صدق وإيثار، وجهاد وتعاون، وصدقة وتعاقد، كما تبعده عن كل ما يؤذي المجتمع وأمنه من رذائل وخيانات، واستهتار وتزييف، ويسلك حامل العقيدة في المجتمع سلوكاً صادقاً لا نفاق فيه ولا مداهنة ولا رياء.

٤- في مجال السياسة:

العقيدة الإسلامية تلزم حاملها بطاعة أولي الأمر من المسلمين، ما أقاموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإذا هجروا كتاب الله وسنة رسوله حذرهم من مغبة ذلك بالحكمة والنصيحة، وإذا جاهرُوا بعداء الدين، واستحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحله الله، فإنه لا سمع ولا طاعة حينئذ، وإذا دعا داعي الجهاد في الإسلام فلا يتقاعس ولا يتأبى لداعي الجهاد، ولا

يخاف في الله لومة لائم.

٥- في المجالات العلمية:

العقيدة الإسلامية تدفع حاملها إلى طلب العلم، واستخدام الفكر، فكلمة
ازداد علما ازداد إيمانا و يقينا، والعلماء ورثة الأنبياء والعلم خير وعز وشرف
لحامله. قال تعالى: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات^(١).

٦- في مجال الجسم:

العقيدة الإسلامية تدعو إلى العناية بالجسم، فإن المؤمن القوي خير
وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وتدعوا إلى المحافظة على الجسم وعدم
تقويضه، والإضرار به بإستعمال ما حرم الله من المشروبات والمخدرات التي
ثبت ضررها عليه.

٧- في مجال النفس:

العقيدة الإسلامية تهذب النفس، وتجلب النور، والسعادة، وتبعد عن
السفاسف، وتحفظ من كل شر، وتدعوا إلى كل خير، فإذا بالمؤمن راض
النفس لا يقلقه حب شيء، ولا يحزنه فقد شيء من الدنيا.
ونخلص إلى أن الإنسان بأمس الحاجة إلى العقيدة الإسلامية وذلك للأسباب
الآتية منها:

للمحفاظ على العقل والنفس، وللمحفاظ على الروح والمعتقد، وللمحفاظ على
الجسد والعرض، وللمحفاظ على المال والأبناء والأهل وللمحافظة على الدنيا
والآخرة.

(١) سورة المجادلة آية ١١.

الفصل الثاني

أثر العقيدة في نهوض الفرد والأمة

ويشتمل على ستة مباحث

أولاً أثر الإيمان بالله في حياة الفرد والأمة.

ثانياً أثر الإيمان بالرسول في حياة الفرد والأمة.

ثالثاً أثر الإيمان بالملائكة في حياة الفرد والأمة.

رابعاً أثر الإيمان بالكتب في حياة الفرد والأمة.

خامساً أثر الإيمان بالقدر في حياة الفرد والأمة.

سادساً أثر الإيمان بالبعث في حياة الفرد والأمة.

الفصل الثاني

أثر العقيدة في نهوض الفرد والأمة

إن الدارس للعقيدة الإسلامية المتأمل فيما جاءت به من حكم وأسرار يدرك أثرها الواضح في نهوض الفرد والأمة، وآية ذلك هؤلاء الذين إصطنعتهم العقيدة الإسلامية فتمثلوها علماً وعملاً، قلباً وجوارحاً فكان الرجال الذين يذكرهم التاريخ فيذكر العدل والبر والرحمة والشجاعة والتناسي عن الدنيا، حتى مع مخالفيهم في العقيدة، وعقيدتهم أغلى ما يملكون وما يحبون.

فما هذه الآثار التي نتجت عن هذه العقيدة الحقة فامتدت ظلالة فشملت الدنيا بأسرها؟

أولاً - أثر الإيمان بالله في حياة الفرد والأمة:

إن الإيمان بالله الذي أنكرت الوجودية وجوده، أو قالت بوجوده معزولاً عن هذا الوجود، هو رأس العقيدة وزروة سنامها، وبذلك فقد وضع الإسلام في هذا الأمر الخطير آية الآيات، ومعجزة المعجزات، فبين أن الله - سبحانه وتعالى - ذات إنفردت بعلم نفسها، ومنزهة عن صفات النقص والعيب. وهذا بيان ذلك :-

١- الإيمان بالله تعالى وسيلة لطلب معرفته بأسمائه وصفاته ، ولحبه وتعظيمه

وطاعته وخشيته ، والتقرب بفعل محابه ، واجتناب محارمه ، يشهدلهذا يويدل عليه قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) إذ علق تعالى حصول ما طلبه منهم على إيمانهم

٢- الإيمان بالملائكة وسيلة إلى الاعتبار بطاعتهم لأنهم : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢) ووسيلة إلى الاستحياء منهم ، والاستئناس بهم لعلم المرء بأن الكرام الكاتبين عن يمينه وشماله لا يفارقونه كما أنه وسيلة إلى معرفة عظمة الله تعالى فيهم (٢) ٣- الإيمان بالكتب وسيلة إلى الإيمان بالله تعالى ، ومعرفة علمه ، وأسمائه ، ووعده ووعيده ، كما هو وسيلة إلى تصديق الرسل الذين أرسلوا بها ، وأنزلت عليهم ، ووسيلة أيضاً إلى معرفة شرائع الله تعالى ، وجميع ما يحبه ، ويرضاه ، أو يكرهه ويسخطه من المعتقدات ، والأقوال ، والأفعال ، وإلى معرفة الغيب وأحوال الدار الآخرة .

٤- الإيمان بالرسول وسيلة إلى معرفة تطبيق شرائع الله تعالى ، وبيان كيفية أداء عباداته ، ووسيلة إلى محبة الرسل الباعثة على طاعتهم ، واتباعهم والتزام شرائعهم .

٥- الإيمان باليوم الآخر وسيلة إلى فعل الخيرات ، وترك المنكرات بما يوجد

(١) ...سورة الانفال الآية (١)

(٢) سورة التحريم الآية (٦)

(٣) ...جاء في الصحيحين : ان الرسول ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح . اللؤلؤ والمرجان (١ / ٤١) ، (٤ / ٤٦) . ومسلم (١ / ١٠٩) ..

في النفس من الرغبة فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة ، وبما يوجد لها من الخوف من عذاب الله ، والرغبة من عقابه .

٦- الإيمان بالقدر وسيلة إلى ترك الحزن على ما فات من متاع الحياة ، وترك الفرح الحامل على البطر والأشر بما يؤتي الأنسان من حطام الدنيا ، ومتاعها الزائل . كما هو وسيلة إلى الصبر والتحمل والطمأنينة والسكون .

ويستطيع صاحب العقيدة الصافية الإحساس والشعور بأثر الإيمان بالله وطاعته من خلال الحقائق التالية:

(أ) ان الإنسان يواجه بعض الصعوبات والمشاكل في هذه الحياة، والإيمان بوجود الله يمد الإنسان بالقوة التي تعينه على تخطي هذه الصعوبات والمشاكل لأنه لن يضعف ومعه الله القوي، ولن ييأس ومعه الله الذي يمهده بالأمل ويجيب الدعاء، ولن يجبن ومعه الله المعين ولن يتكاسل عن عمل الخير لأن الله سيثيبه عليه، ولن يجرؤ على عمل الشر لأن الله سيعاقبه إن عمله. وقد أكدت بعض الدراسات التربوية والأبحاث النفسية أن الإيمان بالله تعالى وقاية وعلاج من الأمراض النفسية والأضطرابات العصبية، والانحرافات الخلقية التي تنشأ من عوامل القلق والتوتر والخوف، وقد أثبت بعض علماء النفس أن الذين يقدمون على

(١) راجع: د.عبد السلام عبده (العقيدة الإسلامية) ج ٢ ص ١١٢-١٣٥.

بعضاً إلى هدف واحد. قال تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (١).

(ج) أن الإيمان بالله يولد إحساساً بأن الله يحمي المؤمن من هذا الكون، وبكل ما أودع فيه، بل ويسخره له، وييسر له سبل الوصول إلى ذلك. قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَاتُ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (٣)، وإن أشد الناس حيرة واضطراباً في هذه الحياة هم غير المؤمنين بالله عز وجل، لأنهم في خوف دائم من الظروف حولهم، ومن الناس والأشياء وكل ما يحيط بهم.

(د) أن الإيمان بالله عز وجل يغرس في قلب المؤمن، وفي أغوار وجدانه الإحساس بالمسئولية، والإندفاع الذاتي نحوها، والشعور بمراقبة الله ومخافته. قال تعالى ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٤).

لقد أثرت عقيدة الإيمان بالله في نفوس المؤمنين، إمتثالاً لأوامره، وإجتنباً لنواهيه، فمن إمتلأ قلبه يقيناً بوجود خالقه ورازقه، ومالك عليه أمره وشأنه أكد عبوديته له وكانت عبوديته له وحده، ذلك لأن الإنسان متى أدرك أن خالقه ورازقه ومالك أمره كله عاجله وآجله هو

(١) سورة الأنعام آية ١٥٣.

(٢) سورة الجاثية آية ١٣.

(٣) سورة الرعد آية ١١.

(٤) سورة سبأ آية ٣.

الله وأن جاهه وعزه ومجده منه تعالى ترفع عن أن تنحني هامته
لغيره فكان سيداً لا تذلل هامته لغير الله.

لقد زعمت بعض المذاهب الهدامة، أن الإنسان ليس عبداً لعنصر في
الأرض أو كائن في السماء، ثم نادى بحرية الإنسان حرية مطلقة دعت
فيه إلى نبذ العبودية حتى ولو كانت العبودية لله. فهل نجحت فيما
زعمت؟ وحققت ما دعت إليه؟ ماذا حل بالإنسان حين حاول أن يتحرر
من العبودية لله؟ لقد تعبدته شهواته، تعبدته حب المال والجاه
والسلطان.

إن الإنسان حين حاول أن يتحرر من عبوديته لله هاب كل ما سوى الله،
وحين تجرأ على حدود الله خاف من كل ما سواه، ذلك لأن الإنسان الذي لا
يخاف إلا الله لا يخشى سواه، أما من لا يخاف الله فإنه يخشى كل شيء
سواه، فحين تجرأت أوروبا وغيرها من شرق ملحد وغرب منحرف عن الحق
- على حدود الله - خاف أبناؤها من القطة السوداء، والرقم ١٣، بل خاف
الإنسان من نفسه، ومن ولده ومن زوجته، بل ومن يومه وأمسه وغده. وما
بمثل هذا الخواء والاضطراب تعمر الدنيا أو تتقدم الأمم أو يطمئن الفرد. إن
الوجودية حين زعمت أن الله ليس بموجود - معاذ الله - أو موجود لأشأن له
بهذا العالم كإله أرسطو، أو مسلوب الإرادة كإله أفلاطون، فقد أثرت في
نفوس معتنقيها القلق واليأس والهم والغم.

أما عقيدة الإيمان بالله فقد ربطت على قلوب الأمة، فأوجدت جيلاً جاء في

أما عقيدة الإيمان بالله فقد ربطت على قلوب الأمة، فأوجدت جيلاً جاء في أوانه ليصح موازين القوى في العالم ويقذف بالزبد في وجوه الأفكين. وإذا كانت العبودية لله تسود العبد على ما سواه - كما أوضحت - فإنها كذلك شرف لا يسمو إليه شرف، ونبل لا يطاوله نبل، فالإنسان كلما زادت عبوديته لله زاد عزه وشرفه وعلو مكانته، والعكس صحيح إذ كلما أذله شيطانه الماكر عن عبوديته لله، زاد ذله وفقره وخموله. وبالإيمان بالله يتحرر المؤمن من ربة الهوى، ونزعات النفس الأمارة، وهمزات الشياطين، وفتنة المال والنساء، ويتحلى بالمراقبة لله، والإخلاص له والاستعانة به، والتسليم لحكمه في كل ما ينوب ويروع، ويندفع بكليته إلى العمل بأمانة وجدية وإتقان. وهكذا تفعل عقيدة الإيمان بالله في النفوس المؤمنة، وما تفعله هو دواء الوجودية وغيرها من تيارات ملحدة.

ثانياً - أثر الإيمان بالرسول في حياة الفرد والأمة:

الرسول والأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد بن عبدالله هم الصلة والرحمة بين الخالق وبين عباده، أرسلهم الله عز وجل إلى الناس بتعاليمه والدعوة إلى عبادته وطاعته قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾^(١) وقد أصطفى الله من عباده هؤلاء الرسل ليكونوا أداة إصلاح، ووسيلة هداية، ومصدر إشعاع لمن أرسلوا إليهم، وهم النماذج البشرية الفريدة المتكاملة الذين يجب

(١) سورة الأحزاب آية ٤٥-٤٦.

أن يأخذ الفرد والمجتمع عنهم، ويتأسوا بهم، وهم لا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وأظهر أوصافهم الصدق، الأمانة، العصمة. لهذا يجب الإيمان بهم، والتلقي عنهم، والتحلي بأخلاقهم وسلوكهم والإقتداء بهم، وتطبيق ما عملوه. قال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾^(١) وعدم الاعتراف بهم يؤدي إلى متاهات التفسيرات البشرية التي قد تؤدي في النهاية إلى الإبتعاد عن جوهر الدين وأسس ومبادئه.

ثالثاً - أثر الإيمان بالملائكة في حياة الفرد والأمة^(٢):

الملائكة هم كما وصفهم الله عز وجل بقوله ﴿عباد مكرمون﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^(٤) ولهم وظائف مكلفون بها، لا يستنكفون عن آدائها، فمن هؤلاء الملائكة من يحصون أعمالنا، وما قدمت أيدينا لتوزن يوم الحساب ونلقى بها ثواباً أو عقاباً. قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾^(٥) وقال تعالى: ﴿كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾^(٦) ومنهم من يرفع أعمالنا إلى الله عز وجل صباح مساء، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم المكلف بسؤال العبد بعد الموت إلى غير ذلك من الوظائف التي أوكلهم الله عليها^(٧) لهذا يجب الإيمان بالملائكة، والشعور بما كلفوا به

(١) سورة الانعام آية ١٠.

(٢) راجع: عفيف عبدالفتاح طيارة (روح الدين الإسلامي) دار العلم للملايين بيروت ص ١٤٦-١٥١.

(٣) سورة الانبياء آية ٢٦.

(٤) سورة التحريم آية ٦.

(٥) سورة ق آية ١٨.

(٦) سورة الإنفطار آية ٩-١٢.

حتى يزداد الفرد والمجتمع خشية ورهبة من الله، فينعكس آثار ذلك على سلوكه وأخلاقه وسائر تصرفاته.

رابعاً - أثر الإيمان بالكتب/ في حياة الفرد والأمة: (١).

يجب على الفرد والأمة أن تؤمن بالكتب التي جاء بها رسل الله من الله عز وجل، لأن في هذه الكتب القوانين التي تنظم حياتنا وسلوكنا، أفراداً وجماعات، وهي قوانين إلهية صادرة من العليم الحكيم تتلائم مع واقع الناس، وتفي بحاجة البشر، وإذا أخذ الفرد والمجتمع بهذه القوانين وساروا عليها كانت سبباً في درء مفاسدهم، وتأمين مصالحهم في الدين والدنيا والآخرة، وفي ذلك مرتقاها السامي، وعزتهم المنشودة وسلامهم الأمن، وتوحيد لهم وسريان روح المحبة والوثام، كما تدعو هي إلى ذلك. وعدم الإيمان بالكتب يؤدي بالبشر إلى أن يشرعوا لأنفسهم تشريعات ناقصة مؤسسة ومبنية على النظرة القاصرة والهوى المهلك فيحصل البغض والحقد، والقلق والصراع بين

(٧) راجع: عبدالمجيد الزنداني وآخرون (الإيمان) دار القلم بيروت ص ١٥٣-١٥٦.

(٨) وقد إنقسم الناس حيال الكتب السماوية إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم كذب بها كلها وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين والفلاسفة.

٢ - قسم آمن بها كلها وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم . كما قال تعالى : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾.

٣ - قسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها، وهم اليهود والنصار ومن سار على نهجهم الذين يقولون : ﴿نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم﴾ بل هؤلاء لا يؤمنون ببعض كتابهم ويكفرون ببعضه كما قال تعالى عنهم : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾.

ولاشك أن الإيمان ببعض الكتب أو ببعض الكتب، والكفر ببعض الآخر كفر بالجميع لأنه لا بد من الإيمان بجميع الكتب السماوية، وبجميع الرسل.

الأفراد، ويقضي على السعادة والطمأنينة في مجتمع يتصارع أو لا يحس أفراده بالسكينة والمحبة فيما بينهم^(١).

خامساً - أثر الإيمان بالقدر في حياة الفرد والأمة:

لقد دعا الإسلام أمته إلى الإيمان بالقضاء والقدر، وبين أنه أحد أركان الإيمان، لا يكمل إيمان المرء إلا به، فمن أنكره فهو كافر لإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة. وبين أيضاً أن كل ما يحدث لنا إنما هو من تدبير الله سبحانه وتعالى وإرادته، وفائدة هذا الإيمان أن يكون سلاحاً مع المؤمن يظهره أمام المحن والمصائب التي تعترض حياته مما ليس له يد فيه، فإذا أصابه شيء فإنه سيركن إلى الله - سبحانه - فهو الذي يقدر، وهو الذي يقضي وهو الذي يدبر، وهو الذي سيجزيه على صبره خيراً. قال تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾^(٣) وأما إذا لم يعتقد ذلك فإنه سيتردى في هوة اليأس والندم، والثورة على نفسه وعلى الحياة كما هو حال الوجوديين.

إن من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر : صحة إيمان الشخص بتكامل أركانه؛ لأن الإيمان بذلك من أركان الإيمان الستة التي لا يتحقق إلا بها كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر : طمأنينة القلب وارتياحه وعدم القلق في هذه الحياة عندما يتعرض الإنسان لمشاق الحياة؛ لأن العبد إذا علم أن

(١) راجع: عبدالمجيد الزنداني وآخرون (الإيمان)، ص ٥٦-٥٩.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦-١٥٧.

(٣) سورة التوبة آية ٥١.

ما يصيبه فهو مقدر لا بد منه ولا راد له واستشعر قول الرسول ﷺ «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك» فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن بالله. بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر، فإنه تأخذه الهموم والأحزان ويزعجه القلق حتى يتبرم بالحياة ويحاول الخلاص منها ولو بالانتحار كما هو مشاهد من كثرة الذين ينتحرون فرارا من واقعهم وتشاؤما من مستقبلهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر، فكان تصرفهم ذلك نتيجة حتمية لسوء اعتقادهم، وقد قال الله تعالى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل إن نبرأها إن ذلك على الله يسر لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾، فأخبرنا سبحانه أنه قدر ما يجري من المصائب في الأرض وفي الأنفس، فهو مقدر ومكتوب لا بد من وقوعه مهما حاولنا دفعه، ثم بين أن الحكمة من إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن فلا نجزع ونأسف عند المصائب، ولا نفرح عند حصول النعم فرحاً ينسينا العواقب، بل الواجب علينا الصبر عند المصائب وعدم اليأس من روح الله، والشكر عند الرخاء وعدم الأمن من مكر الله، ونكون مرتبطين بالله في الحالتين، قال عكرمه رحمه الله : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً.

وليس معنى هذا أن العبد لا يتخذ الأسباب الواقية من الشر والجالبة للخير ويتمك على القضاء والقدر كما يظن بعض الجهال، هذا من أكبر الغلط والجهل، فإن الله أمرنا باتخاذ الأسباب ونهانا عن التكاسل والإهمال، ولكن إذا اتخذنا السبب وحصل لنا عكس المطلوب فعلياً أن لا نجزع؛ لأن هذا هو القضاء المقدر، ولو قدر غيره لكان، ولهذا يقول النبي ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»

رواه مسلم، وعلى العبد مع هذا أن يحاسب نفسه ويصحح أخطائه فإنه لا يصيبه شيء إلا بسبب ذنوبه، قال تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر : الثبات عند مواجهة الأزمات واستقبال مشاق الحياة بقلب ثابت ويقين صادق لاتزلزله الأحداث ولا تهزه الأعاصير؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة دار ابتلاء وامتحان وتقلب، كما قال تعالى ك ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبولكم أيكم أحسن عملاً ﴾ وقال تعالى ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾.

كم جرى على رسول الله ﷺ وعلى صحابته من المحن والشدائد، لكنهم واجهوها بالإيمان الصادق والعزم الثابت حتى اجتازوها بنجاح باهر، وما ذاك إلا لإيمانهم بقضاء الله وقدره واستشعارهم لقوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر : تحويل المحن إلى منح والمصائب إلى أجر، كما قال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾.

قال علقمه : هو الرجل تصيبة المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، ومعنى الآية الكريمة : من أصابته مصيبة فعلم أنها من قدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عافاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً، وقد يخلف الله عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه، وهذا في نزول المصائب التي هي من قضاء الله وقدره لا دخل للعبد في إيجادها إلا من ناحية أنه تسبب في نزولها به حيث قصر في حق الله عليه بفعل أمره وترك نهيه، فعليه أن يؤمن بقضاء الله وقدره ويصحح خطأه الذي أصيب بسببه.

وبعض الناس يخطئون خطأ فاحشاً عندما يحتجون بالقضاء والقدر على فعلهم للمعاصي وتركهم للواجبات. ويقولون : هذا مقدر علينا ولا يتوبون من ذنوبهم، كما قال المشركون : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾، وهذا فهم سيء للقضاء والقدر، لأن القضاء والقدر لا يحتج بهما على فعل المعاصي والمعائب، وإنما يحتج بها على نزول المصائب، فالاحتجاج بها على فعل المعاصي قبيح؛ لأنه ترك للتوبة وترك للعمل الصالح المأمور بهما، والاحتجاج بها على المصائب حسن؛ لأنه يحمل على الصبر والاحتساب.

ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة، فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه وأنه إذا جاء لا يؤخر ولا يمنع منه حصون ولا جنود ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾، ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ وهكذا حينما يستشعر المجاهد في الدفاعات القوية من الإيمان بالقدر يمضي في جهاده حتى يتحقق النصر على الأعداء وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين.

وكذلك بالإيمان بالقدر يتوفر الإنتاج والثراء؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضره إلا بشئ قد كتبه الله عليه ولا ينفعون إلا بشئ قد كتبه الله له - فإنه لن يتواكل ولا يهاب المخلوقين ولا يعتمد عليهم وإنما يتوكل على الله ويمضي في طريق الكسب، وإذا أصيب بنكسة ولم يتوفر له مطلوبه فإن ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود لا يقطع منه باب الأمل ولا يقول : (لو أنني فعلت كذا كان كذا وكذا) ولكنه يقول : ﴿ قدر الله وما شاء فعل ﴾ ويمضي في طريقه متوكلاً على الله مع تصحيح خطئه ومحاسبته لنفسه، وبهذا يقوم كيان المجتمع وتنظيم مصالح وصدق الله حيث يقول : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾.

قد أثرت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر التي رفضتها الوجودية - رفضاً قاطعاً - في حياة الفرد المسلم طمأنينة وراحة بال وهدوء أعصاب، إنه مطمئن إلى ما عند الله واثق من بره وعطائه، ومعتقد أن رزقه إن لم يأته اليوم فلن يخطئه غداً فاستقامت بهذه العقيدة الأفكار والعقول كما صحت الأبدان والأجسام على قدم المساواة^(١) إنه بالإيمان بالقضاء والقدر يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والهلع، ويتحلى بالصبر والشجاعة والإقدام، ولا يخشى في الله لومة لائم ويكون مثالا في السلوك والأخلاق والتربية، والله سبحانه مع المؤمنين العاملين الصادقين.

٢

سادساً - أثر الإيمان بالبعث في حياة الفرد والأمة:

دعا الإسلام أبناءه إلى الإيمان بحياة آخرة إعتبرها الحياة التي ينبغي أن تسمى حياة. قال تعالى ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾^(٢) بعد أن قال عن هذه الحياة الدنيا ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾^(٣) والإيمان باليوم الآخر يضيف على الحياة معنى، لأنه ما الفائدة في حياة فيها الكثير من الصعاب والعقبات، ويقضي الإنسان الكثير من عمره في تخطي هذه الصعاب وتلك العقبات، وكثيراً ما يفعل الإنسان الخير ويضحى بجهده وعمله وماله، ولا يجد مكافأة دنيوية عليه، وكثير من الناس يظلمون ويفسدون ثم يرحلون بلا عقاب أو حساب.

(١) راجع: فاروق أحمد الدسوقي (القضاء والقدر في الإسلام) المكتب الإسلامي بيروت ص ٣٢٣-

٣٦٨.

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٤.

(٣) سورة العنكبوت آية ٦٤.

وقد تنوعت أدلة البعث في القرآن الكريم : فتارة : يخبر عن أماتهم ثم أحياهم في الدنيا، كما أخبر عن قوم موسى الذين قالوا : ﴿أرنا الله جهرة﴾ قال : ﴿فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ وعن ﴿الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾، وعن إبراهيم إذ قال : ﴿رب أرني كيف يحيى الموتى﴾... القصة، وكما أخبر عن المسيح أنه كان يحيى الموتى بإذن الله وعن أصحاب الكهف أنهم بعثوا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

وتارة : يستدل على ذلك بالنشأة الأولى ، فإن الإعادة أهون من الابتداء كما في قوله : ﴿إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب﴾ الآية، وقوله ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ ، ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾، ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾.

وتارة : يستدل على ذلك بخلق السموات والأرض، فإن خلقها أعظم من إعادة الإنسان كما في قوله ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى﴾.

وتارة : يستدل عليه بتنزيه الله عن البعث، كما قال تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً، وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ إلى قوله سبحانه ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى﴾ فالناس في هذه الدنيا منهم المحسن ومنهم المسيء، قد يموتون ولا ينال أحدهم جزاء عمله، فلا بد من دار أخرى يقام فيها العدل بين الناس وينال كل منهم جزاء عمله.

إن الله سبحانه وتعالى - وهو العادل - قد أعد هذه الحياة الآخرة ليلقي فيها

المحسن جزاء ما أحسن، والمسيء أو الظالم عاقبة ما أساء أو ظلم. قال تعالى ﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾ (١) إن الإنسان إذا تصور البعث وحتميته، والموقف وهوله، والصراط ودقته، والميزان وقسطه، والكتب ونشرها، والشمس وقربها، والأعضاء وشهادتها، وجهنم وزبانياتها. وكذلك تصور أيضاً الأبرار الذين يظلمهم الله في ظله، ويحيطهم برحمته، ويبسر لهم سبل الحساب، ويسهل عليهم اجتياز الصراط، ويثقل لهم بعدله الميزان، ويؤتيهم بأيمانهم الكتب، ويدخلهم الجنة بسلام. إنه إذا تصور هذا، وذاك تحلى بالفضائل، وتخلي عن الرذائل، وسلك سبيل الحق، وتنبك طريق الباطل وتزود بالتقوى والعمل الصالح، ونفر من الإثم، وترك قول الزور، وأصبح قدوة حسنة في الأخلاق والسلوك.

وهكذا أثرت عقيدة البعث في سلوك الفرد المسلم استعداداً وتأهباً للقاء الله، فحد من غلواء التكالب على هذه الحياة وتحرر من عبودية الشهوات، فالعمر قصير، والدنيا دار ممر والأخرة هي دار مقر (٢).

أما الوجودية فقد أنكرت البعث، ففقت معاني الصبر وإحسان العمل في الدنيا في نفس الإنسان، فكيف تكون الحياة إذن؟

بعد أن عرفنا من خلال ما مضى أثر العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والأمة فإنه يجدر بي أن أشير بإيجاز إلى أثر الشريعة الإسلامية في رقي الفرد والأمة وكذلك أيضاً دورها في تجديد العقيدة وبناء المجتمع.

(١) سورة النور آية ٦٤.

(٢) راجع: (بسام سلامة) (الإيمان بالغيب) مكتبة المنار. الأردن من ١٣٧-١٦١.

الفصل الثالث

أثر الشريعة في رقي الفرد والأمة

ويشتمل على بحثين

أولاً العبـادات.

ثانياً الحـقوق.

الفصل الثالث

أثر الشريعة في رقي الفرد والأمة

الدارس للشريعة الإسلامية المطلع على ما جاءت به من أوامر ونواهٍ يدرك أن صلاح الأمة ورفقيها، ونهوض الفرد وتقدمه مرهونان بالتمسك بشريعة الله سبحانه وتعالى، وأن الله قد شرع حقوقاً منها ما يعود على الفرد المسلم ويجدد صلته بالله تعالى فيضفي ذلك عليه إستقامة في حياته، وترابطاً في مجتمعه الذي يعيش فيه وهي العبادات، ومنها ما يعود على المجتمع بأسره لحمايته، ورفقيه على ضوء الشريعة الإسلامية وهي الحدود والعقوبات المقدره لها.

أولاً - العبادات

شرع الله سبحانه عبادات تعتبر سياجاً يحمي المؤمن من أن يبدد طاقته فيما لايفيد أو فيما يضر، ولها أثر فعال في تجديد الإيمان وبناء المجتمع وهي:

١- الصلاة:

هي صلة بين العبد وربّه، وقفة لطيفة خاشعة تذكر العبد بمقامه غداً أمام سيده، وفي ساحة عدله وقضائه، فتعيد إلى قلبه الذاهل - أمام مجريات الأحداث ومتطلبات الحياة - روحانية لطيفة كريمة ترجع إليه جماعه حين ينأى به هواه بعيداً عن الحق فتكبحه إلى جادة الصواب، وتبين له أن

الأخرة هي الحيوان وأن الدنيا دنيئة، ومن هنا كانت حكمة النداء للصلاة بالله أكبر، لا تنعقد الصلاة بغيرها، وتكون سوراً جديداً سميكاً يفصل بين مخاطبة البشر ورب البشر. والصلاة إذا أداها الفرد المؤمن في خشوع وإطمئنان تورث خشية الله تعالى منه، وتقواه والإخلاص له، وهذا يؤثر في سلوك الفرد خارج الصلاة، فلا يرتكب المنكرات قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١) وفي الصلاة يقف المؤمنون صفوفاً منتظمة على إختلاف طبقاتهم فقيرهم وغنيهم على السواء، فيتعارفون ويتألفون ويتحابون، ويزيلون ما بينهم من حواجز دنيوية، ويتعودون على العمل الجماعي المنظم الهادف، وهذا أكبر دليل وشاهد على سعي الإسلام في إزالة الفوارق بين الطبقات، لا الصراع وما يريقه من حقد وكراهية كما تدعو إليه الوجودية^(٢).

٢- الصيام:

يسهم الصيام في إستقامة حياة الفرد والأمة حسيًا ومعنويًا مادياً وروحياً، والصائم يراقب ربه وحده دون سواه في الحفاظ على مقتضيات صيامه. والصيام يعصم الفرد من طغيان الشهوات الجنسية التي قد تدفعه الى إرتكاب ما يغضب الله، فيتدنس العرض، ويضيع المال وتتفك الأسر والمجتمعات. قال رسول البشرية ﷺ (من إستطاع منكم الباءة فليتزوج

(١) سورة العنكبوت آية ٤٥.

(٢) راجع: أبو الأعلى المودودي (مبادئ الإسلام) ص ١١٨-١٢٢.

فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (١) والصوم يخلص الجسم من كثير من الفضلات التي تضر به، وتجعله غير قادر على مقاومة الأمراض والجراثيم. قال ﷺ (صوموا تصحوا) (٢) وإذا صح جسم الفرد أصبح عاملاً منتجاً في مجتمعه فيفيد نفسه ويفيد الآخرين. والصائم لا يؤذي الآخرين من أفراد مجتمعه لأنه لا يتكلم بالكلام الفاحش، ولا يهذي ولا يخاصم، ولا يجادل بالباطل، ويحاول أن يعفو عن إساءة الآخرين، فيصير شخصاً متسامحاً خيراً، وبذلك يعيش أفراد المجتمع في حب ومودة ووثام، والصوم يعود الأمة على أن تكون عاداتها وتقاليدها واحدة كما هو في رمضان - الشهر الذي يصوم المؤمنون جميعاً فيه - فلا يكون هناك اختلاف في التقاليد وما يؤدي إليه من التنافر وعدم التعاون والتباعد، والأنانية كما تدعو إلى ذلك الوجودية، وبهذا يتضح أن الصيام يؤدي دوراً كبيراً في إستقامة الفرد والمجتمع (٣).

٢ = الزكاة:

الزكاة إسهام كبير في تحقيق التوازن المالي في المجتمع، كما أنها تحقق

(١) صحيح البخاري كتاب الصوم ص ١٠١ على فتح الباري وصحيح مسلم ٨٠٦/٢ كتاب الصيام.

(٢) الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٦ رواه أبو نعيم عن أبي هريرة بطريق حسن.

(٣) راجع: أبو الأعلى المودودي (مبادئ الإسلام) ص ١٢٢-١٢٤.

التضامن والتكافل الاجتماعي. فالإسلام يرى أن المال مال الله، وأن الإنسان مستخلف فيه، وأن مخلف هذا المال يأمر هذا المستخلف أن يؤدي لكل ذي حق حقه. قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾^(١) وإذا أدى الفرد المسلم حق المال فقد حقق عبوديته لله، ورضى الله عنه، ويهديه إلى حب الخير وخير العمل، ويبارك له في ماله ويظهر نفسه، كما حقق علاقة الحب والمودة بينه وبين الفقير حين أدى ما عليه نحوه بلا حقد ولا كراهية ولا صراع يمزق المجتمع، ويقضي على مظاهر التعاون فيه. وبهذا تتجلى رحمة الله سبحانه وتعالى حين شرع هذه الفريضة وحث على أدائها، ووعد على ذلك الثواب الجزيل، وتوعد وهدد الذين يبخلون بأموالهم فلا يخرجون زكاتها. وبهذا أيضاً يتحقق في دفع الزكاة التربية القويمة للغني، والكرامة الإنسانية للفقير الذي يأخذ الزكاة فلا منّ ولا طغيان، وإنما الحرص على طاعة الله عز وجل، والقضاء على مظاهر البؤس والبطالة في المجتمع، وهكذا الزكاة تحلي المسلمين بأوصاف التضحية والإيثار لوجه الله تعالى، وتزيل عن قلوبهم الأثرة وحب الذات وضيق الصدر، وعبودية المال وما إليها من الصفات

(١) سورة التوبة آية ٦٠.

الدينئة الأخرى التي دعت إليها الوجودية^(١).

٤ - الحج:

إذا كانت صلاة الجمعة - في كل أسبوع - مؤتمراً إسلامياً مصغراً على مستوى القرية، أو الحي في المدينة، فإن الحج مؤتمر إسلامي موسع يلتقي فيه المسلمون من كل حذب وصوب، ليتدارسوا أمور دينهم، وليشهدوا منافع لهم بالبحث عما تصلح به دنياهم. إنه مؤتمر تخلو فيه المظاهر من أي سمات وطنية أو إشارات إقليمية فتتجسد فيه وحدة الغاية والهدف والمصير: أمة واحدة، قبة واحدة، لباس واحد، نداء واحد في أيام طاهرة أقسم الحق بها، وأرض شرفت ببيت الله الحرام فكانت حرماً بحرمة هذا البيت. إن لقاء الأمة في أشرف مكان وأطهر زمان، لقاء ينتظم به العقد، وتتوحد فيه وبه الكلمة، ثم يعود الحجاج إلى بلادهم وقد شعر كل منهم بآمال أخيه والأمة. وفي الحج تذكير بالبعث، فالناظر إلى المسلمين في يوم الحج الأكبر وقد لبسوا ثوبهم الأبيض، تلتهب حناجرهم بالدعاء، وقد إمتلأت بهم عرفات على رحابتها يتخيل أن القبور قد تبعثرت وخرج منها ساكنوها مهطعين إلى الداع للسؤال والحساب، وهكذا الحج هو عبادة الله تعالى التي هي أكبر وسيلة وأنجح طريقة

(١) راجع: أبو الأعلى المودودي (مبادئ الإسلام) ص ١٢٤-١٢٧.

لتربية الفرد والأمة الإسلامية على الإتحاد والمحبة والتعاون^(١) وهكذا العبادات كلها إنما فرضها الله سبحانه وتعالى كي تعين الفرد والأمة على السير في الطريق المستقيم، وتسدد خطاهم وتفيدهم كأفراد وجماعات، وتقوى صلتهم بخالقهم، وتعينهم على الاستقامة في الحياة وتعميرها. والمتأمل المدقق يدرك الكثير والكثير من الحكم والآثار، إنه الحق إنه دين الله؛ إنه الإسلام. فهل تعود هذه الأمة إليه، فيعود إليها سابق عزها ومجدها؟ أدعو الله إنه سميع مجيب.

والآن بعد أن عرفنا دور العبادات في تجديد الإيمان وبناء الفرد والمجتمع نذكر ماهى الإحتياطات التي عملها الإسلام وقررها لحماية الفرد والمجتمع في ضوء الشريعة الإسلامية.

فأما . الحدود

شرع الله سبحانه وتعالى الحدود لراحة الفرد والمجتمع في كل زمان ومكان، حتى تمتنع الجرائم التي ترتكب، وكل فساد يرتكب على هذه الأرض. فقد شرع الله سبحانه وتعالى حد الخمر لما لها من الضرر فهى أم الخبائث وزعيمة المصائب، وضررها يتناول الروح والجسد، والمال والولد، والعرض والشرف. فكم خربت دوراً، وأذهبت عقاراً، وآثارت محناً، ونقلت العقل من حالة التفكير والتدبير والحكمة والرشاد إلى حالة الجنون والبغي والفساد،

(١) راجع: أبو الأعلى المودودي (مبادئ الإسلام) ص ١٢٧-١٣٠.

وكم أحدثت من العداوة والبغضاء بين الأب وأولاده، وبين الإخوان مع بعضهم، وكم فرقت الأصدقاء، وشتت الأسر، وفككت البيوت والمجتمعات. فما أحكم الشرع الإسلامي حين حرم الخمر ووضع العقوبة المناسبة لها. أما الزنا فقد حرمه الله سبحانه وتعالى لأنه جريمة الجرائم وأصل المفساد، وهو من الكبائر فحرمه الله حفظاً للأنساب، وصيانة للأعراض، وحفظاً للنسل ومنعاً للوقوع في شرك الفقر والفاقة، وحداً من الإصابة بالأمراض المعدية كالزهري والسيلان وغيرها، ولشدة ضرره وقبحه وعظم مفسدته على الفرد والمجتمع وضع له أقصى العقوبات الرادعة الزاجرة، ولو لم يحرم الزنا لتلاشى النوع البشري في قليل من الزمن لقلة النوع الإنساني، وفسدت على الناس أحوالهم، واختل نظامهم، وتفشت الإباحة والوقاحة والاستهتار في المجتمع، وحدثت الفتن وتزعزت قواعد المجتمع. أما حد السرقة فقد شرع الله سبحانه وتعالى قطع يد السارق لأن السارق يدفعه إلى السرقة الطمع في زيادة الكسب أو زيادة الثراء، وقد حاربت الشريعة الإسلامية هذا الدافع بتقرير عقوبة القطع، فإذا علم السارق بأنه ستقطع يده، فإن عاد قطعت رجليه إمتنع عن الوقوع في الجريمة، لصرامة العقوبة وجديتها في الزجر والتخويف وبذلك تصان أموال الأمة وتحفظ ولا تهدر. كما قرر التشريع الإسلامي عقوبة القتل في القصاص حتى لا يتعدى الناس بعضهم على بعض فيعم الفساد، وتخرّب البلاد، ومن هنا شرع القصاص لإقامة ميزان العدل بين الناس ليكون

الجزء من جنس العمل^(١) إلى غير ذلك من الحدود والعقوبات التي قررها الشارع الحكيم وكان الهدف من وراء هذه التشريعات إقامة المصالح الدنيوية والأخروية، وذلك على وجه لا يخل لها به نظام، حيث وضع الإسلام المبادئ التي تكفل تماسك الجماعة، وإطمئنان الفرد والأمة، والثقة بالمعاملات والوعود والعهود.

ونشير إلى أن تنفيذ تلك التشريعات على النحو الذي قرره سبحانه وتعالى إنما يقوم أساساً على العقيدة الإيمانية التي تكيف ضمير الفرد وواقع المجتمع، والتي تجعل المعاملات عبادات والعبادات قاعدة للمعاملات، والتي تجعل الحياة في النهاية وحدة متماسكة تنبثق من المنهج الرباني وحده دون سواه، وتجعل مردها في الدنيا والآخرة إلى الله.

قال الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله (فله ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسمها وكل ما ازداد المرء معرفة بها ازداد لها احتراماً وتعظيماً وتوقيراً، فلذلك كان الصحابة رضي الله عنهم لكمال معرفتهم بها أشد الناس تمسكاً بها وتمشياً مع تعاليمها بكل جليل ودقيق، وإنه لمن العجب إعراض أكثر الناس في هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ظاهرة التناقض واضحة الجور فاسدة المعنى، فلذا كثيراً ما يطرأ عليها التغيير والتبديل كل يرى أنه أحسن ممن

(١) راجع: د. زينب رضوان (الإسلام في قلب العصر) دار المعارف. مصر ص ١٨٩-٢١٣.

تقدمه وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه ثم يجري عليها تغييراً وتبديلاً بحسب رأيه، وهكذا دواليك مابقيت هذه النظم المستمدة من نحاة الأفكار وزبالة الأذهان.

أما الشريعة الإسلامية فهي صالحة لكل زمان ومكان مضى عليها أربعة عشر قرناً وهي هي في كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات وأهدا للناس حالاً حالاً وانعمهم بالآ، وأقرهم عيشاً أشدهم تمسكاً بها سواء في ذلك الأفراد أو الشعوب أو الحكومات، وهذا شيء يعرفه كل واحد إذا كان عاقلاً منصفاً وإن لم يكن من أهلها، بل وإن كان من المناوئين لها وقد سمعنا وقرأنا كثيراً مما يدل على ذلك فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا لسياسة إن نشأة أوروبا الحديثة إنما أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الشرق والغرب. وقال القس طيار : إن الإسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره والشجاعة والإقدام من نتائجه.

وقال كونتس : يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة في السجايا وشرف في الأخلاق قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن غيرهم، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك.

وقال أيضاً : إن من أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم، عزة في النفس فهو سواء في حالة بؤسه ونعيمه لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة

التي غرسها الإسلام في نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال.

قال مانوتو وزير خارجية فرنسا في وقته : إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ثابت الأركان وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس إليه زمراً وأفواجاً وهو الدين الإسلامي العظيم الذي تفوق شدة الميل إليه إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق أي دين سواه، فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام حدوده فانتشر في الأفاق.

وقال بعضهم : لمار رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكامه وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال نشأ فيهم فساد الأخلاق فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض، فتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلية، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم، وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة، ولكن فيما أمكن لأحدهم أن يضر أخاه، لا يقصر في إلحاق الضرر به.

وأقوالهم في هذا الموضوع كثيرة جداً يعترفون فيها بعظمة الإسلام وشموله لعموم المصالح ودرء المفسد، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً لصاروا أرقى الأمم، وأسعد الناس، ولكن ضيعوا فضاغوا، واكتفوا منه بمجرد التسمي بأنهم مسلمون.

مناقب شهد العدو بفضلها والفضل ماشهدت به الأعداء. ولسنا والحمد لله في

حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم بفضل الإسلام وعلو مكانته ولكن ذكرنا في هذا لما قصر أهله في فهمه والعمل به وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه، إذ جهلوا مصالحه وتطلعوا إلى غيره من النظم الفاسدة المتناقضة، وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال، وأنه فوق كل نظام ولاشك أنه الدين الصحيح دين العمل دين الاجتماع، دين التوادم والتناصح والتحابب، دين رفع ألوية العلم والقنا والحرف. لم يقتصر على أحكام العبادات والمعاملات، بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم على مر السنين وتعاقب الدهر إلى أن تقوم الساعة ولكن بالأسف وباللمصيبة إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وجهلوا حقيقته، بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يذسون عليه معاولهم ليهدموه وليفرقوا أهله، ويفضلون أهل الغرب على المسلمين ظناً منهم بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذي آخروهم. وهيئات أن يكون الدين هو الذي آخروهم ولكنهم آخروا أنفسهم بالإعراض عن تعاليم دينه وأخذوا إلى الكسل، وقنعوا بالجهل فأصبحوا في حيرة من أمرهم، إنهم لو عرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه لوصولوا فوق ما صل إليه غيرهم من التقدم الصناعي ولكنهم تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم وأهملوا العناية به فوالله لو

أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة (١).

إن الشريعة الإسلامية نظام يحكم تصرفات الإنسان في كل حالاته، وينظم المجتمع الذي نعيش فيه، ينظم علاقات الأمة أو الدولة الإسلامية بغيرها، إنه ينظم كل العلاقات في السلم والحرب، وفي البر والبحر، فيه القانون المدني، والتجاري، والمرافعات، والدولي الخاص والعام، والقانون الجنائي بكل فروع، فهو شامل لكل أبواب وفروع التشريعات الحديثة، وهو غني بأصوله القوية، وأحكامه الصالحة لكل زمان ومكان، قامت عليه الأمة الإسلامية قرناً طويلاً، والتاريخ خير شاهد على ما نقول. وصدق الله العظيم: ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ (٢) وهذه الشريعة هي الخاتمة لكل الرسالات نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه، وهي صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان (٣) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) نقلاً من كتاب الجامع المفيد المبنى على تحقيق التوحيد للشيخ علي بعدالله الضفبعي، دار

العليان - بريدة ص ٣٤٩ - ٣٥٢

(٢) المائدة آية ٥٠.

(٣) راجع: محمد عبدالله الخطيب (فوق أطلال الماركسية والإلحاد) دار المنار الحديثة مصر ص ٦٢.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. وبعد..

أشكر الله سبحانه وتعالى بعد أن منّ علي بإنهاء هذا البحث الذي استفدت منه فوائد عديدة، وخلصت إلى نتائج كثيرة من أهمها:

(١) أن الوجودية الحديثة تكفر بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبات، وكل ماجاءت به الأديان، وتصفها بالعوائق التي تقف أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذت الإلحاد مبدأ لها، فنتج عنها آثاراً مدمرةً للفرد والمجتمع.

(٢) أن الوجودية الحديثة تعتقد بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود، وماقبله كان عدماً

(٣) أن الوجودية الحديثة تدعو إلى الحرية المطلقة التي لا توجد إلا في خيالهم المريض، وإن وجدت - على سبيل الفرض البعيد - فهي حرية تقترب من الفوضى التي تدمر الفرد والمجتمع.

(٤) أن الوجودية الحديثة تزعم أن الأخلاق نسبية متغيرة، وهذا ليس إلا انحراف في السلوك نتيجة للابتعاد عن دين الله، ومخالفة شرعه، فترتب على عدم الإيمان بوجود قيم ثابتة، شيوع الفوضى الخلقية،

والإباحية الجنسية، والتحلل والفساد.

(٥) أن الوجودية الحديثة نزعة فردية متطرفة، لاتعنى إلا بمصلحة الفرد فقط، أما مصلحة الجماعة فلا تنظر إليها، ولا تعيره أي اهتمام.

(٦) أن الوجودية الحديثة نزعة تشاؤمية انهزامية، تصور الحياة تصويراً رهيباً خالياً من المعنى والأمل والهدف. فهي بهذا تدفع إلى القلق واليأس، واعتبار الحياة جحيماً لا يطاق.

(٧) أن الوجودية الحديثة تنشد خزي الإنسان، فهي مولعة بإبراز القبيح من جوانب الطبيعة الإنسانية، وتبالغ في تصوير الجانب المظلم من الحياة بما فيها من مأسٍ وآلامٍ وأحزانٍ وبؤسٍ وكآبةٍ وفسقٍ وانحلالٍ وانحرافٍ وتعاسةٍ وشقاءٍ، وهذا ما يضيف عليها صفة اللاإنسانية التي لا ينبغي أن تكون في مذهب فلسفي يدعى الإنسانية.

(٨) الوجودية الحديثة إحدى واجهات الصهيونية التي هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية.

(٩) أن ثقافة الوجوديين هابطة، وأدبهم يدعو إلى الانحلال والإباحية.

(١٠) أن الوجودية الحديثة قد فشلت في إقامة العلوم الإنسانية لاعتمادها على الذات، والاستغناء عن الموضوعية عند معالجة الروابط الإنسانية.

(١١) أن الفكر الوجودي - وبشكل إجمالي - فكر تافه هزيل لا يستحق كل مانسمعه عنه من جعجات وطننات.

(١٢) أن الإنسان في الإسلام مخلوق مكرم ذو حرية وإرادة، سخر الله له الكون المادي ليستفيد منه، وأمره بالاستقامة على دينه لينال السعادة في الدنيا والفوز بالآخرة بخلاف ماتصوره الوجوديه.

(١٣) أن الإسلام هو العاصم، وهو العلاج الوحيد للبشرية، والدواء الذي لا دواء سواه لإبرائها من سقمها وأمراضها، وبه تتبوأ المكانة اللائقة بها، كخير أمة أخرجت للناس بخلاف ماتصوره الوجوديه.

(١٤) أن غالبية الأمة الإسلامية آثمة في تركها البشرية تتخبط في مستنقعات الأفكار الهدامة والمذاهب المضللة، وهي تملك الدين الإلهي الذي يسعد البشرية في الدنيا والآخرة. (١)

هذا وأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت بإعطاء هذا البحث حقه، وهذا ما أردت، وإن يكن قصر جهدي عن إدراك الغاية، فعزائي أنني لم آل جهداً في هذا السبيل، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العلي العظيم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) أصدر مجمع الفقه الإسلام قراراً حول الوجوديه هذا نصه :

(....) وبناء على ذلك يقرر مجلس المجتمع بالاجماع إن فكرة الوجوديه في جميع مراحلها وتطوراتها وفروعها لاتتفق مع الإسلام . لأن الإسلام يعتمد النقل الصحيح والعقل السليم معاً في وقت واحد .

فلذا لايجوز للمسلم بحال من الاحوال أن ينتمي إلى هذا المذهب متوهماً إنه لا يتنافى مع الإسلام كما أنه لايجوز بطريق الاولويه أن يدعو إليه أن ينشر أفكاره الضاله

فهرس الآيات

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١	كيف تكفرون بالله	البقرة	٢٨	٢٠٣
٢	إني جاعل في الأرض خليفة	البقرة	٣٠	٨٨
٣	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل	البقرة	٣٠	٢٠٥
٤	وإذ قال ربك للملائكة إني	البقرة	٣١-٣٠	٢٠٨
٥	ولا تقربا هذه الشجرة	البقرة	٣٥	٢٢٦
٦	وتلبسوا الحق بالباطل	البقرة	٤٢	١٢٢
٧	قل هاتوا برهانكم	البقرة	١١١	١٦٤
٨	تلك أمة قد خلت لها ما كسبت	البقرة	١٣٤	٩٠
٩	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة	البقرة	١٣٨	١٤٠
١٠	تلك أمة قد خلت لها	البقرة	١٤١	٢٤٨
١١	كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو	البقرة	١٥١	١٧٨
١٢	ليس البر أن تولوا	البقرة	١٧٧	٢٩٨
١٣	ولكم في القصاص حياة	البقرة	١٧٩	٢٨٢
١٤	يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام	البقرة	١٨٣	٢٩٧
١٥	فمن فرض فيهن الحج فلا رفث	البقرة	١٩٧	٢٩٨
١٦	ولا يحل لكم أن تأخذوا	البقرة	٢٢٩	١٦٧
١٧	الله لا إله إلا هو الحي القيوم	البقرة	٢٥٥	١٣٢
١٨	لا إكراه في الدين	البقرة	٢٥٦	١٦٣

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١٩	آمن الرسول بما أنزل إليه	البقرة	٢٨٥	٢٧٦
٢٠	لا يكلف الله نفساً	البقرة	٢٨٦	٢٩٦
٢١	لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء	آل عمران	٥	١٣٣
٢٢	تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم	آل عمران	٦٤	١٢٩
٢٣	قل آمننا بالله وما أنزل	آل عمران	٨٤	٥٣
٢٤	يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً	آل عمران	١٠٠	٢٦٤
٢٥	ولتكن منكم أمة يدعون	آل عمران	١٠٤	٢٧٨
٢٦	ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا	آل عمران	١١٢	٢٦٢
٢٧	وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله	آل عمران	١٤٥	١١٧
٢٨	سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب	آل عمران	١٥١	٢٧٨/٢٠٠
٢٩	ولو كنت فظاً غليظ القلب	آل عمران	١٥٩	١٨٦
٣٠	وإنما توفون أجوركم يوم القيامة	آل عمران	١٨٥	٢٢٤
٣١	ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم	آل عمران	١٨٦	٢٦٥
٣٢	يا أيها الناس اتقوا ربكم	النساء	١	٢٩٨
٣٣	فانكحوا ما طاب لكم	النساء	٣	٢٨٦
٣٤	وآتوا النساء صدقاتهن	النساء	٤	٣١٥
٣٥	وعاشروهن بالمعروف	النساء	١٩	٣١٤
٣٦	وإن أردتم استبدال زوج	النساء	٢٤٢٠	١٦٧
٣٧	والمحصنات من النساء	النساء	٢٥-٢٤	٢٨٥

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
٣٨	وخلق الإنسان ضعيفا	النساء	٢٨	٨٩
٣٩	الرجال قوامون على النساء	النساء	٣٤	٣١٥
٤٠	فالصالحات قانتات	النساء	٣٤	٣١٦
٤١	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا	النساء	٣٦	٢٨٣/١٣٥
٤٢	أينما تكونوا يدرككم الموت	النساء	٧٨	٢٢٣
٤٣	من يشفع شفاعة حسنة	النساء	٨٥	٣١٠
٤٤	ولن تستطيعوا أن تعدلوا	النساء	١٢٩	٣١٥
٤٥	وتعاونوا على البر والتقوى	المائدة	٢	٣٠٣
٤٦	وتعاونوا على البر والتقوى	المائدة	٢	٣٠٤
٤٧	لقد كفر الذين قالوا إن الله	المائدة	١٧	٢٤٩
٤٨	إنما جزاء الذين يحاربون الله	المائدة	٣٤-٣٣	٢٨٣
٤٩	ويسعون في الأرض فسادا	المائدة	٦٤	٢٦٩
٥٠	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا	المائدة	٨٢	٢٨٣
٥١	أفلا تعقلون	الأنعام	٣٢	١٤٢
٥٢	وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو	الأنعام	٥٩	١٣٣
٥٣	لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين	الأنعام	٧٧	١٣٦
٥٤	وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون	الأنعام	٨٢-٨١	٢٧٧
٥٥	إن الله فالق الحب والنوى	الأنعام	٩٥	١٤٤
٥٦	فمن يرد الله أن يهديه	الأنعام	١٢٥	٢١٥

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
٥٧	ولا تقربوا الفواحش	الأنعام	١٥١	٢٨٧
٥٨	ولا تكسب كل نفس	الأنعام	١٦٤	٢٤٨/٩٠
٥٩	الحمد لله الذي هدانا لهذا	الأعراف	٤٣	١٣٦
٦٠	اعبدوا الله مالكم من إله غيره	الأعراف	٦٥-٥٩	١٣٥
٦١	وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم	الأعراف	١٦٧	٢٦٢
٦٢	إنا كنا عن هذا غافلين	الأعراف	١٧٢	١٣٦
٦٣	وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم	الأعراف	١٧٢	١٣٨
٦٤	وإذ أخذ ربك من بني آدم	الأعراف	١٧٢	٢٠٤
٦٥	إنا كنا عن هذا غافلين	الأعراف	١٧٢	٢٥٨
٦٦	واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا	الأعراف	١٧٧-١٧٥	٢٢٤
٦٧	ولكنه أخلد إلى الأرض	الأعراف	١٧٦	٢٣١
٦٨	أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض	الأعراف	١٨٥	١٤١
٦٩	خذ من أموالهم صدقة	التوبة	١٠٣	٢٩٧
٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	التوبة	١١٩	٢٠٠
٧١	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز	التوبة	١٢٨	٢٠٠
٧٢	وإذا أنقنا الناس رحمة من بعد ضراء	يونس	٢٣-٢١	٢٧٣
٧٣	ولو شاء ربك لآمن	يونس	٩٩	١٦٣
٧٤	قل انظروا ماذا في السموات والأرض	يونس	١٠١	١٤١
٧٥	فعال لما يريد	هود	١٠٧	١٣٣

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
٧٦	وكأين من آية في السموات والأرض	يوسف	١٠٥	١٤٢
٧٧	وكل شيء عنده بمقدار	الرعد	٨	١٤٧
٧٨	ولله يسجد من في السموات والأرض	الرعد	١٥	١٣٤
٧٩	فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس	الرعد	١٧	٣
٨٠	والذين يصلون ما أمر الله به	الرعد	٢١	٣٠٨
٨١	ألا بذكر الله تطمئن القلوب	الرعد	٢٨	٢١٣
٨٢	الذين آمنوا وتطمئن	الرعد	٢٨	٢٧٥
٨٣	لا معقب لحكمه	الرعد	٤١	١٣٣
٨٤	جاءتهم رسالهم بالبينات فردوا	إبراهيم	٩	١٤٠
٨٥	أفي الله شك فاطر السموات والأرض	إبراهيم	١٠	١٢٨
٨٦	الله الذي خلق السموات والأرض	إبراهيم	٣٣-٣٢	٢٢٨
٨٧	إن الإنسان لظلم كفار	إبراهيم	٣٤	١٢٢
٨٨	لقوم يتفكرون	النحل	١١	١٤٢
٨٩	وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر	النحل	١٢	١٣٤
٩٠	أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت	النحل	٣٦	١٣٥
٩١	أدع إلى سبيل ربك	النحل	١٢٥	١٦٤
٩٢	أدع إلى سبيل ربك	النحل	١٢٥	٢٢٦
٩٣	ولا تقربوا الزنى	الإسراء	٣٢	٢٨٧
٩٤	وإذا مسكم الضر في البحر	الإسراء	٦٧	٢٧٢

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
٩٥	وكان الإنسان كفورا	الإسراء	٦٧	١٢٢
٩٦	ولقد كرّمنا بني آدم	الإسراء	٧٠	٢٧٤/٨٨
٩٧	كبرت كلمة تخرج	الكهف	٥	٦١
٩٨	ولا تطع من أغفلنا قلبه	الكهف	٢٨	٢٢٥
٩٩	وإن تجهر بالقول	طه	٧	٥٢
١٠٠	ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه	طه	٥٠	١٤٤
١٠١	ولقد عهدنا إلى آدم	طه	١١٥	٢٤٧
١٠٢	فوسوس إليه الشيطان	طه	١٢٠	٢٤٦
١٠٣	فأكلا منها فبدت لهما	طه	١٢١	٢٤٦
١٠٤	ثم اجتباه ربه	طه	١٢٢	٢٤٧
١٠٥	معيشة ضنكا	طه	١٢٤	٢١٣
١٠٦	وأمر أهلك بالصلاة	طه	١٣٢	٣١٤
١٠٧	لايسئل عما يفعل وهم يسئلون	الأنبياء	٢٣	١٣١
١٠٨	كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم	الأنبياء	٣٥	٢٢٤
١٠٩	ومن يشرك بالله	الحج	٣١	٢١٥
١١٠	ثم إنكم بعد ذلك لميتون	المؤمنون	١٦١٥	٢٠٢
١١١	وأنزلنا من السماء ماءً بقدر	المؤمنون	١٨	١٤٨
١١٢	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا	المؤمنون	١١٥	٨٨
١١٣	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا	المؤمنون	١١٦١١٥	٢٢٣

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١١٤	الزانية والزاني فاجلدوا	النور	٢	٢٨٧
١١٥	الزاني لا ينكح	النور	٣	٢٨٧
١١٦	لكل امرئ منهم ما اكتسب	النور	١١	٢٤٨
١١٧	إن الذين يحبون أن تشيع	النور	١٩	٢٨٧
١١٨	وانكحوا الأيامى منكم	النور	٣٢	٢٨٦
١١٩	وانكحوا الأيامى منكم	النور	٣٢	٢٨٧
١٢٠	وإذا دعوا إلى الله ورسوله	النور	٥٠-٤٨	٢٩٥
١٢١	أرأيت من اتخذ إلهه هواه	الفرقان	٤٣	٢٢٤
١٢٢	وعباد الرحمن الذين يمشون	الفرقان	٦٣	٢٠٠
١٢٣	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	النمل	١٤	١١٨
١٢٤	صنع الله الذي أتقن كل شيء	النمل	٨٨	١٢٨
١٢٥	صنع الله الذي أتقن كل شيء	النمل	٨٨	١٤٤
١٢٦	وأوحينا إلى أم موسى	القصص	٧	٢٧٥
١٢٧	وأصبح فؤاد أم موسى فارغا	القصص	١٠	٢٧٥
١٢٨	ومن أضل ممن اتبع هواه	القصص	٥٠	٢٢٤
١٢٩	كل شيء هالك إلا وجهه	القصص	٨٨	٢٢٣
١٣٠	كل شيء هالك إلا وجهه	القصص	٨٨	٢٢٤
١٣١	وأقم الصلاة	العنكبوت	٤٥	٢٩٧
١٣٢	ولا تجادلوا أهل الكتاب	العنكبوت	٤٦	١٦٤

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١٣٣	كل نفس ذائقة الموت	العنكبوت	٥٧	٢٢٤
١٣٤	أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق	الروم	٨	١٤١
١٣٥	فأقم وجهك للدين حنيفا	الروم	٣٠	١٤٠
١٣٦	الله الذي خلقكم من ضعف	الروم	٥٤	٨٢
١٣٧	الله الذي خلقكم من ضعف	الروم	٥٤	٢٢٢
١٣٨	إن الشرك لظلم عظيم	لقمان	١٣	٢٧٧
١٣٩	ألم تروا أن الله سخر لكم مافي	لقمان	٢٠	٢٠٨
١٤٠	واخشوا يوماً لا يجزي والد	لقمان	٣٣	٢٢٨
١٤١	ذلك عالم الغيب والشهادة	السجدة	٩٦	٢٠٠
١٤٢	الذي أحسن كل شئ خلقه	السجدة	٧	١٢٨
١٤٣	الذي أحسن كل شئ خلقه	السجدة	٧	١٤٤
١٤٤	قل يتوفاكم ملك الموت	السجدة	١١	٢٢٣
١٤٥	أفلا يسمعون	السجدة	٢٦	١٤٢
١٤٦	إننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض	الأحزاب	٧٢	٢٠٥
١٤٧	وإننا أو إياكم لعلى هدى أو	سبأ	٢٤	١٨٥
١٤٨	أفمن زين له سوء عمله	فاطر	٨	٢٩٠
١٤٩	والله خلقكم من تراب	فاطر	١١	٢٩٨
١٥٠	ولا تزر وازرة وزر أخرى	فاطر	١٨	٩٠
١٥١	إن الله عالم غيب	فاطر	٣٨	٥٢

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١٥٢	سبحان الذي خلق الأزواج كلها	يس	٣٦	١٤٤
١٥٣	وماتجزون إلا ماكنتم تعملون	الصفافات	٣٩	٩٠
١٥٤	إن تكفروا فإن الله غني عنكم	الزمر	٧	٥٧
١٥٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	الزمر	٣٨	١٣٥
١٥٦	قالوا ربنا أمتنا اثنتين	غافر	١١	٢٠٣
١٥٧	لمن الملك اليوم لله الواحد القهار	غافر	١٦	١٣٠
١٥٨	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	فصلت	٣٤	٢٠٠
١٥٩	من عمل صالحاً فلنفسه	فصلت	٤٦	٢٤٨
١٦٠	وأمرهم شورى بينهم	الشورى	٣٨	١٨٦
١٦١	ولمن صبر وغفر إن ذلك	الشورى	٤٣	٢٠٠
١٦٢	ولئن سألتهم من خلق السموات	الزخرف	٩	١٢٢
١٦٣	الله الذي سخر لكم البحر لتجري	الجاثية	١٢	٢٢٨
١٦٤	أفرايت من اتخذ إلهه هواه	الجاثية	٢٣	١٢٢
١٦٥	وقالوا ماهي إلا حياتنا	الجاثية	٢٦-٢٤	٥٧
١٦٦	قل أراءيتم ماتدعون من دون الله	الأحقاف	٤	١٦٤
١٦٧	محمد رسول الله والذين	الفتح	٢٩	٣٠٨
١٦٨	إنما المؤمنون إخوة	الحجرات	١٠	٣٠٩
١٦٩	ولا تلمزوا أنفسكم	الحجرات	١١	٢٠٠
١٧٠	وفي أموالهم حق	الذاريات	١٩	٢٩٧

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١٧١	وفي الأرض آيات للموقنين	الذاريات	٢٤٢٠	١٤١
١٧٢	وفي الأرض آيات للموقنين	الذاريات	٢٤٢٠	١٣٥
١٧٣	وما خلقت الجن والإنس	الذاريات	٥٦	٢٧٦/٢٧٥
١٧٤	كل امرئ بما كسب رهين	الطور	٢١	٣٠٤
١٧٥	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	النجم	٣٩	٩٠
١٧٦	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	النجم	٣٩	٣٠٤
١٧٧	وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	النجم	٣٩	٣٠٤
١٧٨	إنا كل شيء خلقناه بقدر	القمر	٤٩	١٤٧
١٧٩	كل من عليها فان	الرحمن	٢٦	٢٠١
١٨٠	له ملك السموات والأرض	الحديد	٢	١٣٣
١٨١	والذين تبوءوا الدار والإيمان	الحشر	٩	٣١١
١٨٢	لا يقاتلونكم جميعا	الحشر	١٤	٣٠٩
١٨٣	وصوركم فأحسن صوركم	التغابن	٣	٢٠٨
١٨٤	يعلم ماتسرون وماتعلنون	التغابن	٤	٥٢
١٨٥	فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن	١٦	٢٩٦
١٨٦	قد جعل الله لكل شيء قدرا	الطلاق	٣	١٤٧
١٨٧	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم	التحريم	٦	٣١٧
١٨٨	ومريم ابنت عمران	التحريم	١٢	٢٨٥
١٨٩	ماترى في خلق الرحمن من تفاوت	الملك	٣	١٤٤

م	الآيات	السورة	رقم الآية	صفحة
١٩٠	الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير	الملك	١٤	٥٢
١٩١	وإنك لعلی خلق عظیم	القلم	٤	٢٠٠
١٩٢	إن الإنسان خلق هلوعا	المعارج	١٩	٢١٣
١٩٣	كل نفس بما كسبت رهينة	المدثر	٣٨	٢٤٨
١٩٤	لا أقسم بيوم القيامة	القيامة	١	٢٩٤
١٩٥	بل الإنسان على نفسه بصيرة	القيامة	١٤	٢٧٨
١٩٦	أحسب الإنسان أن يترك سدى	القيامة	٣٦	٨٨
١٩٧	ويطعمون الطعام على حبه	الإنسان	٨	٢٨٣
١٩٨	الم نخلقكم من ماء مهين	المرسلات	٢٠	٢٩٨
١٩٩	وسيجنبها الأتقى	الليل	١٧	٢٩٨
٢٠٠	الذي يؤتي	الليل	١٨	٢٩٨
٢٠١	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	التين	٤	٨١
٢٠٢	لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	التين	٤	٢٠٨
٢٠٣	والعصر	العصر	١	٢٧٨

فهرس الأحادس

صفحة	طرف الحدس	م
١٦٦	من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه	١
١٩٩	إنما بعثت لأتمم	٢
١٩٩	حسن الخلق	٣
١٩٩	أحسنهم أخلاقا	٤
٢٠١	إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم	٥
٢٠١	مامن شئ أثقل في ميزان المؤمن	٦
٢٦٠	تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن	٧
٢٧٩	والذي نفسي بيده لو أن فاطمة	٨
٢٨٢	بادرني عبدي بنفسه	٩
٢٨٢	إن دماءكم وأموالكم حرام	١٠
٢٨٦	يامعشر الشباب من استطاع منكم	١١
٢٨٦	النكاح سنتي	١٢
٢٨٦	إذا رأى أحدكم امرأة	١٣
٢٦٤	لم تظهر الفاحشة في قوم قط	١٤
٢٩٦	خصلتان من كانتا فيه كتب الله	١٥
٣٠٥	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	١٦
٣٠٥	المؤمن للمؤمن كالبنيان	١٧
٣٠٨	من أحب أن يبسط له في رزقه	١٨

م	طرف الحديث	صفحة
١٩	الرحم متعلقة بالعرش	٣٠٨
٢٠	المسلم أخو المسلم	٣٠٩
٢١	والذي نفسي بيده لا يؤمن	٣٠٩
٢٢	انصر أخاك ظالماً أو	٣١٠
٢٣	عودوا المريض	٣١٠
٢٤	تنكح المرأة لأربع	٣١٣
٢٥	خيركم خيركم لأهله	٣١٤
٢٦	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه	٣١٦
٢٧	الدنيا متاع	٣١٦
٢٨	أذن في أذن الحسين	٣١٦
٢٩	انكم تدعون يوم القيامة	٣١٦
٣٠	عق عن الحسين كبشا	٣١٧
٣١	اليد العليا خير من اليد السفلى	٣١٧
٣٢	كلكم راع	٣١٧
٣٣	اتقوا الله واعدلوا	٣١٨
٣٤	يامعشر الشباب من استطاع	٣٤٥
٣٥	صوموا تصحوا	٣٤٥
٣٦	لايزني الزاني حين	٣٣٠

* ملحوظة: رتبت الأحاديث حسب ورودها بالرسالة.

فهرس الاعلام

صفحة	الاسم	م
حرف الالف		
١٠٠	ابن سبعين	١
٢٠٣	ابن كثير	٢
١٤٩	ابن القيم	٣
١٠٠/٢٥	ابن العربي	٤
٣٢	اسحاق نيوتن	٥
١٤	ارسطو	٦
٤٨	افلاطون	٧
٣٠	اوغسطين	٨
١٧٧/٩١	اندرية لالند	٩
حرف الباء		
٢٦	باسكال	١٠
٩١	باول كراوس	١١
٣٦	برجسون	١٢
٩/٨	برتراند رسل	١٣
	حرف التاء	
٩/٨	تشارلز بيرس	١٤
٣٠	توما الاكوييني	١٥

صفحة	الاسم	م
حرف الجيم		
١٧	جارودي	١٦
٩	جورج مور	١٧
١٠١	جولدزيهر	١٨
١٩٢	جول	١٩
حرف الحاء		
١٠٠/٢٥	الحلاج	٢٠
حرف الدال		
٧٢	ديجول	٢١
٥٧	ديكارت	٢٢
١٠١	دلافيد	٢٣
٢٦١	دوركايم	٢٤
حرف الراء		
٩٢/٣٥	روجينا اولزن	٢٥
حرف السين		
١٠١	سانتالانا	٢٦
٢٨	سقراط	٢٧
١٨	سيمون بوفوار	٢٨

صفحة	الاسم	م
حرف الشين		
١٠١	شاخت	٢٩
حرف الطاء		
١٠١	طه حسين	٣٠
حرف العين		
٤٥	عباس العقاد	٣١
١٨٣	عمر بن الخطاب	٣٢
١٨٤	عمرو بن العاص	٣٣
حرف الفاء		
٣٦	فرويد	٣٤
١١٦	فيثاغورث	٣٥
حرف الكاف		
١٠١	كارل نلينو	٣٦
٤٨	كانت	٣٧
٩١	كواريه	٣٨
حرف الميم		
٤٨	ماركس	٣٩
١٠١	ماسينون	٤٠
١٠/٩	ماينونج	٤١

صفحة	الاسم	م
حرف الهاء		
٥٩	هتلر	٤٢
٥٩	هسرل	٤٣
٣٢	هيجل	٤٤
١٠١	هنري كوربان	٤٥
حرف النون		
٢٦	نيتشه	٤٦
حرف الواو		
١٠/٩	وليم جيمس	٤٧

صفحة	البيانات	م
٥٤	١٩ مكرش
٦٩	٢٠ بلشفية
٧٨	٢١ ديغولية
٩٩	٢٢ الباطنية
٩٩	٢٣ المجوسية
١١٧	٢٤ المشبهة
١٤٥	٢٥ الحرية
١٩٨	٢٦ الأبيقورية
٢٠٢	٢٧ ووترجيت
٢٣٣	٢٨ الرومانتيكية
٢٥٧	٢٩ السوفسطائيون

* ملاحظة: كتبت حسب ورودها بالرسالة.

فهرس المراجع

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١	إبراهيم خليل	مقارنة الأديان		دار المنار	
٢	إبراهيم مذكور	تاريخ الفلسفة		لجنة التأليف والترجمة والنشر	١٩٥٣
٣	ابن تيمية	درء تعارض العقل والنقل	تحقيق محمد رشاد سالم	جامعة الإمام محمد بن سعود	١٤٠١
٤	ابن تيمية	منهاج السنة النبوية	تحقيق محمد رشاد سالم	طبعة بيروت	١٩٦٢
٥	ابن تيمية	الفتاوى		توزيع دار الإفتاء بالرياض	١٣٩٨
٦	ابن حجر	الإصابة في تمييز الصحابة		دار الكتاب العربي بيروت	
٧	ابن حزم	الفصل في الملل والأهواء والنحل		دار المعرفة بيروت	١٤٠٣
٨	ابن كثير	تفسير القرآن العظيم		دار الفكر	
٩	ابن القيم	شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل		مكتبة الوادي للتوزيع بجة	
١٠	ابن القيم	مدارج السالكين		مطبعة السنة المحمدية	
١١	ابن الأثير	أسد الغابة في معرفة الصحابة		دار إحياء التراث العربي بيروت	

١٢	ابن ماجة	سنن ابن ماجة	تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي	دار إحياء التراث العربي بيروت	١٣٩٥
١٣	أبو الأعلى المودودي	مبادئ الإسلام		الدار السعودية للنشر والتوزيع	
١٤	أبوداود	سنن أبي داود		شركة مصطفى البابي الحملي	١٤٠٣
١٥	أبومدين شافعي	القلق		سلسلة إقرأ	
١٦	أحمد أمين زكي محمود	قصة الفلسفة الحديثة		مكتبة النهضة بمصر	١٩٨٣
١٧	أحمد شلبي	مقارنة الأديان/الإسلام		مكتبة النهضة	١٩٧٩
١٨	أحمد الشرباصي	الأئمة الأربعة		دار الجيل بيروت	
١٩	أحمد عمر هاشم	منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق		دار المنار القاهرة	
٢٠	أحمد عطية	القاموس السياسي		دار النهضة العربية	١٩٦٨
٢١	أحمد محمود صبحي	الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي		دار المعارف	
٢٢	إمام عبدالفتاح إمام	شخصيات فلسفية		دار المعرفة الجامعية	
٢٣	إمام عبدالفتاح إمام	كيرك جورد راند الوجودية		دار الثقافة للطباعة والنشر	
٢٤	أندريه روينيه	ميرلوبونتي	ترجمة جمال الأسود	المؤسسة العامة للدراستات والنشر بيروت	١٩٨١
٢٥	أندريه لالند	العقل والمعايير	ترجمة نظمي لوقا	الهيئة المصرية للكتاب	١٩٧٩
٢٦	أنور الجندي	معلمة الإسلام		المكتب الإسلامي بيروت	١٤٠٠
٢٧	أنور الجندي	الإسلام والدعوات الهدامة		دار الكتاب اللبناني	١٩٨٢
٢٨	أنور الجندي	قضايا العصر ومشكلات الفكر		مؤسسة الرسالة	١٤٠١
٢٩	أنور الجندي	الخصائص الإسلامية		مؤسسة الرسالة	١٤٠٤
٣٠	البخاري	صحيح البخاري		المكتبة الإسلامية تركيا	١٩٨١
٣١	البيير كامبي	السقطة	ترجمة أنيس زكي حسن	بيروت	١٩٧١

٣٢	باسكال	الاتكار	ترجمة سامي ناشد	عالم الكتب القاهرة
٣٣	بسام سلامة	الايمان بالغيب	١٩٨٣	مكتبة المنار الأردن
٣٤	برترند رسل	تاريخ الفلسفة العربية	ترجمة تركي زكي محمود	١٩٦٨ لجنة التأليف والنشر
٣٥	برجسون	الديمومة والتقارن	ترجمة فؤاد كامل	دار الفكر
٣٦	بسيوني رسلان	محاضرات في الثقافة الإسلامية	١٣٩٠	مكتبة الأنوار للنشر الرياض
٣٧	بيار سنار	كير كيغار	ترجمة عادل العوا	منشورات عديدات باريس بيروت
٣٨	نيروبي	مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا	ترجمة عبدالرحمن بدوي	دار الفكر
٣٩	بول فولكويه	هذه هي الوجودية	ترجمة محمد عيتاني	١٩٥٣ دار الحياة بيروت
٤٠	بولس سلامة	الصراع في الوجود	دار المعارف بمصر	
٤١	التهامي النقرة	سيكلوجية القصة في القرآن الكريم	الدار التونسية للنشر	
٤٢	توفيق الطويل	قصة النزاع بين الدين والفلسفة	١٩٥٨	مكتبة مصر
٤٣	الترمذي	سنن الترمذي (الجامع الصحيح)	تحقيق أحمد شاکر	١٣٩٨ طبع البابي الحلبي
٤٤	جان بول سارتر	الوجودية مذهب إنساني	ترجمة كمال الحاج	١٩٨٦ منشورات مكتبة الحياة
٤٥	جان بول سارتر	نقد العقل الجدلي	ترجمة عبدالمنعم الحفني	١٩٧٧ مكتبة مدبولي
٤٦	جان بول سارتر	الوجود والعدم	ترجمة عبدالرحمن بدوي	١٩٦٦ منشورات دار الآداب
٤٧	جان بول سارتر	تعالى الأنا موجود	ترجمة حسن حنفي	١٩٧٧ دار الثقافة الجديد بالقاهرة
٤٨	جان بول سارتر	مسرحية الذباب	ترجمة فؤاد كامل	الدار القومية
٤٩	جان بول سارتر	الشيطان والرحمن	ترجمة عبدالمنعم الحفني	دار مكتبة الحياة بيروت ومكتبة مدبولي
٥٠	جان بول سارتر	المواقف	ترجمة جورج طرابيشي	دار مكتبة الحياة
٥١	جان بول سارتر	الغثيان	ترجمة سهيل إدريس وهاشم الحسيني	١٩٧٩ دار مكتبة الحياة بيروت

١٩٧٩	دار مكتبة الحياة بيروت	ترجمة سهيل إدريس وهاشم الحسيني	الجدار	جان بول سارتر	٥٢
١٩٨٢	دار مكتبة الحياة بيروت	ترجمة هاشم الحسيني	الأبواب المقفلة	جان بول سارتر	٥٣
	مكتبة الحياة بيروت	ترجمة سهيل إدريس أميل شويري	الأيدي القذرة	جان بول سارتر	٥٤
	مكتبة الحياة بيروت	ترجمة هاشم الحسيني	سن الرشد	جان بول سارتر	٥٥
	مكتبة دار الحياة بيروت	ترجمة جورج طرابيشي	الفوضى والعبقرية	جان بول سارتر	٥٦
	نشر مكتبة الحياة بيروت	ترجمة مكتبة الحياة	المادية والثورة	جان بول سارتر	٥٧
١٩٧٩	مكتبة الحياة بيروت	ترجمة هاشم الحسيني	نظرية الانفصال	جان بول سارتر	٥٨
١٩٧٩	مكتبة الحياة بيروت	ترجمة هاشم الحسيني	الدوام	جان بول سارتر	٥٩
	دار مكتبة الحياة بيروت	ترجمة هاشم الحسيني	إيقاف التنفيذ	جان بول سارتر	٦٠
١٩٨٢	الهيئة المصرية للكتاب	ترجمة نظمي لوقا	التخيل	جان بول سارتر	٦١
١٩٥٦	دار قنديل	ترجمة مازن الحسيني	الموسم الفاضلة	جان بول سارتر	٦٢
١٩٧٧	مدبولي	ترجمة عبدالمنعم الحفني	ماهي الوجودية	جان فال	٦٣
١٩٨٥	عالم المعرفة بالكويت	ترجمة إمام عبدالفتاح	دراسات كيركجوردية	جان فال	٦٤
١٩٨٧	دار الطليعة بيروت		معجم الفلاسفة	جورج طرابيشي	٦٥
١٩٨٥	دار الكتاب اللبناني		المعجم الفلسفي	جميل صليبا	٦٦
١٤٠٧	الطبعة الأولى		الاتجاهات الفكرية المعاصرة	جمعه الخولي	٦٧
١٩٨٥	عالم المعرفة بالكويت	ترجمة إمام عبدالفتاح	الوجودية	جون ماكوري	٦٨
١٩٨٣	دار الحقيقة للنشر	ترجمة أنور عبدالملك	مدخل إلى الفلسفة	جون لويس	٦٩
	طبع دار الكتاب العربي بمصر		العقيدة والشريعة في الإسلام	جولدزيهر	٧٠
١٣٩١	مكتبة الثقافة بالكويت		تبسيط العقائد الإسلامية	حسن محمدأيوب	٧١
١٩٧٦	دار المعارف بالاسكندرية		الوجود والجدل في فلسفة سارتر	حبيب الشاروني	٧٢

٧٣	حبيب الشاروني	بين برجسون وسارتر	دار المعارف	١٩٦٣
٧٤	خليل أحمد خليل	الساخرية تهافت الاخلاق والسياسة	مكتبة الانجلو	١٩٧٠
٧٥	دانلي توماس وهنري توماس	المفكرون من سقراط إلى سارتر	ترجمة عثمان نويه	١٩٧٠
٧٦	رشدي فكار	نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع	مكتبة وهبة	١٩٨٠
٧٧	رفقي زاهر	أعلام الفلسفة الحديثة	مكتبة النهضة المصرية	١٩٧٩
٧٨	رمضان لاوند	وجودية ووجوديون	دار مكتبة الحياه بيروت	
٧٩	ريجنس جوليفيه	المذاهب الوجودية	مكتبة الانجلو	١٩٨٢
٨٠	زكريا إبراهيم	دراسات في الفلسفة المعاصرة	مكتبة مصر	١٩٧١
٨١	زكريا إبراهيم	مشكلة الحرية	مكتبة مصر	١٩٧١
٨٢	زكريا إبراهيم	المشكلة الخلقية	مكتبة مصر	١٩٨٠
٨٣	زكريا إبراهيم	مشكلة الإنسان	مكتبة مصر	
٨٤	زكريا إبراهيم	الفلسفة الوجودية (سلسلة إقرا)	دار المعارف	١٩٥٦
٨٥	زكي نجيب محمود	عن الحرية أتحدث	دار الشروق	١٩٨٩
٨٦	زينب رضوان	الإسلام في قلب العصر	مطابع روزاليوسف	
٨٧	سالم البهنساوي	شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر	دار الوفاء للطباعة المنصورة	١٩٨٩
٨٨	سعد عبدالعزيز حياتر	مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية	مكتبة الانجلو	١٩٧٠
٨٩	السيد محمد نوح	شخصية المسلم بين الفردية والجماعية	دار الوفاء بالمنصورة	
٩٠	صابر طعيمة	العقيدة والفترة	دار الجيل بيروت	
٩١	طلعت غنام	الإسلام وتيار الفكر المعاصر/ الوجودية	عالم الكتب بالقاهرة	

١٩٧٣	دار الثقافة بيروت	دراسات في الفلسفة الوجودية	عبدالرحمن بدوي	٩٢
١٩٧٩	دار القلم بيروت	دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي	عبدالرحمن بدوي	٩٣
١٩٦٥	دار القلم بيروت	التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية	عبدالرحمن بدوي	٩٤
١٩٧٨	وكالة المطبوعات بالكويت	شاهدة العشق الإلهي	عبدالرحمن بدوي	٩٥
١٩٧٣	دار الثقافة بيروت	الزمان الوجودي	عبدالرحمن بدوي	٩٦
١٩٥١	النهضة العربية بالقاهرة	الحور والنور	عبدالرحمن بدوي	٩٧
	وكالة المطبوعات/ دار العلم	الإنسانية والوجودية في الفكر المعاصر	عبدالرحمن بدوي	٩٨
١٩٨٤	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	موسوعة الفلسفة	عبدالرحمن بدوي	٩٩
١٩٨٠	دار الطليعة بيروت	الخطاب العربي المعاصر	عابد الجابري	١٠١
	دار الكتاب اللبناني	أفيون الشعوب	عباس العقاد	١٠٢
	دار الكتاب اللبناني	الصهيونية العالمية	عباس العقاد	١٠٣
	دار الكتاب اللبناني	المذاهب الهدامة	عباس العقاد	١٠٤
١٩٨٣	دار القلم دمشق	كواشف زيوف	عبدالرحمن حسن حبيكة	١٠٥
١٩٨٣	دار القلم بيروت	الأخلاق الإسلامية وأسسها	عبدالرحمن حسن حبيكة	١٠٦
١٩٨٣	دار القلم دمشق	العقيدة وأسسها	عبدالرحمن حسن حبيكة	١٠٧
	دار الجبل بيروت	المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها	عبدالرحمن عميرة	١٠٨
١٩٨٢	دار القلم بيروت	القرآن وقضايا الإنسان	عائشة الرحمن	١٠٩
١٤٠٩	مطبعة الفجر الجديدة	العقيدة الإسلامية بين العقل والنقل	عبدالسلام عبده	١١٠

١١١	عبدالباسط بدر	مذاهب الأدب الغربي	شركة الشعاع بالكويت
١١٢	عبدالمعظم المطعني	الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة	مكتبة وهبة
١١٣	عبدالعزیز السلیمان	الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية	١٤٠٧ مكتبة الرياض
١١٤	عبدالفتاح الديدي	فلسفة سارتر	مكتبة الأنجلو
١١٥	عبدالغني عبود	العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة	١٩٨٠ دار الفكر العربي
١١٦	عبدالغني عبود	قضية الحرية وقضايا أخرى	١٩٧٩ دار الفكر العربي
١١٧	عبدالقادر محمود	الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة	١٩٨٦ الهيئة المصرية للكتاب
١١٨	عبدالمقصود عبدالغني	الاتجاهات المعاصرة في الفكر الإسلامي الحديث	١٤٠٨ دار الثقافة بالقاهرة
١١٩	عبدالكريم الخطيب	قضية الألوهية بين الفلسفة والدين	١٩٧٦ دار الفكر العربي
١٢٠	عبدالكريم زيدان	أصول الدعوة	١٤٠١ مكتبة المنار الإسلامية
١٢١	عبدالكريم عثمان	معالم الثقافة الإسلامية	١٤٠٦ مؤسسة الرسالة بيروت
١٢٢	عبدالحليم محمود	التفكير الفلسفي في الإسلام	١٩٧٧ الدار المصرية
١٢٣	علي عبدالواحد وافي	الحرية في الإسلام	دار المعارف مصر
١٢٤	علي عبدالواحد وافي	حماية الإسلام للأنفس والأعراض	المكتبة العصرية للطباعة بيروت
١٢٥	علي عبدالمعطي محمد	تيارات فلسفية حديثة	دار المعارف الجامعية الإسكندرية
١٢٦	علي عبدالمعطي محمد	مقدمات في الفلسفة العامة	دار النهضة بيروت
١٢٧	علي عبدالمعطي محمد	اتجاهات في الفلسفة المعاصرة	وكالة المطبوعات بالكويت

١٤٠٩	دار الوفاء للنشر المنصورة	الاتجاهات الفكرية المعاصرة	علي جريشه	١٢٨
	دار الوفاء بالمنصورة	الغزو الفكري في المناهج	علي لبن	١٢٩
١٩٨٤	دار الآفاق الجديدة بيروت	الفرق بين الفرق	عبدالقاهر البغدادي	١٣٠
	دار ابن زيدون للنشر	الموسوعة الفلسفية	عبدالمنعم الحفني	١٣١
	دار إحياء التراث العربي بيروت	معجم المؤلفين	عمر رضا كحاله	١٣٢

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١١٠	عبدالباسط بدر	مذاهب الأدب الغربي		شركة الشعاع بالكويت	
١١١	عبدالعظيم المطمعي	الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة		مكتبة وهبة	
١١٢	عبدالعزیز السلیمان	الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية		مكتبة الرياض	١٤٠٧
١١٣	عبدالفتاح الديدي	فلسفة سارتر		مكتبة الانجلو	
١١٤	عبدالغني عبود	العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة		دار الفكر العربي	١٩٨٠
١١٥	عبدالغني عبود	قضية الحرية وقضايا أخرى		دار الفكر العربي	١٩٧٩
١١٦	عبدالمجيد الزنداني وآخرون	الإيمان		دار القلم بيروت	
١١٧	عفيف عبدالفتاح طيارة	روح الدين الإسلامي		دار العلم للملايين بيروت	١٩٦٩
١١٨	عبدالقادر محمود	الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة		الهيئة المصرية للكتاب	١٩٨٦
١١٩	عبدالمقصود عبدالغني	الاتجاهات المعاصرة في الفكر الإسلامي الحديث		دار الثقافة بالقاهرة	١٤٠٨

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٢٠	عبدالكريم الخطيب	قضية الألوهية بين الفلسفة والدين		دار الفكر العربي	١٩٧١
١٢١	عبدالكريم زيدان	أصول الدعوة		مكتبة المنار الإسلامية	١٤٠١
١٢٢	عبدالكريم عثمان	معالم الثقافة الإسلامية		مؤسسة الرسالة بيروت	١٤٠٦
١٢٣	عبدالحليم محمود	التفكير الفلسفي في الإسلام		الدار المصرية	١٩٧٧
١٢٤	علي عبدالواحد وافي	الحرية في الإسلام		دار المعارف مصر	
١٢٥	علي عبدالواحد وافي	حماية الإسلام للأنفس والأعراض		المكتبة العصرية للطباعة بيروت	
١٢٦	علي عبدالمعطي محمد	تيارات فلسفية حديثة		دار المعارف الجامعية الإسكندرية	
١٢٧	علي عبدالمعطي محمد	مقدمات في الفلسفة العامة		دار النهضة بيروت	
١٢٨	علي عبدالمعطي محمد	اتجاهات في الفلسفة المعاصرة		وكالة المطبوعات بالكويت	
١٢٩	علي جريشه	الاتجاهات الفكرية المعاصرة		دار الوفاء للنشر المنصورة	١٤٠٩

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٣٠	علي لبن	الغزو الفكري في المناهج		دار الوفاء بالمنصورة	
١٣١	عبدالقاهر البغدادي	الفرق بين الفرق		دار الآفاق الجديدة بيروت	١٩٨٤
١٣٢	عبدالمنعم الحفني	الموسوعة الفلسفية		دار ابن زيدون للنشر	
١٣٣	عمر رضا كحاله	معجم المؤلفين		دار إحياء التراث العربي بيروت	
١٣٤	عمر سليمان الأشقر	العقيدة في الله		مكتبة الفلاح الكويت	١٩٨٤
١٣٥	غازي الأحمدى	الوجودية فلسفة الواقع الإنساني		منشورات مكتبة الحياه بيروت	
١٣٦	فاروق الدسوقي	القضاء والقدر في الإسلام		المكتب الإسلامي بيروت	
١٣٧	فاروق الدسوقي	استخلاف الإنسان في الأرض		دار الدعوة	
١٣٨	فؤاد كامل	مدخل إلى فلسفة الدين		الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٨٤
١٣٩	فؤاد كامل	فلاسفة وجوديون		الدار القومية بمصر	

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٤٠	فؤاد كامل	الرد على إلحاد سارتر		الهيئة المصرية للكتاب	١٩٨٥
١٤١	كارل يسبرز	مدخل إلى الفلسفة		الأنجلو المصرية	
١٤٢	كارل يسبرز	معنى الفلسفة	ترجمة عبدالمنعم الحفني	الأنجلو المصرية	
١٤٣	كيرك جورد	إما - أو	ترجمة عبدالرحمن بدوي	دار الثقافة	١٩٦٣
١٤٤	كيرك جورد	دروس السوربون	ترجمة عبدالرحمن بدوي	دار الثقافة	
١٤٥	كيرك جورد	حاشية غير ختامية	ترجمة فؤاد كامل	دار الثقافة	١٩٨٣
١٤٦	كيرك جورد	خوف ورعدة	ترجمة فؤاد كامل	دار الثقافة بالقاهرة	١٩٨٤
١٤٧	كيرك جورد	المرض حتى الموت	ترجمة إمام عبدالفتاح	دار الثقافة بالقاهرة	١٩٧٥
١٤٨	كيرك جورد	يوميات	ترجمة فؤاد كامل	دار الثقافة	١٩٨٠
١٤٩	كيرك جورد	الوجود من الداخل		نشر مكتبة الحياه بيروت	
١٥٠	كيرك جورد	اللاشياء الفلسفية		نشر مكتبة الحياه بيروت	

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٥١	كمال أحمد عون	قبس من الإيمان وحساب للملاحة		دار العلوم للطباعة والنشر	١٩٨٣
١٥٢	كمال العبد	فلسفة الآداب والفن		الدار العربية للكتاب	
١٥٣	لويس لافيل	رسالة في القيم		نشر مكتبة الحياه بيروت	
١٥٤	لويس لافيل	إمكانيات الانا		نشر مكتبة الحياه بيروت	
١٥٥	لويس لافيل	الحضور الكلي		نشر مكتبة الحياه بيروت	
١٥٦	لويس لافيل	عن الفعل		نشر مكتبة الحياه بيروت	
١٥٧	مارتن هيدجر	لما الفلسفة	ترجمة فؤاد كامل ومحمود رجب	دار الثقافة بالقاهرة	١٩٧٤
١٥٨	مارتن هيدجر	نداء الحقيقة	ترجمة عبدالقادر مكاري	دار الثقافة للطباعة	١٩٧٧
١٥٩	مارتن هيدجر	ما الميتافيزيقا	ترجمة محمود رجب	دار الثقافة للنشر	١٩٧٤
١٦٠	مجاهد عبدالمنعم مجاهد	هيدجر راعي الوجودية		دار الثقافة بالقاهرة	
١٦١	مجاهد عبدالمنعم مجاهد	المعتربون/هيدجر		دار الثقافة بالقاهرة	

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٦٢	محمد إبراهيم الفيومي	الوجودية فلسفة الوهم الإنساني		مكتبة الأنجلو المصرية	١٩٨٣
١٦٣	محمد إبراهيم الفيومي	القلق الإنساني		مكتبة الأنجلو المصرية	١٩٨٠
١٦٤	محمد بيسار	العقيدة والاخلاق		دار الكتاب اللبناني	١٩٧٣
١٦٥	محمد بيسار	تأملات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة		المكتبة العصرية بيروت	١٤٠٠
١٦٦	محمد حسين آل ياسين	الله بين الفطرة والدليل		مطبعة الجبلاوي بمصر	١٣٩٨
١٦٧	محمد جواد مغنیه	مذاهب فلسفية		دار الهلال بيروت	
١٦٨	محمد عبدالله الشرقاوي	مدخل نقدي لدراسة الفلسفة		مكتبة الزهراء بالقاهرة	
١٦٩	محمد جمال الدين الفندي	الإسلام وقوانين الوجود		الهيئة المصرية للكتاب	١٩٨٢
١٧٠	محمد عبدالله الخطيب	فوق أطلال الماركسية والإلحاد		دار المنار الحديثة	
١٧١	محمد عبدالله دراز	دستور الأخلاق في القرآن		مكتبة الخانجي	
١٧٢	محمد عقله	النظام الأخلاقي في الإسلام		مؤسسة الرسالة	١٤٠٢

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٧٣	محمد البهي	الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي		مكتبة الرسالة عمان	١٤٠٧
١٧٤	محمد عمارة	الإسلام وحقوق الإنسان		دار الشروق	١٩٨٩
١٧٥	محمد عمارة	تيارات الفكر الإسلامي المعاصر		دار الوحدة لبنان	١٩٨٥
١٧٦	محمد أبوزهرة	محاضرات في النصرانية		دار الفكر العربي	
١٧٧	محمد علي الجار	الأمراض الجنسية		دار المنار جدة	
١٧٨	محمد فؤاد عبدالباقي	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم		دار إحياء التراث العربي بيروت	
١٧٩	محمد غلاب	الوجودية المؤمنة والملحدة		الدار القومية	١٩٦٦
١٨٠	محمد علي الصابوني	صفوة التفاسير		دار القرآن الكريم بيروت	
١٨١	محمد قطب	الإنسان بين المادية والإسلام		دار إحياء الكتب العربية	١٩٦٥
١٨٢	محمد قطب	شبهات حول الإسلام		دار الشروق بالقاهرة	١٩٨٣
١٨٣	محمد قطب	مذاهب فكرية معاصرة		دار الشروق بالقاهرة	١٩٨٨
١٨٤	محمد قطب	منهج التربية الإسلامية		دار الشروق بالقاهرة	١٩٨١

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٨٥	محمد لبيب البوهي	الوجودية والإسلام		دار المعارف مصر	
١٨٦	محمد مهران رشوان	مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة		دار الثقافة بالقاهرة	
١٨٧	محمد محمد حسين	اتجاهات هدامة في الفكر الغربي المعاصر		مؤسسة الرسالة	
١٨٨	محروس سيد موسى	التربية والطبيعة الإنسانية		دار المعارف بمصر	
١٨٩	مقداد يالجن	الاتجاه الأخلاقي في الإسلام		مكتبة الخانجي	
١٩٠	مصطفى غالب	في سبيل موسوعة فلسفية		دار الهلال	
١٩١	محمود عتان	الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه		دار الإسلام للطباعة والنشر المنصورة	١٩٨٥
١٩٢	مراد وهبه	المعجم الفلسفي		دار الثقافة الجديدة	١٩٧٩
١٩٣	مسلم	صحيح مسلم	تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي	دار إحياء التراث بيروت	
١٩٤	موريس كرانستون	سارتر بين الفلسفة والأدب	ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد	الهيئة المصرية للكتاب	
١٩٥		الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة		الندوة العالمية للشباب	١٤٠٩

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
١٩٦		المعجم الفلسفي		مجمع اللغة العربية بمصر	١٩٧٩
١٩٧		المنجد في اللغة والأعلام		دار الشروق	١٩٧٣
١٩٨	نجيب العقيقي	المستشرقون		دار المعارف بمصر	١٩٦٥
١٩٩	النسائي	سنن النسائي	تحقيق لجنة إحياء العربي	طبع دار الفكر ونشر دار الأفاق بيروت	
٢٠٠	نبيل راغب	المذاهب الأدبية		مكتبة مصر	
٢٠١	نيقولا لوسكي	تاريخ الفلسفة الروسية	ترجمة فؤاد كامل	دار المعارف بالقاهرة	
٢٠٢	نوال الصايغ	المرجع في الفكر الفلسفي		دار الفكر العربي	
٢٠٣	وحيد الدين خان	الإسلام يتحدى	ترجمة ظفر الإسلام خان	مكتبة القرآن	١٩٦٦
٢٠٤	ول ديورانت	قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي	ترجمة فتح الله المشعشع	مكتبة المعارف بيروت	١٩٨٥
٢٠٥	يحيى هويدي	دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة		دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية	
٢٠٦	يحيى هويدي	مقدمة في الفلسفة العامة		دار الثقافة للطباعة والنشر	١٩٧٩
٢٠٧	يسري إبراهيم	نيتشه عدو المسيح		سينا للنشر بالقاهرة	
٢٠٨	يوسف القرضاوي	الإيمان والحياة		مؤسسة الرسالة	١٤٠٥

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	ترجمة أو تحقيق	الناشر	السنة
٢٠٩	يوسف القرضاوي	الحل الإسلامي فريضة وضرورة		مكتبة وهبه	١٩٧٧
٢١٠	يوسف القرضاوي	وجود الله		مكتبة المعارف	١٤٠٨
٢١١	يوسف كرم	تاريخ الفلسفة الحديثة		دار المعارف	١٩٧٩
٢١٢	يوسف كرم	تاريخ الفلسفة اليونانية		دار القلم بيروت	

فهرس الموضوعات

الموضوع وع صفحة

المقدمة

- ٢-١ أسباب اختيار الموضوع
- ٣-٢ أهمية هذا الموضوع
- ٧-٤ منهج البحث وخطة للموضوع

التمهيد

التعريف بالتيارات والاتجاهات الفكرية المعاصرة

- ٨ أولاً: التيار الروحي
- ٩ ثانياً: التيار المادي
- ٩ ثالثاً: التيار العلمي
- ١٠ رابعاً: التيار الفينومينولوجي
- ١٢-١١ خامساً: التيار الوجودي

الباب الأول

الوجودية الحديثة حقيقتها وأشهر رجالها

الفصل الأول : التعريف بالوجودية

- ١٧-١٣ المبحث الأول: مفهوم الوجودية وموقف الوجوديين من التسمية بها
- المبحث الثاني: الأسس التي اتفقوا عليها
- ١٨ (١) التفريق بين الوجود والماهية
- (٢) عدم الاعتراف بغير المحسوس
- ٢١ (٣) تفسير الوجود بالأننا أولاً وآخرها
- ٢٢ (٤) إنكار الحريه الشرعيه

٢٢ (٥) انكار المسئولية
٢٣ (٦) إنكار القيم والأخلاق
٢٣ (٧) مثل السؤ. (للعدم)
٢٣ (٨) عدم الطمأنينه
	المبحث الثالث: أقسام الوجوديين
٢٥ <u>أولاً</u> : الوجودية الغير ملحدة
٢٥ <u>ثانياً</u> : الوجودية الملحدة
٢٦	المبحث الرابع: حقيقة الوجودية
	الفصل الثاني : الجذور الفكرية للوجودية
	المبحث الأول: تاريخ الوجودية
٢٨ (١) في العصور الأولى
٢٩ (٢) في العصور الوسطى
٣٠ (٣) في عصر الفلسفة الحديثة والمعاصرة
	المبحث الثاني: أسباب ظهور الفكر الوجودي
٣٢ (١) مقاومة للفلسفة التقليدية
٣٢ (٢) بسبب تفشي بعض المذاهب العلمية
٣٢ (٣) رد فعل لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية
٣٣ (٤) رد فعل للماركسية والشيوعية
 (٥) بسبب ظروف المجتمع الغربي خلال الحربين العالميتين
٣٤	الفصل الثالث : أقطاب الفكر الوجودي
٣٥	أولاً: سورين كيرك جورد
٣٩ (١) حياته
٤١ (٢) مؤلفاته

٤٢	(٣) فكره ومنهجه
		ثانياً: بيرد يائيف
٤٧	(١) حياته
٤٨	(٢) مؤلفاته
٤٩	(٣) فكره ومنهجه
		ثالثاً: كارل يبرز
٥٣	(١) حياته
٥٣	(٢) مؤلفاته
٥٤	(٣) فكره ومنهجه
		رابعاً: مارتن هيديجر
٥٩	(١) حياته
٦٠	(٢) مؤلفاته
٦١	(٣) فكره ومنهجه
		خامساً: جابرييل مارسيل
٦٣	(١) حياته
٦٤	(٢) مؤلفاته
٦٥	(٣) فكره ومنهجه
		سادساً: ميرلو بونتي
٦٦	(١) حياته
٦٧	(٢) مؤلفاته
٦٨	(٣) فكره ومنهجه
		سابعاً: البير كامى
٧٢	(١) حياته

- ٧٣ (٢) مؤلفاته
- ٧٤ (٣) فكره ومنهجه
- ثامناً: جان بول سارتر
- ٧٧ (١) حياته
- ٨١ (٢) مؤلفاته
- ٨٤ (٣) فكره ومنهجه
- تاسعاً: عبدالرحمن بدوي
- ٩١ مدخل
- ٩٢ أسباب ظهور الوجودية بالعالم العربي
- ٩٣ (١) حياته
- ٩٤ (٢) مؤلفاته
- ٩٦ (٣) فكره ومنهجه

الباب الثاني

إعتقادات الوجوديين

الفصل الأول : نظرة الوجوديين إلى عقيدة الألوهية

- ١٠٦ أولاً: مفهوم الألوهية عند الوجوديين
- ١٠٧ ثانياً: أقوال الوجوديين في الإله
- ١٠٧ (١) أقوال كيرك جورد
- ١١٠/١٠٧ مناقشة أقواله
- ١١١ (٢) أقوال باسكال
- ١١١ مناقشة أقواله
- ١١٢ (٣) أقوال جبريل مارسيل
- ١١٢ مناقشة أقواله

١١٣ أقوال هيدجر (٤)

١١٣ مناقشة أقواله

١١٣ أقوال سارتر (٥)

١٢٢/١١٣ مناقشة أقواله

..... ثالثاً: شبهات الوجوديين على معتقدتهم في الألوهية

١٢٣ (١) الشبهة الأولى: الدعوى بحرية الإنسان حرية مطلقة

١٢٥/١٢٣ الرد على هذه الشبهة

١٢٥ (٢) الشبهة الثانية: حصرهم الإيمان بالمحسوسات فقط

١٢٦/١٢٥ الرد على هذه الشبهة

١٢٦ (٣) الشبهة الثالثة: إدعاؤهم بالمصادفة

١٣٠/١٢٦ الرد على هذه الشبهة

١٣٠ (٤) الشبهة الرابعة: وجود الشر في العالم

١٣٢/١٣٠ الرد على هذه الشبهة

..... رابعاً: عقيدة الألوهية في الإسلام

١٣٣ (١) مفهوم الإله في الإسلام

١٣٦ (٢) أدلة وجود الله سبحانه وتعالى

١٣٧ الدليل الأول: دليل الفطرة والأمثلة عليه

١٤١ الدليل الثاني: دلالة الكون وفيه أربعة أدلة

١٤٢ * دلالة الخلق

١٤٣ * دلالة التسوية

١٤٧ * دلالة التقدير

١٤٨ * دلالة الهداية

١٦٢-١٥٠	□ الدليل الثالث : دليل النبوات والرسالات
	الفصل الثاني : تصور الوجوديين للحرية
١٦٣	أولاً: مفهوم الحرية
١٦٣	(١) المفهوم العام
١٦٣	أ - المعنى العام
١٦٤	ب - المعنى السياسي والاجتماعية
١٦٤	* الحرية النسبية
١٦٤	* الحرية المطلقة
١٦٤	ج - المعنى النفسي والخلقي
١٦٥	(٢) مفهوم الحرية عند الوجوديين
١٦٥	ثانياً: أقوال الوجوديين في الحرية
١٦٦	(١) أقوال كيرك جورد
١٦٧	(٢) أقوال لويس لافيل
١٦٨	(٣) أقوال كارل يسبرز
١٦٨	(٤) أقوال بيرد يائيف
١٦٩	(٥) أقوال هيدجر
١٦٩	(٦) أقوال سارتر
١٨١/١٧١	ثالثاً: مناقشة أقوال الوجوديين
١٨٢	رابعاً: الحرية في الإسلام
١٨٢	□ تقديم
١٨٢	□ أقسام الحرية
١٨٢	(١) الحرية الدينية
١٨٥	(٢) الحرية السياسية

١٨٩ الحرية الاقتصادية	(٤)
الفصل الثالث : نظرة الوجوديين إلى الأخلاق		
١٩٠	أولاً: مفهوم الأخلاق عند الوجوديين
١٩١	ثانياً: أقوال الوجوديين في الأخلاق
١٩١	(١) أقوال كيرك جورد
١٩٢	(٢) أقوال هيدجر
١٩٢	(٣) أقوال لويس لافيل
١٩٢	(٤) أقوال سارتر
ثالثاً: مناقشة مفهوم الأخلاق عند الوجوديين وأقوالهم		
١٩٨/١٩٤	رابعاً: الأخلاق في الإسلام
١٩٩	(١) أهمية الأخلاق
٢٠١	(٢) خصائص الأخلاق الإسلامية
٢٠٧/٢٠٤	(٣) أسس الأخلاق الإسلامية
الفصل الرابع : نظرة الوجوديين إلى القلق		
٢٠٨	أولاً: مفهوم القلق الوجودي
٢٠٩	ثانياً: أقوال الوجوديين في القلق
٢٠٩	(١) أقوال كيرك جورد
٢٠٩	(٢) أقوال بيرد يائيف
٢١٠	(٣) أقوال هيدجر
٢١٠	(٤) أقوال سارتر
٢١١	ثالثاً: مناقشة مفهوم الوجوديين للقلق وأقوالهم
٢١٣	رابعاً: موقف الإسلام من القلق
الفصل الخامس : الإنسان بين الوجودية والإسلام		

- أولاً: مفهوم الإنسان عند الوجوديين ٢١٦
- ثانياً: أقوال الوجوديين في الإنسان ٢١٦
- (١) أقوال كيرك جورد ٢١٦
- (٢) أقوال كارل يسبرز ٢١٧
- (٣) أقوال بيرد يائيف ٢١٨
- (٤) أقوال لويس لافيل ٢١٩
- (٥) أقوال هيدجر ٢٢٠
- (٦) أقوال سارتر ٢٢٠
- ثالثاً: مناقشة مفهوم الوجوديين للإنسان وأقوالهم ٢٢٥/٢٢١
- رابعاً: مكانة الإنسان في الإسلام ٢٣١/٢٢٥
- الفصل السادس: استغلال الوجوديين الأدب والتربية لنشر أفكارهم
- أولاً: الأدب ٢٣٢
- تقديم ٢٣٢
- أسباب زيوع وانتشار الأدب الوجودي ٢٣٤
- نقد الأدب الوجودي ٢٤٠
- ثانياً: التربية ٢٥٠
- أهم أهداف المنهج التربوي لديهم ٢٥٠

الباب الثالث

آثار الوجودية على الفرد والمجتمع وموقف الإسلام منها

الفصل الأول : الآثار العقدية والفكرية

- أولاً: الكفران بالعقائد ٢٥٢
- موقف الإسلام ٢٥٤
- ثانياً: التنكر للحقائق ٢٥٦

- ٢٥٨ موقف الإسلام
- ٢٦٠ ثالثاً: فتح الباب للشيوعية
- ٢٦٠ موقف الإسلام
- ٢٦٠ رابعاً: واجهة من واجهات الصهيونية
- ٢٦٠ أهداف الصهيونية
- ٢٦٢ موقف الإسلام
- ٢٦٦ خامساً: فتح باب الإلحاد على مصراعيه
- ٢٦٦ تقديم
- ٢٦٦ أسباب الإلحاد في أوروبا
- ٢٧٣/٢٧٠ موقف الإسلام

الفصل الثاني : الآثار النفسية والجسدية

- ٢٧٤ مدخل
- ٢٧٤ أولاً: إشاعتها القلق
- ٢٧٥ موقف الإسلام
- ٢٧٦ ثانياً: إشاعتها الخوف
- ٢٧٧ موقف الإسلام
- ٢٧٨ ثالثاً: إشاعتها الفوضى
- ٢٧٨ موقف الإسلام
- ٢٧٩ رابعاً: دعوتها إلى الانتحار
- ٢٨٠ مدخل (إحصائيات عن الانتحار)
- ٢٨٢ موقف الإسلام من الانتحار
- ٢٨٣ خامساً: انتشار الأمراض الفتاكة
- ٢٨٤ مدخل: إحصائيات للأمراض المنتشرة في أوروبا

- موقف الإسلام من انتشار الأمراض..... ٢٨٧-٢٨٥
- الفصل الثالث : الآثار الأخلاقية والاجتماعية
- أولاً: تدمير الأخلاق ٢٨٨
- (١) انحلال المجتمع ٢٩١
- (٢) الإباحية المطلقة ٢٩١
- موقف الإسلام من تدمير الأخلاق..... ٣٠٣/٢٩٣
- ثانياً: الصراع بين الفرد والمجتمع ٣٠٣
- موقف الإسلام من الصراع بين الفرد والمجتمع ٣٠٤
- ثالثاً: زرعها الأنانية المفرطة في الإنسان ٣٠٦
- موقف الإسلام من الأنانية ٣١١/٣٠٧
- رابعاً: تفكك الأسرة ٣١٢
- مدخل: إحصائيات عن تفكك الأسرة في الغرب ٣١٢
- موقف الإسلام من تفكك الأسرة..... ٣١٢
- مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة ٣١٨/٣١٣

الباب الرابع

الإسلام هو الحل لإنقاذ المجتمعات العربية

- مدخل : انغماس المجتمعات البشرية في المتع الحسية ٣١٩
- الحلول وأسباب ذلك ٣٢٤
- الفصل الأول : أهمية العقيدة ومدى الحاجة لها
- مدخل ٣٢٥
- أهمية العقيدة في المجالات الآتية:..... ٣٢٦
- (١) في مجال السلوك ٣٢٦
- (٢) في مجال الاقتصاد ٣٢٦

- ٣٢٦ (٣) في المجالات الاجتماعية
- ٣٢٦ (٤) في مجال السياسة
- ٢٢٧ (٥) في المجالات العلمية
- ٢٢٧ (٦) في مجال الجسم
- ٢٢٧ (٧) في مجال النفس

الفصل الثاني : أثر العقيدة في نهوض الفرد والأمة

- ٣٢٨ □ مدخل
- ٣٢٨ (١) أثر الإيمان بالله في حياة الفرد والأمة
- ٣٣٣ (٢) أثر الإيمان بالرسول في حياة الفرد والأمة
- ٣٣٤ (٣) أثر الإيمان بالملائكة في حياة الفرد والأمة
- ٣٣٦ (٤) أثر الإيمان بالقدر في حياة الفرد والأمة
- ٣٤٠ (٥) أثر الإيمان بالبعث في حياة الفرد والأمة

الفصل الثالث : أثر الشريعة في رقي الفرد والأمة

- ٣٤٣ □ مدخل
- ٣٤٣ أولاً: العبادات
- ٣٤٣ (١) الصلاة
- ٣٤٤ (٢) الصيام
- ٣٤٥ (٣) الزكاة
- ٣٤٧ (٤) الحج

صفحة	الموضوع
٣٤٨	ثانياً: الحدود
٣٤٨	(١) حد الخمر
٣٤٩	(٢) حد الزنا
٣٤٩	(٣) حد السرقة
٣٤٩	(٤) عقوبة القتل
٣٥٥	الخاتمة
٣٥٥	أهم نتائج البحث
	الفهارس
٣٥٨	□ أولاً: فهرس الآيات
٣٦٩	□ ثانياً: فهرس الأحاديث
٣٧١	□ ثالثاً: فهرس الأعلام
٣٧٥	□ رابعاً: فهرس الأماكن والفرق
٣٧٧	□ خامساً: فهرس المراجع
٣٩٥	□ سادساً: فهرس الموضوعات